أ.د. عقيل حسين عقيل

# فوضى الحلّ

القاهرة ٢٠١٤

# فوضى الحلّ

***

(من يترك الوطن للذّئاب، لا يسأل عن حال الخراف فيه)

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}**[1]

[1] آل عمران 173، 184.

# المحتويات

***


| | |
|---|---|
| المقدّمة | 9 |
| المفاسد | 13 |
| الرّايات | 59 |
| الهويّات | 85 |
| السّجون | 107 |
| المشاجب | 141 |
| بين الصّفوف | 157 |
| توليد الفوضى | 193 |
| فوضى الحلّ | 245 |
| صدر للمؤلّف | 289 |


*****

وَلَرُب نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلْقَاتُهَا ..فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ[2]

[2] تفسير ابن كثير، ج 8، ص 433.

# المقدّمة

***

عندما تعمّ الفوضى ليس من العيب أن يسقطك الخصم أرضا، ولكن العيب أن لا تهمّ وتنهض، وإن أسقطّته أرضا، لا يليق بك أن تضع قدمك عليه، وإذا مدّ يده إليك سعيا للنهوض؛ فمن الأولى أن تمدّ له اليدين، وإن مدّ اليدين إليك؛ فعليك باحتضانه، وإن حضنك، ليس لك بدّ إلّا تقبيل رأسه، وإن قبّل رأسك؛ فاعفو واصفح، ثمّ تصالحا من أجل المشترك الوطني، وإلّا سيكون السّقوط في الوقت الذي لا أحد منكما يستطيع فيه أن يمدّ يده للآخر؛ فتكون الفوضى التي تملأ الرؤوس دورانا؛ دون أن يتمكّن أحدكما من التمييز ورؤية الآخر، وعندها تصبح أبواب النّهب والخطف والقتل مشرّعة بلا شريعة، فيصبح من يمتلك القوّة يحكم كيف يشاء، ويتحكّم في مصير من يشاء، ولا حلّ أمامه إلّا الفوضى إلى أن تلد الفوضى حلّا.

وهنا، وجب أخذ العبر من التّاريخ، والمواعظ من أهل الحكمة، تفاديا للمؤلم والمحزن، قبل أن يتفشّى الفساد في البلاد وتنتشر الذئاب فيه، وتصبح العدالة في قفص الاتهام، ومن بعدها تتعدّد الرّايات في الوطن، ولا ضابط لإيقاع نشيده، ومن يقبل أن يترك الوطن للذّئاب؛ فلا يسأل عن حال الخراف فيه.

فالوطن والهويّة شيآن في واحد، وطن بلا هوية، جسد بلا روح، والهويّة مثل البوصلة، إن ضاعت؛ فلا مرفأ. في سبيلها الجُبن يُقبر، ولا مخيف، فذلك الخوف الذي يراه النّعام منقذا له من الصيّادين، يراه الرّجال مُوقِعا بهم في الفخّ، ومن يقبل دخول السّجن من أبوابه الواسعة، لا يليق به أن يقفز من نوافذه، بل يظل على ما هو عليه من عِبر، حتى تُحمل المسؤولية الوطنية من قِبل الذين تُلقى عليهم، دون أن يجعلوا من ظهور الخصوم مشاجبا.

فالسّاسة وأهل الدراية، عندما يرون صدور الخصوم تضيق غضبا، يعرفون أنّها ستنفجر في وجوههم؛ وحتى لا تنفجر يسرعون إلى فكّ الفتيل. ومع أنّ صدور الساسة تفيض بما تضيق به، لكنّ الغضب فيها ينفجر ولا تنفجر.

وهكذا هو حال المنتصرين، الذين لا يرون ضرورة تجبرهم على تقليل شأن الخصم؛ فهم يعرفون إن قللوا من شأنه في أنفسهم، رفعوا شأنه عند آخرين، وحتى لا يرفع شأنه، تتم مصافحته ليبقى صدره ساكنا، ولأنّهم يعرفون سكون الصدور ممتلئة سكون براكين؛ فهم على ثقة أنّها ستنفجر، ولكنّهم لا يعملون على إثارتها، وبالرغم من ذلك؛ فالمنتصرون اليوم ظلما، منهزمون غدا عدالة.

وحتى لا تسود العداوات على تراب الوطن، وجب الاعتراف بين الأخوة حقوقا تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسؤوليات تُحمل، وإلّا

سيكون الشّعب ليس بواحد في الوطن الواحد، فالوطن لا تؤسّس الدّولة فيه إلّا على قاعدة الاعتراف: (اعترف بي، اعترف بك، وإن أنكرت وجودي طرفاً رئيساً في الوطن، سأنكر وجودك طرفاً يماثلني فيه)، وهكذا هو حال الاعتبار: الذي ينبغي أن يؤسّس بين الأخوة على قاعدة: (إن اعتبرتني أعتبرك، وإن لم تعتبرني؛ فلا تنتظر منّي اعتبارا).

ولهذا، إذا تولّدت العداوات بين الأخوة؛ وشبّت بينهم نار الفتنة؛ فهي ستكون أشدّ من أن تكون بين الأعداء، وفقا لقوانين المغالبة القهرية: غالب ومغلوب (تابع ومتبوع) ممّا يجعل الرّضوخ بينهم وكأنّه أمر واقع.

أمّا نار الفتنة بين الأعداء فقانونها: (منتصر ومنهزم) ونتائجها استسلام إلى حين اغتنام الفرص؛ فالمنتصرون إذا ما جلسوا على طاولة التفاوض، عملوا على عدم إطالة زمن المفاوضات، من أجل تثبيت الحدود التي امتدوا فيها على حساب المنهزمين، حتى لا يستمدّ المنهزمون قوّتهم، وفي المقابل المنهزمون يعملون على إطالة زمن التفاوض اكتسابا للوقت الذي يمكّنهم من استمداد القوّة، التي بها تعاد الحدود بلا مظالم، وعندما يأتي ذلك اليوم، وتتكلّم فيه أفواه البنادق؛ فلا شكّ أنّ أفواه العقلاء ستصمت.

**وعليه: فمن يرسم سياساته على قراءة الكفّ؛ أن لا يستغرب من الشيطان الوطني إن أوقد نار الفتنة بين الصفوف، ولحقت جلابيبه، ومن ثمّ؛ فمن يلتمس للفوضى عذرا؛ يعجّل بولادتها في بيته، وعندما تعمّ الفوضى، ينبغي أن يأخذ العقلاء خطوة للخلف، حتى تلد لهم حلّا.**

**أ د. عقيل حسين عقيل**

**2014/4/12م**

**كلية الآداب جامعة طرابلس**

# المفاسد

* * *

(عندما يتفشّى الفساد في دواليب الدّولة، تصبح العدالة في
قفص الاتهام والدولة في خبر كان)

# المفاسد

***

المفاسد علل تهدّ الصّرح، وتمكّن أصحابها الفوضى، قوّتها تستمدّ من انعدام الأمن، وغياب العدالة، وتقويض القيم، وكسر الأخلاق، والتجاوز عن الأعراف، وطي صفحات الشريعة، وصفحات صناعة التّاريخ.

أصحاب المفاسد تمتلئ أنفسهم حيويّة، (سلباً، ونهباً وتباهياً بالمنهوب والمسلوب)، وبخاصّة عندما يُسحب بساط الهيبة من تلك الرَّواسِي، ويلقى بها في الجُب، أو تُرمى هناك.

ذلك لأنّ الهيبة تولّد القدوة الحسنة من الأحسن منها، ولكن عندما يُرمى بها في الجُبِّ، أو تُرمى هناك، لا شكّ أنّ المفاسد من بعدها تلد المفاسد، وإنّ بدائل القمم الرَّواسِي في كفة القصد لا تُرجّح.

فالمفاسد لا تلد من أحشائها إلّا ألما، ينزف دما، يُغيّب الذاكرة، ويُخرج الرُوح بقوّة، تصبح من بعدها الأجساد جثثا هامدة، تلد المواجهة رفضا، من بعده ثورة.

وكما أنّ المفاسد تلد مفاسد؛ فكذلك الثّورة وطن، تلد من ردّة فعل أوجاعها إصلاحا، وكما هي الشّعوب، إن قرّرت حسمت مواقف المجد، بناءً وإعمارا، ولكنّها إن ركعت، أو سجدت لغير الله،

انكسرت، ولن يُجبر الكسر، إلّا والهامات قد انتصبت، صوب المشارق، ما أعطت ظهرها، ولا غربت، تستغفر الله، من ذنب به سجدت إليه تائبة، وما رجعت، وهي الشّعوب إن دفعت من أرواحها للوطن والمال ما دفعت، وتدافعت جيلا بجيل، انتصرت على الجهل والجبن والفقر والظلم، وتألّقت أمنا وعلما وإعمارا ومعرفة بها تبني.

ويا ليتهم ينصتون، وحتى السّمع يسترقوا، لينهضوا رفعة عن المفاسد، التي بها يريدون أن يحتكروا مقاليد أمرٍ، ليستعبدوا بها من يعبد الله، طوعا لأمرهم وكرها بلا ذنبٍ.

ضجيج وصفير يسترق السّمع يعلو، ما هذا ....؟ ما هذا....؟ ما هذا.....؟

خذوا كلّ شيء واتركوا لنا استراق، إنّه من مهامنا الرّئيسة، أمّا أنتم، إن شئتم مهمّة ناجعة تكسبون من ورائها الدُّرر؛ فعليكم بالمفاسد حتى تتمكّنوا، ثمّ إن شئتم الإصلاح كما تدّعون؛ فصلحوا.

التقف ابن مسترق السّمع من أبيه ما سمع؛ فقال: ومن ماذا يا أبي يتمكّنون؟

يتمكّنون من أنفسهم.

ها أنا قد فهمت.

إذن، عليك بالعمل مع أمّك وإخوتك، حتى تدفعوهم وتحفّزوهم فتنة من أنفسهم.

**وهل تعتقد إنّهم سيستجيبون؟**

**ها أنا قد وجدّت لك فرصة عمل ناجحة.**

**وكم أنا مستعدّ وراغب لامتهانها، ولكن يا أبي الخوف يملأ نفسي من الذّكر الحكيم.**

**هذه يا بني علّتنا، وعلينا القبول بها، ولكن عليك بسرعة الانصراف، حيث لا ملجأ ولا مهرب منه إلّا إليه.**

**وبداية بأيّ درسٍ تنصحني؟**

**إن أردت أن تتمكّن من قلب صاحبك بوجه السّرعة؛ فعليك بدرس (أنت كلّ شيء) حتى يقتنع؛ فإن اقتنع أنّه (كلّ شيء)، فسد، ومن ثمّ، سيعمل على إفساد الآخرين، الذين إن فسدوا قبلوا به رمزاً وقدوة، وله سيعزفون كما أنت له تعزف صفيرا، ومن هنا، تلد المفاسد من المفاسد.**

**إذن، عليّ بكبيرهم.**

**وهذا بالتمام ما كنت أقصده.**

**ولكن، كبيرهم كما يظهر لي، تائبا مصليا.**

**لا تغرنّك المظاهر، كلّ شيء ممكن (المتوقّع وغير المتوقّع).**

**نعم كلّ شيء ممكن، وسأدخل لهم من هذا الباب الغافلين عن منفذه.**

ها أنا قد دخلت من بوابة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) وها هو أمامي يصلّي.

انتظره حتى يخرج من صلاته لتقول له: لقد أصبحت قائدا، وزعيما، ولا غيرك؛ فكن قائداً وزعيماً، وكأنّك من أولئك الكبار.

نعم، بعد أن خرج من صلاته، قلتها؛ فابتسم من قلبه، وكاد أن يمسك بيدي، لو لم أنزوي خلفه.

ها أنت قد اتخذت المكان المناسب؛ فابقى هناك (خلفه).

سألني يا أبي عن رفاقه؛ فأجبته: لا رفاق لك، بل أنت الرّفيق لهم؛ فقال: وكيف أكون رفيقا لهم وليسوا برفاقي؟

لا تترك بينهم وحدة؛ فإن اتحدوا، لا عدوّ لهم غيرك.

معك الحقّ، لن أتركهم يتّحدوا، سأجعل بينهم المفرّقين من رجالي تخويفا، وتخوينا، وتلميحا، وإرهابا، وإغواء، ومن لم يكن طائعاً سأجعله متآمرا، ومفسداً، وخائنا، وزنديقا، وسألبسه كلّ ألوان الألبسة المستفزّة للأخلاق الوطنية، كي لا يجد متعاطفا معه.

ألم أقل لك أنت القائد ولا سواك؟

نعم، قلتها، وأنا التقفتها، وأخذت بها، وليتك لا تبتعد عني، لتكون دائما من خلفي مناصرا ومؤيدا.

لن أتركك، حتى في قلب جهنّم، ولكن لا تخالفني في شيء أراه قبل أن تراه أنت، أم أنّك تنكر أنّني أراك ولا تراني؟ {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ}[3].

استغفر الله، كيف لي أن أنكر، وأنت المؤيّد والمناصر، وهل سبق لي أن أنكرت شيئا عنك؟

فلا مجيب.

أين أنت؟

فلا مجيب.

أين أنت؟

فلا مجيب.

بقيت الحيرة تملأ نفسه، ماذا فعلت؟ أين صاحبي الذي يؤازرني؟ وظلّت نفسه ممتلئة حيرة حتى غفل عن أداء الصّلاة؛ فرجع صاحبه إليه محتجّا بقوله: ألم أقل لك إنّ الاستغفار بالله مثله مثل الاستعادة به، يبعدني عنك في الوقت الذي تكون فيه في حاجة لمناصرتي ورأيي؟

لا حول ولا قوّة إلّا بالله، لن أعيدها، وإن عدّتها فعليك بفراقي.

فلا مجيب.

لِمَ لا تجيب؟ ما بك؟ أين أنت؟ أسمعني صوتك لأطمئن.

---

[3] الأعراف 27.

لا مستمع ولا مسترق.

جاءت الحيرة من جديد، حتى أخذته بعيدا عن الصّلاة؛ فعاد صاحبه إليه محتجّا، لِمَ لا تقدّر موقفي، وتميّز بين ما يجب أن يقال، وبين ما لا يجب قوله؟

لم أفهم.

الاستعادة بالله، والاستغفار به، وطلب الحول والقوّة منه، تبعدني عنك، وقد لا نعود إليك ثانية.

وماذا أقول؟

الإجابة (الصّمت) ثمّ الحديث معي قبل غيري، لأقول لك ما يجب أن تقول أو تفعل.

اتفقنا، ولكن، كيف لي أن أعيش بعيدا عن ذكره؟

حتى لا تتهمني بما قد توسوس لك به نفسك، أتركك مع أختي؛ فهي خير من يجيبك.

ما هذا الجمال، وما هذه الرّشاقة والأناقة؟ وما هذا الصّوت الندي؟ وما هذا ....؟ وما هذا.....؟ وما هذا.....؟ حتى تمّ إغوائه، ونسي قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}[4].

[4] الزخرف 36، 37.

أنتَ جميل ولا سواك، أنتَ زعيم ولا زعيم غيرك، أنتَ رفيق ولا رفيق غيرك، أنتَ الحبيب ولا حبيب مثلك.

اقتربي ولا تبتعدي؛ فأنا سأتخذك لي قرينة.

اعتبرني قرينتك التي لن تفارقك، وسأغوي لك من القرينات ما يفيض عن الحاجة، حارسات، ومساندات، ومدلكات، حتى تلهو عن كلّ ما من شأنه أن يبعدك عن نفسك، ومن ثمّ تقتنع نفسك أنّه (أنت ولا معية معك).

أتركيني مهلة أفكّر.

وفيما تودّ أن تفكّر؟

التخلّص ممّن له رأي.

إذا أردت ذلك عن رغبة؛ فعليك بنقاط خمس:

أوّلا: تعطيل كافة القوانين المعمول بها كي تصبح أنت المشرّع، وأنت الخصم والحكمُ.

ثانيا: تطهير البلاد من أصحاب الفكر والرّؤى، وعليك بوصفهم للعامّة أنّهم لا يزيدون عن كونهم مرضى.

ثالثا: سلب الحرّية من الشّعب.

وماذا أقول للشّعب؟

قل: (الحرّية كلّ الحرّية للشّعب ولا حرّية لأعداء الشّعب) واعمل على سلبها منهم كلّما تهيأت لك الظروف، وعليك أن تعرف أنّ

التلاعب بالكلام نصف الحقيقة، ونصفها الآخر التناقض في القول، وهذه الحقيقة التي عزمت أنت على إظهارها أمام الشّعب الليبي؛ فأنت عندما تؤكّد للشّعب إنّ (الحرّية كلّ الحرّية للشّعب، ولا حرّية لأعداء الشّعب)؛ فلا شكّ أنّ تناقض الدلالة والمعنى في خطابك سيجعلهم مثل كرة التنس بين المضربين (نصفي الحقيقة)، ذلك لأنّ المقصود بكلّ الشّعب هو (الشّعب الليبي)، وفي ذات الوقت المقصود بكلّ أعداء الشّعب هم أولئك العلماء، والحكماء، والمثقفون، ورجالات الدين، والسياسة والفكر، وكلّ من له رأي من أبناء الشّعب الليبي؛ فهذا الخطاب يحمل صيغة الأمر الذي يتطلّب الطّاعة، وإلّا سيوضع في السّجن من يخالف ذلك، ولو كان الشّعب الليبي بأسره.

ها أنا في مدينة أزوارة ألقي الخطاب: (أيّها الشّعب الليبي في هذا اليوم **15** من شهر إبريل **1973**م، سنبدأ ثورة ... والذي يريد أن يمضى معنا يمضى، والذي ليس معنا يبقى تحت الأقدام ... وكلّ من يتخلّف ندوسه بالأقدام)[5].

ها أنت قد بعثّ رسالتك مثل الشمس في قلب النّهار، وكأنّك تقول للشّعب: (لا حرّية لأحدٍ يخالفني)، مع حسن تلاعبك بالكلام

---

5 السجل القومي ، المجلد الرابع 1973/72 ص 631.

الذي أظهرت فيه نصف الحقيقة، ونصفها الآخر أظهرته تناقضا في القول، ممّا أعطاك مبررا للزجّ بكلّ من له رأي في السّجن، وإظهار تلك العصا التي كنت تخفيها وراء ظهرك، لأولئك الرّفاق الذين يرون أنفسهم شركاء، ليعرف الجميع دون مواربة أنّهم لا يزيدون عن كونهم أدواتٍ تستخدم حتى تفقد صلاحيتها، وهكذا هم على التوالي يفقدونها.

رابعا: عليك بإعلان الثورة الإدارية، لأجل أن تكسّر النُّظم واللوائح والضوابط، حتى يتحرّر الجميع من تبعية القدوة، ويخرجون بتحريض منك على غيرك، حتى تخلو لك السّاحة، وتصبح ساحة لبطل واحد، وزعيم واحد، وقائد واحد، ومعلّم واحد، وحتى مهندس واحد، وعليك بتوسيع دائرة المفاسد؛ فهي مدرارة بيعا وشراء، بيع ذمم، وشراء فاقديها، ثمّ أفسح المجال واسعا أمام من اشتريت منهم بلا ثمن، واجعله ضيّقا مختنقا على رقاب من تسوّل له نفسه.

ها أنا قد فهمت، وها أنا أفعل، حتى يصبحوا على غير توازن، ويصبح لي من بعد الولاءات ولاءات، ولكن ماذا بعد؟

عليك بإعلان الإدارة الذاتية في الوقت غير المتوقّع، حتى تنقلب الموازين وتمتلئ الرؤوس دورانا ولا يبقى اتزاناً.

ولكن أيّة إدارة ذاتية؟

اترك تلك التي تمكّن المعنيين من المشاركة في إدارة شؤونهم والنّهوض بالمستويات المعرفية، والعقلية، والعلمية، وإدارة العقول بالعقول مع حساب الوقت، وضبطه مع زيادة الإنتاج، وخذ بأيدي الطلبة؛ فهم طاقة هائلة يمكن استخدامها إن جِدّت إدارة اللعبة، وأدفع بهم إلى الاستيلاء على إدارات الجامعات، وإدارات الكليات، وعندما يستولون، أجعل منهم رؤساء للجامعات، والكليات والأقسام التابعة لها، ثمّ وجههم متى ما شئت، وكيفما شئت، إلى حيث ما تشاء.

معك حقّ، اتركيني ألقي خطابا. أيّها الطلبة:

استولوا على إدارات الجامعات والكليات والأقسام، واجعلوا منكم رؤساء وعمداء لها، وأزيحوا أولئك الأساتذة، وعليكم بكسر الوقار؛ فلا وقار بعد اليوم إلّا لكم.

تمّ الاستيلاء بالتمام على الإدارات الجامعية، كليات وأقسام، ومعاهد عليا، فأصبح من الطلبة من هم رؤساء للجامعات وعمداء لكلياتها، وفي المقابل أصبح أولئك الأساتذة الموقّرون، الذين أبعدوا عن رئاسة الجامعات وكلياتها المتعدّدة، بلا وقار، سوى وقار القدوة الذي بقي سلوكاً لمن يمكن له أن يقدّره.

ولسائل أن يسأل:

**كيف كانت تلك الإدارة بعد أن أصبح الأساتذة الموقّرون في الجامعات بلا توقير؟**

**أقول:**

**بعد أنْ تولى الطّلبة إدارة الجامعات، وأصبحوا هم رؤسائها وعمداء كلياتها، هم وحدهم أصبحوا يتصرّفون في شؤونها المالية، ويوقّعون على مسوّغاتها ويعتمدونها لكلّ شيء، حتى أصبحت الجامعات والكليات لا شيء، سوى الإساءة للأساتذة والعملية التعليمية برمّتها.**

**بدون شكّ أصبح الطلبة رؤساء على كراسي الجامعات بلا تأهيل، ولا مؤهلات، ولا خبرة، وكذلك هم المدراء على كراسي إداراتها، كما أنّهم العمداء على كراسي الكليات، والمعاهد العليا، ولهم كامل الصّلاحيات المنافية للقوانين واللوائح المنظّمة للجامعات وحمْل المسؤوليات فيها. وفي المقابل أصبح الأساتذة بلا مكاتب، بعد أن أصبح الطلبة على رأس كلّ مكتب، وحتى مكاتب الأساتذة المشرفين على رسائل الماجستير والدكتوراه، أصبحت هي الأخرى بيد الطّلبة، ومن ثمّ، أصبح الطّلبة في المكاتب وعلى كراسي المسؤولية فيها، وأصبح الأساتذة يتقابلون مع الطّلبة المشرفين على رسائلهم في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في الممرات بين الفصول، أو في محطات السيارات بين كلية وكلية، وبين سيارة وأخرى.**

وقد تمّ تغيير اللوائح من قِبل الطلبة الذين أصبحوا على رأس المسؤولية، وذلك بما يمكّنهم من إعادة العام الدراسي مرات عدّة، حتى أنّ البعض بقي شاغلا لكراسي كليات المرحلة الجامعية ما يزيد عن 12 عاماً، في الوقت الذي يتخرّج فيه نظراؤه في أربع أو خمس سنوات.

وهكذا، تحت عنوان: (المؤسّسات التعليمية يخدمها طلابها) تمّ الاستغناء عن العاملين القائمين بمهام النّظافة، فتعفّنت دورات المياه بالجامعات والكليات، وأصبح السير في الممرات بين الفصول، والمدرجات الدراسية لا يطاق بأسباب تلك الرّائحة العفنة، المنبعثة من الحمامات المتعفّنة، وأصبحت المآسي بأسباب عدم وجود أماكن لقضاء الحاجة تسري بين الجميع (الطلاب والطالبات والأساتذة)؛ فمن اشتدّ الحال عليه بقضاء حاجة بشرية؛ فعليه بأقرب جامعٍ، أو أقرب أسرة تسكن محيط الجامعات والكليات الجامعية المنتشرة، والبنات نتيجة ظروفهنّ الخاصّة التي لم يتمّ مراعاتها، يعانين الكثير والكثير من نتائج الإدارة الذاتية، التي بأسبابها انتشر الغشّ في الامتحانات الجامعية، وبأسبابها زوّرت شهادات تخرّج لبعض الخريجين، وبأسبابها كثر الفساد والإفساد، وبأسبابها تعفّنت دورات المياه تحت مظلة الإدارة الذاتية بالجامعات الليبية.

وبعد أنْ تولى الطلبة رئاسة الجامعات، وإدارة شؤونها، غُيّرت لوائحها، ولوائح الكليات التابعة لها، وأصبح الطالب من حقّه أن يُنقل بعددٍ من المواد الدراسية من مرحلة لأخرى، وعندما يسمع الزّعيم الوحيد، والقائد الوحيد، والمهندس الوحيد، أنّ أساتذة الجامعات يتململون من هذه الإجراءات، يأتي إلى الجامعات ليلتقي بطلبتها وأساتذتها والعاملين بها، ليقّر أمامهم حقّ الطلبة في إعادة أعوام الدّراسة، كما يقرّ لهم حقّ الانتقال بعدد من المواد الدراسية كلّ عام من مرحلة إلى أخرى، وفي المقابل يوجّه اتهاماته إلى البعض بأنّهم معرقلون لمسيرة الثورة، والإدارة الذاتية التي أثبتت نجاحها بتفوّق في الجامعات الليبية، ومن هنا، كان الجميع يصمت تجنّباً لما هو أسوأ.

أصبحت المنافسة على أشدّها بين الطلبة في تولّي رئاسة الجامعات والكليات، ممّا جعل الفاشلون هم أصحاب النصيب الأوفر في الفوز بكراسي الرّئاسة، والعمادة بالجامعات والكليات الجامعية، ومن ثمّ لدى البعض لم يعد الفشل معيبة، فكيف لك أن تصف من أصبح رئيساً للجامعة بصفة غير الموفّقين أو الفاشلين؟ وكيف لك أنْ تجلس في مدرجات اللقاءات العامّة وتنتقد الفشل؟ في الوقت الذي يدير فيه الجلسة متبوئ تلك العمادة أو الرّئاسة الجامعية، وهو من أولئك الذين فشلوا في دراستهم الجامعية.

أمّا الأساتذة، إن أراد منهم من أراد مقابلة رئيس الجامعة (الطالب)، لحاجة لا تتمّ إلّا بعد الحصول على موافقته، لا يغضب كثيراً إذا تأخّر موعد مقابلته مع السيّد رئيس الجامعة، أو عميد كلية من الكليات؛ فإن غضب وسمع بذلك السيّد الرئيس أو السيّد العميد لن تقضى مصلحته، خاصّة إذا كانت المصلحة من أجل الحصول على حقّ في إجازة علمية (sabbatical leave)، أو من أجل الحصول على موافقة لحضور مؤتمر علمي خارج البلاد.

خامساً: عليك بإعلان الثورة الثقافية، ليتسنى لك تغيير المناهج والمقررات الدراسية، وفقا لما اتفقنا عليه سويّا بأنَّ: (المرأة تحيض والرّجل لا يحيض، والدّجاجة تبيض والديك لا يبيض، وأنّ الطفل تربيه أمه)، وعليك بتقويض القيم التي تمكّن الجميع من طاعة أولياء الأمر، وتجعل منهم قدوة حسنة لغيرك[6].

ولكن إن جاء ردّ على ما اتفقنا عليه سويّة، بقولٍ: لا جديد في نظريتك التي استمددتها من الفكر اليوناني القديم، سوى إضافة: (الطفل تربيه أمّه، والدّجاجة تبيض والدّيك لا يبيض، والمرأة تحيض والرّجل لا يحيض)؛ فبماذا ستردين؟

---

[6] عقيل حسين عقيل، أسرار وحقائق من زمن القذافي، مرجع سابق، ص 390 . 393.

من يقول لك هذا، قد اعترف بإضافتك الجديدة، وهذا بيت القصيد.

ها أنتِ أوضحت لي، وأنا قد فهمت، وبخاصّة نحن لم نقل الأرنبة تربيها أمّها، ولا الذئب تربيه أمّه، ولا .... ولا .... ولا...؛ فتلك لا ترتقي إلى المكتشف الذي توصّلنا إليه، ولم يقله المفكرون اليونانيون؛ فما جئنا به بحقّ، هو: إضافة جديدة، وقد تسجّل براءة إبداعه باسمي، في كلٍّ من مجلس الأمن، والأمم المتحدة، ومنظمة العالم الإسلامي، والصليب الأحمر، والسّاحل والصحراء، ومنظمة الفاو، والبنك الدّولي، وكذلك البحر الميت، ومن أراد إبداعا؛ فعليه أن يقتدي بي، وبخاصّة أنا لم أقل بعد أنّ الجحش تربيه أمّه.

إذن، عليك بمخاطبة النّاس بالجديد قبل أن يدّعيه غيرك وينسبه إليه.

ها قد سجلت الإضافة الجديدة باسمي في تلك المنظمات والمؤسّسات الدّولية.

تلك المنظمات والمؤسّسات ليست بمكان للإضافات الإبداعية؛ فاسرع.

صدقتي، ها أنا ذاهب لمخاطبة المستمعين.

أيّها المستمعون: (المرأة تحيض والرّجل لا يحيض، الدّجاجة تبيض والدّيك لا يبيض، الناقة تلد والجمل لا يلد، والطفل تربيه أمّه).

هتافات تكاد أن تشقّ قلب السّماء، يطالب المستمعون فيها المعلم الوحيد أن يعلّمهم كيف يحققون مستقبلهم.

هكذا، كلّ شيء قد تغيّر؛ فتلك القدوة الحسنة للشخصيّة الليبية لم تعدّ (هي كما هي)، بل تبدّلت وغُيّرت بعد أن شُوّهت وتشوّهت؛ فأولئك المشايخ العناوين الصامدة، لم يعدّوا قادرين على الصمود، وكذلك المُدرّسةُ المحترمة التي كانت تقوم بدورين اثنين في وقتٍ واحدٍ (دور الأم والمعلّمة) لم يعد لها مثال يمكن أن يحتذى به؛ فالمُدرّسة التي مرّت بظروف صِعاب بأسباب المشاكسات والمعاكسات، وانتشار الغشّ في الامتحانات دون رادع، في مقابل قلّة المعاش، ومحدوديّة فرص العمل الأخرى، وسوء الإدارة المدرسية، وإلغاء مهمّة التفتيش التربوي في تلك السنون العجاف (زمن إلغاء اللغة الإنجليزية من المقررات المنهجية الليبية) فتلك المُدرّسة الأم لم تعدّ مقبولة، ولا مفضّلة في سياسات التعليم الموجّه والمقولب برؤية الموجّه الوحيد.

ولذات المسببات أصبح المدرّس يتعاطى السيجارة (يُدخّن) مع طلّابه المُدخّنين، ويركب سياراتهم الخاصّة، كما أنّ البعض منهم يلعب الورق معهم كلّما سنحت الفرصة لذلك، ومن هنا، فسد التعليم مقرراً، ومنهجاً، وتربية، وقدوة حسنة.

وطُمست تلك الشخصية المحترمة التي كانت لا تقول إلّا صواباً، ففي ذلك الزّمن حتى المنحرف الذي كان يشرب مسكراً، أو يبتلي بما يمكن أن يُبتلى به رغبة منه وإرادة، كان يخشي أن يجده أحد خمراناً؛ فكان في ليبيا حتى الذي يشرب مسكراً إذا سمع أنّ الشرطة قد قبضت على أحدٍ خمراناً، يلعنه مع اللاعنين بصوتٍ عالٍ دون أيّ تردّد؛ فما بالك بردّة فعل الغالبية العظمى المتجنّبة لكل مُحرّم، ومجرّم، ومنهي عنه، ومن ثمّ، كان الاقتداء مفخرة بين الليبيين بكلّ من هو على خُلق عظيم، وعلى علمٍ نافع، ومهارة متميّزة، وسلوك حسن.

هكذا كان الكلّ في ليبيا طائع لأوامر ونواهي القدوة الحسنة في غير معصية الله تعالى، ومن تكون هذه القدوة، سواء أكانت قدوّة الأب، أم الأمّ، أم الأخ والأخت، أم كانت قدوة المعلّم والأستاذ والطبيب، والعالم والشّيخ، والواعظ والمرشد.

ولهذا، تعمّد المعلّم الوحيد تشويه أصحاب القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة؛ فعمل كلّ ما من شأنه أن يجعل من البنات الليبيات خارج ذاكرة الأسرة، وبوصلتها الموجّهة لها، فقرّر التدريب العسكري العام، وأجبر جميع الدّارسين والدّارسات من الفتيات الليبيات اللاتي هنّ في سُن المراهقة والشباب المبّكر، على خلع ذلك الزّي الوطني الرّفيع، ولبس ذلك الزّي العسكري الذي يظهر مفاتن البنات أمام

مدربيهم من الشبّان، ثمّ أنّه لم يكتف بذلك؛ فقد دفع بالآباء والأمهات في معسكرات ما سمي بالتدريب العام والمقاومة الشّعبية، مثلهم مثل أبنائهم وبناتهم، وكان ذلك بهدف أن يعلّم الجميع (الكبار والصّغار) الطّاعة من خلال أخذهم بما يؤمرون به من أوامر وتوجيهات، كلّما صدرت إليهم من قِبله مباشرة، أو غير مباشرة من خلال العسكريين المكلّفين بالتدريب والمؤهلين على جعل الطاعة لذلك القائد دون غيره.

وعليه:

بعد أن كان الاقتداء مفخرة لدى جميع الليبيين بمن هو متعلّم، أو حافظا كتاب الله، أصبح الاقتداء لدى البعض بمن يتجرأ ويسفّه المتعلّمين والعلماء وعلمهم، وبعد أن كان الاقتداء بالعقلاء والحكماء، أصبح الاقتداء بمن يتجرأ عليهم ويشتمهم جميعاً، وبعد أن كان الاحترام للكبير والاقتداء به قيمة معتبرة بين الليبيين، أصبح الكبير لدى البعض لا مكان ولا رأى له، ومن هنا، غابت الذاكرة؛ فالأسرة، أو العائلة، أو العشيرة، أو القبيلة، أو القرية والمدينة التي لم تقدّر وتقدّم أكابرها، أصبحت أُسرا وعائلات وعشائر وقبائل وقرى ومدن بلا بوصلة، وبدون ذاكرة.

فتلك الأسر والعائلات والعشائر والقبائل والقرى والمدن دخل ملك الملوك عليها، ولعب بها يساراً ويميناً، ممّا جعل الفساد يتفشّى

كتفشّي النّار في الهشيم، ومع ذلك لقد خلّف الهشيم شيئا من الجمر تحت الرّماد؛ فأوقد نار الثورة[7].

ومع أنّ الواعين من الشّعب الليبي هم السبّاقون، إلّا أنّ عامّة الشّعب لم تكن هي السبّاقة؛ فبالعودة إلى تلك البدايات التي حدثت في 1969/9/1م، كان في ذلك الوقت المصدّقون والمؤيدون، وعندما بدأ الظهور عن ذلك البيان الذي تمّ إعلانه في ذات التاريخ، بدأ الانشقاق أوّلاً بأوّل، ولكن الواعين دائماً هم السبّاقون.

وكانت أوّل محاولة، محاولة المقدّم آدم الحواز، والمقدّم موسى أحمد 1969م. ثمّ محاولة أهل الجنوب في 1970/5/10م، بقيادة غيث عبد المجيد سيف النصر، ومحمّد المهدي القاضي، وعبد الله أبوبكر الصيد. ثمّ جاءت من بعدها مجموعة من المحاولات التي توّجت بمحاولة الرّائد عمر المحيشي 1975م.

وهكذا توالت محاولات الانقلابات على القائد الوحيد من الأباعد والأقارب، بما فيهم بنو قبيلته (قبيلة القذاذفة) الذين قتل من أبنائهم من قتل، ومثّل بمن مثّل، وعلى رأسهم (حسن أشكال، والغنّاي، وأخشيبة)، ومن لحق من بعدهم من بني القبيلة كما هو حال البراني أشكال في 17 فبراير 2011م.

---

[7] عقيل حسين عقيل، وماذا بعد القذافي، الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، ص 121، 122.

فلم تنته محاولات الانقلابات من الذين عرفوا الحقيقة بعد تصديق كان في غير محلّه، كما هو حال لطفي محمّد أمقيق المقرحي، الذي قُتل عام 1980م، وهو صاحب المقولة: (اللهم افصل رأس من يريد أن يفصل الكتاب عن السنّة)، وكذلك سعد محمّد نصر الذي قاد محاولة انقلاب 1981م، ثمّ المحاولة التي قادها من قبله إدريس الشهيبي في عام 1979م، وهكذا تعدّدت المحاولات من جميع المدن والقرى الليبية، وبخاصّة محاولة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا بقيادة الدكتور محمّد المقريف 1984م، كما أذكر تلك المحاولة لأبناء قبيلة ورفلة الذين منهم (مفتاح قرّوم، وخليل الجدك)؛ فسِجُّل التاريخ مليء من جميع أقاليم ليبيا (شرقا وغربا وجنوبا)، ولكن رغم أنّه لم يحالف النّجاح هذه المحاولات، ومعها محاولات الليبيين الذين اعتادوا الحديث عن القذافي نهاراً كلّما التقوا في مكاتبهم الرّسمية التي لا تستوجب إلّا التحفّظ، في مقابل الشتائم والسباب ليلاً كلّما التقوا في مرابيعهم ومناسباتهم، إلّا أنّ الشّعب الليبي عندما قرّر أن ينتفض انتفض على بكرة أبيه تحدٍ للموت؛ فكتبت له الحياة.

صوت المنادي من الغريق: حبيبتي ...، ساندة ظهري...، مناصرتي ...، حكيمة عقلي ومعرفتي، ها هو الطوفان يكاد أن يُغرق

اليابسة، ورأسي يدور، وكلّ شيء أراه منقلبا، والمركب على حافة الغرق؛ فماذا أفعل؟

ارفع السّقف.

وكيف لي برفعه والدوار يملأ رأسي؟

كلمة واحدة قلها في هذا اليوم: 22 فبراير 2011م، ولا تتركها إلى غدٍ؛ فغد قد يغالبك الدوران.

وما هي، قبل أن يغالبني الدوران؟

قل: من أنتم؟

من أنتم؟

كان هذا السؤال، وكأنّه الزيت الذي سُكب على النّار الملتهبة؛ فازدادت النّار شدّة، ألسنتها طالت الكرسي الذي يجلس عليه من برأسه دوار.

ومع أنّ الدّوار يكاد أن يملأ رأسه؛ لكنّه استطاع إعادة السؤال، وتوجيهه على الخصوص من مدينة طرابلس لأهل مدينة بنغازي يوم 24 فبراير 2011م فقال: (هذه آخرتها يا أهل بنغازي..... من أنتم؟)

فكان الردّ على وجه السُّرعة من الميادين والسّاحات والشوارع، ومن كلّ زنقة ثائرة ومن كلّ دار (ارحل)؛ فهل عرفت؟ إن عرفت

وفهمت، قُلها وارحل كما قالها الرّئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي (الآن فهمت) ثمّ رحل بلا وجهة في ليلة بلا نجوم.

وإن لم تعرف، ولم تفهم، ولم تقلها جهاراً نهاراً وترحل؛ فنحن قد قرّرنا الموت من أجل الحياة، ومن تمّ، ليس أمامك إلّا أحد أمرين:

. أن تجد نفسك مرحّلاً بالقوّة.

. أو أن تكون النّهاية بلا هويّة حتى هويّة القبر.

ومع أنّ السؤال: (من أنتم؟) لا يكون إلّا من معلوم لمعلوم، إلّا أنَّ قائله كان قاصداً به التنكير، ولا غير.

وهنا، تكمن حقيقة إنكار الغير، ممّا يجعل أفعال الإقصاء والتغييب والتحقير ظاهرة في القول والفعل والسلوك، وبناء على ذلك؛ فالذين لا ينظرون للآخرين إلّا نكرات، سيقصون كلّ من يقول: (أنا) عند قولها؛ فهم من وجهة نظرهم لا ينبغي أن يُمكّن أحد من قول: (أنا أو نحن) التي تجعل من قائليها أعلاما معرّفة؛ فقواميسهم السياسية لا تحمل في صفحاتها إلّا (أنا ولا غيري)، والآخرون بالنّسبة إليهم لا يعدّون إلّا نكرات (أرقام غير معرّفة) مثلهم مثل الأرقام التي تكتب على لوحات السيارات؛ ولهذا، يوجّهون سؤالهم للآخرين بقولهم: (من أنتم؟) وذلك بغرض تحقيرهم وتقليل شأنهم.

فالسؤال: (من أنتم؟) عندما يوجّه من معلوم لمعلوم، تكمن وراؤه غايات تحقير المخاطب، وتقليل شأنه، وإنكار وجوده؛ فلا اعتراف به، ولا تقدير له، ولا احترام، ولا اعتبار.

فالسؤال: من أنتم؟ سؤال استغرابي به يُنكِر وجود الآخر، ولكن هذا الآخر لو لم يكن موجوداً، هل يمكن أن يُنكّر؟ ومن ثمّ، يعدّ إنكار الآخر دليل إثبات وجوده معرفة ولا غموض.

وهنا، جاء السؤال، يحمل في مضمونه رسالة مفادها: (أنا الذي أخذت السّلطة عنوة في 1/9 /1969م؛ فالسلطة سلطتي، ومن أنتم؟)

كما أنّه يحمل في مضمونه معنى: (أنا حكمتكم 42 عاماً؛ فما الذي استجدّ عليكم اليوم؟) أي: وكأنّه يودّ أن يقول: أنا طوال 42 عاماً لم أرَ منكم إلّا الطائعين، والمبايعين، والسائرين في المسيرات، وكثير من التابعين وتابعي التابعين؛ فأنتم من أين جئتم؟ هل نزلتم من السماء؟ أم إنّكم من باطن الأرض خرجتم؟

فالقائد الأممي الذي سكن في خيمة المتوقّع، كان لا يرى فيها إلّا خانعين ومائعين، وطائعين لا يعرفون الرّفض، ولا كلمة (لا)، ولكنّه لم ينظر إلى قبّة ذلك القصر (غير المتوقّع) المملوءة بالزُّخرفة الشرقية، وبالخط العربي العريض يرسم على الجدران المواجهة رفّضاً وتمرّداً، وثورة، وأصوات الشّعب تنشد أغنية الرّبيع:

(ارحل....ارحل....ارحل)؛ فكان الرّحيل إلى حيث لا عودة، ومع ذلك طرح سؤله الأخير باللهجة العامية على من أصبح بين أيديهم في مسقط رأسه: (خيركم .... أيش فيه؟ أنا في عمر آبائكم).

بدون شكّ لا توجد علاقة بين السؤالين: (من أنتم؟)، و(خيركم .... أيش فيه) إلّا لارتباطهما بسائل واحدٍ (مفرد)، ومجيب واحدٍ (جمع). أمّا غير ذلك؛ فلا علاقة؛ فالسؤال الأوّل: موجّه للتنكير (ليدل على عدم الاعتراف بمن وجّه السؤال إليهم).

أمّا السؤال الثاني: فموجّه بصيغة الاعتراف، (أصحابه معلومون) وهم الذين أصبح السائل بين أيديهم، وأصواتهم لأذنيه تعلو بالإجابة على ذلك السؤال: نحن الذين خاطبتهم (بمن أنتم؟) فهل عرفت الآن نحن من؟

فذلك السائل الذي كان محاطاً بالمجنّدين والمجنّدات، وجد نفسه وحيداً لا حارس له يحميه من قبضة الذين كان يظن أنّهم نكرات، كما أنّه كان يظن لا يزيدون عن كونهم حقراء، كما سبق له أن وصفهم في تلك الدّولة المفترضة، التي أطلق عليها اسم (دولة الحقراء). وبهذا يعدّ سؤاله: (خيركم .... أيش فيه؟ والمذيّل بقوله: أنا في عمر آبائكم) لدليل اعتراف بالإجابة على ذلك السؤال (من أنتم؟) الذي من بعده كان الرّحيل على عجلٍ.

وعلى العجل ذاته: تَركتْ تلك المناصرة والمساندة جثة ذلك المعلم مرمية في دمها في تلك السيارة التي اتجهت به شمالا إلى مدينة مصراته، وظهرت للشمس، وهي تأمل العودة إلى العاصمة لعلّها تجد البديل، وها هي في العاصمة تسعى، ولكنّها لم تجد مسؤولا أوّل، سوى من يترأس المؤتمر الوطني العام، أو من يترأس مجلس الوزراء، ولكن لكلٍّ شيطانه، ومع ذلك تمكنت في وسط الزّحام وهمست في أذني كلّ منهم؛ عليكم بمنهج المعلّم الوحيد، والقائد الوحيد، ولكن إن أردتم سداد رأي؛ فعليكم بتغيير أحوالكم.

صدقتي، لا يغير الله ما بقوم، حتى يغيروا أحوالهم.

لا يا دكتور: حتى يغيروا ما بأنفسهم.

أفطن، تغيير الأحوال أوّلا، وتغيير الأنفس ثانيا، أو حتى ثالثا.

وكيف نغيّر أحوالنا ولا نغير أنفسنا؟

تغيير الأحوال يستوجب جمع الأموال، وتغيير الأنفس يتطلّب أمانة، وهذان مثل الخطان المتوازيان.

أجعل لي سهمين معك.

إذا أنت أخذت سهمين؛ فماذا بقي لي؟

بقي لك الخير والبركة.

خذهما واترك السّهمين عنك.

قالت المتداخلة: على الأخوة الأعداء الاتفاق بداية، أمّا الاختصام؛ فلا شكّ أنّه سيكون الحلقة الأخيرة.

قولي خيرا أيّتها الفتاة.

قسّموا الدّولة وزارة وزارة، وإدارة إدارة، ومؤسّسة مؤسّسة، ولتكن البداية بوزارة الدّفاع، ورئاسة الأركان، ووزارة الداخلية وإن اختلفتم؛ فعليكم بإجراء المقارعة.

وبماذا تنصحين؟

إياكم، ثمّ إياكم، أن تبنوا جيشا وطنيا، أو شرطة وطنية.

وماذا بعد؟

إياكم أن تعملوا على استقرار العدالة، وعليكم بعزل كلّ من سار في تلك المسيرات، حتى وإن ثار منهم من ثار معكم.

إذن، علينا بعزل رئيس المجلس الانتقالي ورئيس لجنته التنفيذية.

المصيبة أكبر.

وما هي؟

المصيبة رئيس المؤتمر الموقّر ونائباه الجالسان الآن على المنصّة.

علينا بهم جميعا، ويا ليتك تنصح السيّد رئيس المؤتمر بتقديم استقالته حفظا لماء الوجه.

لا داعي لذلك؛ فاللبيب بالإشارة يفهم.

قُدّمت الاستقالة، والكبرياء في الصدر يكتمه ألم، والسّهم في مكانه سهمان، والوزن فعلان.

فعلَّ به يتمّ تمكين السّهمين من مكان الرّماية، وفعلَّ به يرمى زيدان بلا رأفة. وهكذا هو حال السياسة مثل حال البورصة بين ارتفاع وانخفاض، مرّة بمرّة، مرّة (لحزب العدالة والبناء) وأخرى (لقوى التحالف الوطني)، أمّا الوطن فله ربّ يحميه.

جاء المسترق للسّمع ناصحا:

لا ترموا بأسهمكم في بورصة بعينها، بل ارموا بها في كلّ البورصات والاتجاهات.

ولكن كيف لنا برمي تلك البورصة التي سَلِمَ بها السيّد عبد الرحيم الكيب؟

أتركوا الكيب، وفكّروا في حاضركم، دون أن تنشغلوا بمستقبل غيركم.

ها أنا قد رميت الثلث؛ فعطلته عن العمل.

وها أنا رميت كتلة (الوفاء للشهداء).

وها أنا رميت أيضا كتلة العلمانيين.

وأنا كذلك رميت كتلة السلفيين.

ارموا ما استطعتم، فأنتم الآن قد وضعتم أقدامكم على الطريق المستقيم.

وسأل أحدهم: كيف لي بالمزيد؟

أرمي رئيس الوزراء بسهمين.

ها أنا قد رميته في ملابس نومه.

أأنت واثق ممّا تقول؟

نعم، وقد زرته هناك، لأراه بأمّ عيني منكسر الخاطر.

ولكنّه من بعد ساعات قد تحرّر.

أعرف ذلك.

إذن، عليك بأخذ الحذر.

لن يستطيع أن يعمل لي شيئا.

جاء خبر اختطاف أبو سهمين فجأة، وبهذا الاختطاف إن صدقت رؤية (الفيس بوك) تكاد أن تكون الكفتان قد تعادلتا (وما رميت إذ رميت).

اجعلوا من أنفسكم قادة، مثل ذلك القائد الذي حكم **42** عاماً.

وكيف لنا بذلك؟

اعرضوا أنفسكم ملوكا، وحفّزوا الشّعب على الأخذ بما تقولون دون أن تدفعوا أنفسكم إلى الأخذ به، وإن عرفتم النّاس أنّهم سيأخذون بما تقولون، انقلبوا على ما قلتم، قبل أن ينقلبوا عليكم؛ وهذه من عبر التاريخ؛ فذلك القائد الوحيد كانت معظم سياساته إذا شعر أنّ النّاس سيأخذون بما يحرّضهم عليه، ينقلب على نفسه،

وذلك بانقلابه على ما حرّضهم عليه، وإليكم خير مثال فيما كان يدعو إليه من وحدة عربية؛ فهو المحرّض على وحدة العرب ولو بالقوّة؛ ممّا جعل النّاصريين والقوميين والبعثيين والمواليد الجدد، يهتفون بما يقول، ويسعون جادّين من أجل تحقيق هذه المطمح العربي؛ فيفاجئ الجميع بحربٍ مع مصر العروبة، وما إن تنتهي الحرب مع مصر، يفاجئ الجميع ببشائر حربٍ مع تونس، وما إن تنتهي يفاجئهم باختلافات على الحدود مع الجزائر، إلى جانب تلك المؤامرات التي استهدف بها إخوتهم في السودان، وكذلك إخوتهم في دول الخليج والمملكة المغربية.

ولسائل أن يسأل:

لماذا هذا التناقض؟

أقول:

لأنّ حقيقة ما كان يطرح من شعارات للوحدة العربية كان الهدفُ من ورائها هو: تقويض البعد الوطني عند الليبيين، المتمسّكين بوحدتهم الوطنية والاجتماعية والحضارية والأخلاقية، التي بها يتميّزون كما غيرهم يتميّز عنهم في أوطانه، فخلع الزّي الليبي من على ظهره، ورمى به بعيداً، وبدأ يرتدي البرنوس المغاربي، وأحياناً العمامة السودانية، وأحيان أخرى العباءة الخليجية، وذلك بهدف إضعاف الانتماء إلى ليبيا وطنيا؛ فحذف من المناهج والمقررات

الدراسية كلّ ما من شأنه أن يقوّي وحدة الليبيين الوطنية، ونشر بدلها كلّ ما يشدّهم تجاه الوحدة العربية التي هي حقيقة مأمولة عند العرب جميعاً، وعندما شعر بأنّ الليبيين قد أصبحت اتجاهاتهم وحدوية أكثر ممّا هي وطنية، أسرع وبدون مقدّمات طرح مشروع الوحدة الأفريقية، وسخّر لها الوسائل الإعلامية، وحشّد لها ما استطاع أن يحشّده، بعد أن خلع ذلك البرنوس المغاربي الجميل، وتلك العمامة السودانية الرّائعة، وتلك العباءة الخليجية الرّفيعة، ووضعها كوماً واحداً فوق ذلك الزّي الليبي الأصيل الذي سبق له أن خلعه، وارتدى تلك الملابس المزخرفة بالألوان الفاقعة، التي لم يعرف الليبيون حتى الآن هل كانت هي ملابس للرّجال، أم أنّها ملابس للنساء؟

ولسائل أن يسأل:

لماذا عرض مشروع الوحدة الأفريقية على حساب الوحدة العربية؟

أقول:

هذه من طبائع الذين لا يرون غيرهم مركزا، ويعارضون ما يقولون قبل أن يعارضهم النّاس، والذين إذا عرضوا فكرة أو مشروعاً ووجدوا النّاس مقبلين عليه أو متجهين إليه رغبة، يصبحوا هم أوّل المعارضين له، ومن هنا، جاء ذلك المعلّم بمشروعه للوحدة الأفريقية التي كان يراها خير وسيلة لمحو ما علق في عقول الليبيين من شعارات، وهتافات، ومبادئ للوحدة العربية؛ فذلك المشروع لم يكن لغاية

الوحدة مع الأفريقيين، ولكن بهدف محو ما علق في أذهان الليبيين من مفردات للوحدة العربية، التي قال لهم عنها ما قال. ولهذا، عمل ما في وسعه من أجل أن لا يكون لليبيين قضيّة، ولكن في دائرة غير المتوقّع كان لليبيين أكبر قضية، أسقطت كلّ المقدّمات التي سادت سنين مخالفة بالتمام إلى نتائجها.

صدقت أيّها الشيخ (مسترق السمع)، لقد كانت لليبيين قضية.

أقول لكم كانت وستظل: بل، قضيتهم كبرت وأخذت لها عنوان الوطن؛ وحتى لا يرسّخ هذا العنوان، وتدفعون الثّمن غاليا، عليكم بإلهاء الليبيين في أنفسهم قبل أن يلهوا بكم فرادى وجماعة، ولا شيء يطيل عمركم ملوكاً سوى أن تلهوهم بأنفسهم كما ألهاهم فيها ملك الملوك من قبلكم، فذلك الملك كان كلّما طرح مشروعاً حشّد له وحرّض عليه، لا لشيء، إلّا ليجهد الليبيين ما استطاع لذلك سبيلا، حتى لا يكونوا مشاركين فاعلين، ولكي يلهيهم في أنفسهم، أو في الآخرين، ولهذا حكم الليبيين بلونٍ واحد، بعد أن حرّم عليهم الأخذ بأيّ لونٍ من ألوان الجمال.

لقد عرض مشروعه الاشتراكي حتى استبشر الليبيون الرّحمة، فتح لهم الجمعيات التشاركية؛ فعلّم الليبيين الوقوف في الطوابير تحت الشّمس إلى أن يصل كلّ منهم حسب دوره المصطفّ من أجله، إلى أخذ نصيبه الذي لا يسدّ رمق أسرته، ففتح لهم الأسواق الاشتراكية

ليجعل الليبيين يلبسون لوناً واحداً، ونوعاً واحداً، ويأكلون أكلاً واحداً، وفي المقابل يُحرمون ممّا يرغبون ويشتهون، وهو: المحرّم استيراده، ومع ذلك استبشروا الانعتاق، فاستعصموا، وشدوا على بطونهم ناراً تحت الرّماد.

ولأنّ الملك كان اشتراكيا؛ فأوّل خطوة خطاها: تخلّص من شركائه أوّلا بأوّل، إلى أن خلت له السّاحة، فبدأ بتقديم أبنائه لوراثة حكمه الاشتراكي.

ولأنّه اشتراكي؛ فهو لا يثق في أحد، وهذا المبرر كان العائق الوحيد أمامه لقيام دولته الاشتراكية؛ فبقيت الاشتراكية معلّقة إلى أن كبر أبناؤه؛ فاختار كبير الإخوة الأشقاء ليكون على رأس الاشتراكية من بعده.

وعندما بدأ الوريث باستلام مهامه الاشتراكية، رفع ثلاثة شعارات اشتراكية تضاف إلى تلك الشعارات التي رفعها ملك الملوك من قبله بقوله: إن لم تُطيعوني؛ فلا تحلموا أيّها الليبيون بثلاثة:

. النفط والغاز: سيحرق.

. التعليم والصّحة: يتم إلغاؤها.

. الوحدة الوطنية: تقسّم ليبيا.

هذه، هي: اشتراكية ذلك الملك، الذي كان يتحدث عن أهميّة المشاركة وكأنّه رسولها، وفي المقابل هو من عمل بكلّ ما في وسعه من أجل القضاء عليها، أو على الأقل تقويضها.

وبماذا تنصح أيّها الشيخ الكريم، حتى لا نُقوّضُ، أو يتمّ الانقضاض علينا من الجولة الأولى؟

أنصحكم من قلبي بالتأني؛ فلا تستعجلوا على تمكين المواطنين من ممارسة حقوقهم؛ فهم لم يرتقوا وينضجوا بعد إلى مستوى ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسؤوليات، وبذلك لم يكونوا في مستوى الإدراك السياسي الذي به يتمكّن المواطن من ممارسة حريّته، كما أنّهم لم يخبروا بعد إدارة شؤونهم الاقتصادية، وبالتَّالي فأنتم المسؤولون عن ذلك، ممّا يستدعي سنّ القوانين التي تخوّلكم لأن تحلَّوا محلّهم إلى حين.

همس بعض المسؤولين في آذان بعضهم بعضا، يبدو أنّ شيخنا متخصّص في الفكر والسياسة معاً، وها هي الفرصة بين أيدينا، وكأنّها من السماء نزلت علينا، لنستغلّها ما استطعنا، وبخاصّة أنّ الشيخ بآرائه مخلص لنا، وحريص على المواطنين، ووفي للوطن.

ولكن يا سماحة الشيخ، نحن كنّا في المهجر، ولم نلمّ بعد بهذه الحقائق التي ألممت أنت بها عن قربٍ؛ فما النصيحة؟

اعملوا ما في وسعكم على سدّ السُّبل الممكّنة من الصحوة، وأكثروا من الإماء بالعصي الطويلة، حتى تتمكّنوا من مفاصل الدّولة، ثمّ، افعلوا بلا تردّد على عمل ما فعله سابقكم أيّها الملوك اللاحقون.

وهل لنا بمعرفة تلك النظرة التي بها استطاع أن يفرض سيطرته على الواقع الليبي؟

لقد عمل ذلك الملك بعقلية شيخ القبيلة؛ فبايعه الجميع.

سنأخذ بالنصيحة، ولكن، ماذا فعل حتى جعل الغالبية مغلوبا على أمرها؟

قوّض معظم القيم؛ حتى تسمية الأبناء واختيار شريك الحياة أصبح مقوّض برؤية الشيخ، الذي زوّج من زوّج، وطلّق ممّن طلق، وصادر ممتلكات من يمتلك، وسجن من يصلّي الفجر في المساجد وهو ملتحيا، وداهم محلات ومقرّات من داهم من الباعة والملّاك، وكذلك لقد غيّر وثائق السجلّ العقاري، ثمّ تلاه بالحرق، بغرض تزوير الحقائق التي بها تقوّض حقوق المواطنة، من حقّ التملّك، إلى حقّ الانتماء إلى الوطن.

ومن ثمّ، استسلم له من استسلم سنيناً، ورفض من رفض سنيناً، وتجنّب من تجنّب، واستشهد من أستشهد، وثار من ثار حتى تحرّر وحرّر، ولذلك كان الثّمن في سبيل تحرير الوطن والحاجات المشبعة للحقوق مرتفعاً.

ولكن يا سماحة الشيخ هذا ما لا نأمله.

ماذا تأملون إذن؟

لا نأمل ثورة علينا.

نعم، ولكن يبدو أنّكم نسيتم ما قاله الشّيخ الكبير من حِكمة، وبخاصّة بعدما سُجّلت تلك البراءة العلمية باسمه إضافة جديدة في المنظمات الدولية والبحر الميت.

ماذا قال:

قال: الثورة مثل حرف الـ(ق) في كلمة القرن، لا تقع في القرن إلّا مرّة واحدة؛ فهل أنتم تريدون أن تحكموا أكثر من قرنٍ.

أعطنا قرنا، وخذ ما تبقّى.

أنتم في القارة السّمراء الممتلئة بوحيد القاف قرناً.

ها هي ضربة الحظّ جاءت معنا؛ إنّنا من أهل القارّة السمراء.

ولذا، عليكم بالمشيخة؛ فهي في معظم الدّول الأفريقية تعدّ القوّة الممكّنة من الدّولة.

وعليكم بأخذ الخيمة شعاراً كما اتخذها من سبقكم شعاراً وعنواناً منافساً لعناوين البناء والإعمار.

ولكن الشّعب يريد البناء والإعمار.

هذا ما يرغبه الشّعب أوّلاً، ولكن أنتم ماذا ترغبون أوّلا؟

أوّلاً، نرغب في المكاسب، والمغانم، والكراسي.

وهذا ما لا يرغبه الشّعب؛ فالشّعب لا يقبل بمن غايته ورغبته المكاسب والمغانم والكراسي على حساب مصلحة الوطن، بل يقبل بمن يعطي كثيرا ويأخذ حلالا.

إذن، يبدو بحقّ إنّ الخيمة حلّ.

ها أنتم أدركتم من أين تؤكل الكتف؛ فكلوا ممّا تشتهون لحماً، واتركوا للشَعب كتفا كما ترك له الشيخ خيمة.

وماذا تعني الخيمة سياسيا من وجهة نظر ذلك الشّيخ؟

* لا للاستقرار.
* لا للبناء.
* لا للإعمار.
* لا للحضارة والثقافة.
* لا للتعليم النّاجح.
* لا للاعتراف بالآخرين.
* لا لاعتبارهم.
* لا للتخطيط الإستراتيجي.
* لا للتقدّم.
* لا للتغيير.
* لا لصناعة المستقبل.
* نعم لسياسة المرعى.

ونحن بما استعرضته علينا من معلومات مفيدة عن تلك السياسة التي رُسمت في الخيمة التي كنت أنت على رأس المستشارين شاهدا عليها، نعترف إنّها كانت سياسة المرعى.

وعليه: أيّها المشايخ الجدد: إن أردتم قرنا من الحكم؛ فخذوا الخيمة شعارا، وارسموا سياساتكم بلا عاطفة؛ فالعاطفة والكرم، وحسن الخلق، والصّدق والأمانة، والوفاء، لا أولويّة لها في القواميس السياسية.

ولماذا رسم ذلك الشّيخ سياساته في الخيمة التي تعني الوفاء والصّدق والكرم وحسن الخلق؟

ليظهر للغير أنّه على تلك القيم الحميدة.

ألم يكن بهذه السياسة قد وأد قيم الخيمة بين ركائزها وأعمدتها؟

نعم إنّه قد فعلها.

يا له من داهية، نصب الخيمة منبت المكارم، بغاية وأد مكارمها؟

اسمحوا لي أن أقول لكم إن كنتم بهذه العاطفة؛ فلن تكون لكم سياسة جامعة وممكّنة.

جامعة لماذا؟ وممكنة من ماذا؟

جامعة للمكاسب والمغانم، وممكّنة من الكراسي.

أشهد أنّنا نريدها تامّة وغير منقوصة.

إذن، عليكم بمنهج ذلك الشّيخ الذي وصف شعبه بالحقراء، وأكثر لهم من الأجهزة السرّية والعلنية المتخصّصة في التصنّت على مرابيع وغرف الضيافة، والأخرى المتخصّصة في التصنّت على غرف النّوم، والعصرية التي تواكب حركة التغيّر في شبكات الإنترنت والمعلومات المتطوّرة.

ولسائل أن يسأل:

من أجل مَّن كلّ هذا؟

هل مِن أجل شيخ القبيلة الذي جعل من نفسه ملك الملوكا، وقائد القيادة الإسلامية، والقائد الأممي؟ أم أنّه كان من أجل أفراد القبيلة؟ أم أنّه من أجل الشّعب؟

. شيخ القبيلة على مستوى الدّولة يقول: كلّ ذلك من أجل الشّعب.

. أفراد قبيلته يقولون: هذه هي قبيلتنا، وهذا هو شيخنا، ونحن بعضنا من بعض.

. والشّعب الذي وصفه الشّيخ بالحقارة عندما خاطبه بقوله: (تحيا دولة الحقراء) يقول: كلّ ذلك من أجل الشيخ الكبير.

ومن ثمَّ، من يصدِّق من! قضية يغيب فيها المنطق، لابدّ وأن تكون بلا حكم عادل.

ولكن في عصر التقدّم العلمي، بدأ الوعي السياسي، وبدأت دائرة المعارف تتّسع، حتى تمكّن الإنسان من التفكير في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع)، وبدأت النشرات الدّولية تكشف كلّ حساب، وبدأت الاتصالات دوائر متداخلة ومتواصلة، وانكشفت الأسرار التي كانت محظورة على أفراد قبيلتنا (ليبيا)، وبدأت التساؤلات:

. من أنت؟

. من تكون؟

. من أين لك هذا؟

. لماذا السّجون؟

. أين الحرّية والشّفافية؟

. لماذا العمل على توريث الدّولة للأبناء، وكأنّها مزرعة خاصّة؟

. لماذا الدّولة بلا دستور؟

. كم مجموع دخلنا الوطني؟ وما هي أوجه التصرّف فيه؟ وعلى أيّة قاعدة تشريعية، أو دستورية، أو قانونية؟

. لماذا لا نكون نحن سويّاً نقرّر وننفّذ؟ كل وفق صلاحياته، واختصاصاته، وحقوقه، وواجباته، ومسؤولياته المقنّنة وطنيا؟

. لماذا لا يكون للوطن شعار يعكس تلك الأخلاق، والمبادئ المستمدّة من القيم الحميدة والفضائل الخيّرة؟

ويجيب شيخ القبيلة:

الخيمة ... ثمّ الخيمة ... ثمّ الخيمة ... ثمّ من بعدها على الرّأس توضع العمامة.

فَبُنيت الخيمة، ووضعت العمامة على الرّأس؛ فكانت الخيمة مكانا لإنتاج الأغاني على من اتخذها شعاراً؛ ومكاناً لاستقبال الزّائرين والزّائرات، ومكانا لإصدار الأوامر التي تُمكّن من تصدر له من قطع رأس من يعترض على الخيمة أو العمامة، كونهما الشّعارين الرّئيسيين المعتمدين للدّولة من قبل شيخها.

ومع ذلك أزداد الخوف في مقابل ازدياد دائرة الانفتاح، خوف أفراد القبيلة من المحاسبة، وخوف الشّيخ من السّقوط، وخوف الأجهزة الأمنية من المظاليم، وبدأ الاطمئنان بأنّ المنطق سيسود على بساط التحكيم، وأنّ الحقّ سيهزم الباطل بقوّة الحُجّة.

تكوّنت العلاقات العابرة للحدود، من خلال التمكّن من الاتصال بالآخر عبر شبكات الاتصال المتطوّرة، وتمكّن الجميع من معرفة الحقائق، التي كانت مخفيّة عن أفراد القبيلة، وبدأت العقول تصحو، وأصبح الحديث ظاهراً بعد أن كان حبيساً في الصّدور، ودائرة الهوامش تتّسع بعد أن كان المرور من بوتقة نفق الصّمت.

أصبح الجميع على شبكة الإنترنت يتبادلون المعلومات، ويتكلّمون على ما يمكّنهم من رسم سياسة المستقبل، والعمل على

صناعته، وأصبحت المسافات تطوى في الزّمن القياسي، والقرية لا تختلف عن المدينة في شيء، والمعلومات تُبثّ للجميع على شبكة الأحاسيس والمشاعر وكأنَّها من ذاكرة الأحلام؛ فعرف الرّجل أنّ تفرّده بالقرار والتنفيذ لن يدوم، وعرفت المرأة أنّها على الطريق الذي يمكّنها من المشاركة باتزان.

واقع يسابق الخيال حتى إنّ البعض أصبح يعاني من الدوران نتيجة عدم مواكبته حركة التغيّر التي طُويت فيها المسافات، وكأنَّ الجميع يجلسون على الدائرة القطبية التي تجعلهم ينظرون إلى الليل والنّهار وهم في ذات الزّمان والمكان.

التلاميذ أمام الشّاشات يتلقّون العلم، وهم في قُراهم، ومدنهم من الأستاذ الذي تبعده عنهم المسافات، وتقرّبه لهم شبكة المعلومات (الإنترنت) وشبكات الاتصال المطوّرة والمتنوّعة.

لقد انتهي عصر الشّيخ، وعكازه الذي يخطُّ به على الرّمل عندما يخطط به كما يشاء، ويوكز به أنوف من لا يأتون على مزاجه، وجاء عصر العلائق المفتوحة، وعمّت فكرة التحكيم بالمنطق بغضّ النّظر عمّن يكون في أطراف الحوار، المهم أن يحدث التوازن، ويسود العدل الذي تتساوى به كفتا الميزان.

لقد عبث شيخ قبيلتنا بما عبث، وفقا لنظرة لا تزيد عن حدود المرعى الذي ترعى فيه الماشية، التي يباع منها ما يباع، ويذبح منها

ما يذبح، ويصلب منها على الحِبال ما يصلب؛ فنظرته للسياسة بلا أمل؛ فهي: لا تزيد عن منظور تلك القصائد الشعبية التي ورثها، وهي تحمل في أبياتها بطولات القبيلة، وما سفكت من دماء في غزواتها على قبيلة من القبائل المجاورة لها على تراب الوطن، أو ردّ ثأر في غير مرضاة الله، أو إيقاد نار فتنة والخروج منها بسلام، في مقابل التضحية بأفراد أو جماعات من قبائل أخرى، ومن هنا، كانت سياسات الحاضر تُرسم بعقول الأموات.

فذلك الشّيخ كان ينظر إلى الماضي مصدرا للدفء؛ فيحنّ إليه وكأنّه سيأتي مرّة ثانية، وهذا العقل لم يُمكّنه من التفكير التطلّعي، وبالتّالي لا يحسّ بأهمية المستقبل، ولا حتى ينظر إليه، ممّا جعله يلوك التّاريخ الماضي، كما تلوك الفرس اللجام، لينسجم مع تلك البطولات الخيالية التي بليت عظام أصحابها؛ فهو لا يعرف أنّ الحياة بدون طموح ترافقها المرارة، وبالطموح عسلٌ مُصفّى.

هنيئا لك يا سماحة الشّيخ على نقلك للمعلومة، وتوصيلها لنا بأمانة، ثمّ، جاءت الابتسامات، وهم فيما بينهم يقولون: سماحة شيخنا سماحة علم، وسماحة شيخهم خنزرة؛ فكان الضّحك وسط ابتسامة شيخهم عريضا، ثمّ قالوا: وماذا بعد؟

أتريدون قرناً أم قرنين؟

القرن يكفينا؟

والقرن الثاني لأبنائنا من بعدنا.

إن كانت هذه نظرتكم؛ فعليكم بشراء الذّمم كما اشتراها ذلك الشّيخ من قبلكم، أم ظننتم أنّ تلك الوفود التي جاءت إليه طائرة بعد طائرة، لتبايعه كما يشاء ملك الملوك غير قابضة؟ فحتّى المصلّين البسطاء الذين ينبغي أن يكونوا أكثر تمسّكاً بصلاتهم، جاءوه وفوداً ليصلي بهم في ذكرى مولد النبي محمّد.

يا ليتهم يا سماحة الشيخ ما أتوا؛ فالصّلاة خلف الأئمة الكرام في المساجد هي الصّلاة الطاهرة، والصّلاة في البيت الحرام هي خير صلاة؛ فلماذا لم يكن التوجّه إلى البيت الحرام بدلاً من التوجّه إلى الصّلاة خلف ذلك الشيخ؟

ها أنتم فقط تسألون وتستغربون.

قال بعضهم لبعض: وكأنّ سماحة الشيخ غير راضٍ علينا.

ماذا يضايقك يا سماحة الشيخ؟ نأمل أن لا نكون قد أخطأنا في شيء يزعجك.

أنتم لا تجيدون التفكير؛ فلو كنتم تجيدونه، لالتقفتم فكر شراء الذمم التقافاً.

نعاهدك على شرائها وسترى بأمّ عينيك.

سأترككم لتشتروا.

وأنت إلى أين؟

**لمعالجة مشكلة بين أصحاب الرّايات.**

**نحن في أمس الحاجة إليك؛ فلا تبتعد.**

**متى ما شئتموني ستجدونني قاعدا لكم ولهم وسط الصراط، وبين أيديكم وأيديهم، ومن خلفكم وخلفهم، وعن أيمانكم وأيمانهم، وعن شمائلكم وشمائلهم؛ فأنا قد انذرت نفسي لكم بعد أن كنت ناذرها لذلك الشيخ.**

# الرّايات

***

(عندما تتعدّد الرّايات في الوطن؛ فلا ضابط لإيقاع نشيده)

# الرّايات

***

الجميع يتألق بتألق راية وطنه، مكانة، ورفعة، وهيبة دولة، راية تحت ظلّها يتمكّن الجميع من أنشودة الوطن، والاعتزاز بدفئه والانتماء إليه.

ولأنّ راية الوطن تدلّ ممّا تدلّ عليه، قيام الدّولة المستقلّة، والشّعب الواحد؛ فهي في الوقت ذاته تدلّ على الخصوصية الوطنية، ثقافة، وعرفا، ولغة، ودينا، يجعل لشعبها هويّة وخصوصيّة بها يتميّز عن غيره من هويّات وخصوصيات الآخرين الذين يتميّزون بها.

راية الوطن مع أنّها رمز الاستقلال للدّولة، ووحدتها الوطنية التي بها يتمكّن الجميع من ممارسة الحرّية، لكنّ لكلّ قاعدة استثناء، فراية الوطن عندما ترفع من قبل الأقليات التي يحتويها الوطن كونها جزء من شعبه، فرفعها قد يكون لأسباب الضرورة أو المغالبة، وعندما ترفع راية الوطن بهذه العلل من قبل الذين ينتمون لأصول عرقية متباينة تكون معرّضة لرفع البديل متى ما اكتسبت الأقليات قوّتها أوّلا بأوّل.

أيّ: في الزّمن الآمن مع قوّة الدّولة، والتقدير المتبادل، والحقوق المكفولة شِرعة ومنهاجا، والاعتبار الذي به يقدّر البعض بعضا، ينشد الشّعب نشيده المقرّ دستورا تحت مظلة الرّاية الوطنية، ولكن في غياب أو ضعف أيّ منها، ترفع الأصوات من قبل الأقليات خروجا عن القاعدة (الوطن واحد والرّاية واحدة، والنشيد واحد، واللغة واحدة، والدين واحد)، مطالبة بممارسة الحرّية الثقافية الخاصّة بكلّ أقلية، ثم الدّينية، ثمّ اللغوية، وعندما تكتسب أيّة أقلية عرقية القوّة، ستكون متهيئة ومستعدّة ومتأهبة لتنتزع ما كانت تطالب به مطالبة سلمية.

فليبيا في فترات النضال الطويلة والمريرة من أجل نيل الحرّية والاستقلال الوطني، استظل شعبها برايات ثلاث لأقاليم ثلاثة في دولة واحدة (المملكة الليبية المتحدة) حتى **26** أبريل **1963** حين عُدل دستور الاستقلال المعمول به في **24** ديسمبر **1951**م، فأصبحت راية الاستقلال هي الرّاية وحدها، ولا راية غيرها ترفع معها، إنّها راية (المملكة الليبية). ومع ذلك؛ فتلك الرّايات لا شكّ أنّها لا زالت ماثلة في أذهان البعض الذين يحلمون بالسيادة الخاصّة (الإقليم) جنبا إلى جنب مع السيادة العامّة (الوطن).

ولأنّه التاريخ، كانت الرّاية السوداء ذات الهلال والنّجمة علما لإمارة برقة في مرحلتين: الأولى: في مرحلة الحكم الذاتي في عهد

الاستعمار الإيطالي (حكومة أجدابيا)، والثانية: حينما استقلّت برقة في أكتوبر 1949م.

أمّا علم الجمهورية الطرابلسية (1918–1923)؛ فيتألف من خلفية زرقاء سماوية، وفي وسط العلم نخلة خضراء اللون، وتعلو النخلة نجمة بيضاء.

أمّا إقليم فزّان؛ فلم يكن له علمٍ مميّز قبل الاستعمار الإيطالي سوى علم الدّولة العثمانية (العلم الأحمر ذو الهلال والنجمة).

وإلى جانب هذه الرّايات الثلاث، هناك راية رابعة وهي: راية الأمازيغ المتكوّنة من ثلاثة ألوان (الأزرق والأخضر والأصفر، ويتوسط الألوان الثلاثة حرف الزاي بالأمازيغية).

فليبيا عبر التاريخ، شعبها مقاتل، ولم يتذوّق طعم الحرّية قرونا طويلة (قبل الميلاد وبعده)، إلّا بعد أن حرّر تراب وطنه (ليبيا) عام 1951م، دولة وطنية لكلّ الليبيين بمختلف ألوان طيفهم، فكان نشيدهم الوطني يعلو مع راية الاستقلال ذات الألوان الثلاثة والهلال والنجمة.

تمَّ جاء الانقلاب على ذلك النشيد الوطني، وتلك الرّاية الوطنية، في 1969/9/1م، وتمّ تغيير اسم المملكة الليبية إلى (الجمهورية العربية الليبية) وأخذت لها راية ذات ألوان ثلاثة (الأحمر والأبيض والأسود) ثمّ غُيّرت تلك الرّاية بأخرى عام 1972م (راية اتحاد

الجمهوريات العربية) ثمّ، غُيّرت الرّاية مرّة أخرى عام **1977**م براية خضراء اللون، ولا شعار فيها.

ولأنّ ليبيا عبر التاريخ دولة واحدة؛ فلا يمكن أن تتجزأ بسهولة كما يظن البعض؛ فالليبيون قبائل متداخلة في لحمة الوطن؛ فلا يوجد في دائرة المتوقّع ما يفرّقها، ولكن في دائرة غير المتوقّع كلّ شيء ممكن من خلال الانتماءات العرقية، والهويات المزدوجة والعلاقات مع الآخر، الذي لم يترك ليبيا عبر التاريخ دولة مستقلة إلاّ في عام **1951**م، ومع ذلك، بأسباب الحاجة، تلعب التبعيّة لعبتها.

وعليه؛ فدولة تجمع رايات أربع، إلى جانب راية جديدة رُفعت بعد ثورة **17** فبراير **2011**م، وهي راية (أنصار الشريعة) ألا يكون وراء كلّ راية علّة قد تحفّز الضعفاء في الداخل، والطامعين من الخارج، على ما يدور في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من أطماع وسياسات؟

قرأ مسترق السمع ما قرأ، ثمّ على الفور كان في الجنوب الليبي ضيفا ثقيلا على بعض من قبيلة التبو، أين أنتم؟ وإلى متى ستظلون غرباء؟ فأنتم اليوم أصبحتم قوّة تربط شمال دولة تشاد بقلب الجنوب الليبي، فارفعوا رايتكم إن كانت لكم راية، وإن لم تكن لكم راية؛ فعليكم بها، وإلّا الليبيون سيقررون ما لم يكن في حسبانكم.

فكان لسان أحد زعمائهم: ألم أقل لكم من قبل ما قاله لكم هذا الضيف المحايد؟

نعم حان وقت التفكير في راية خاصّة بهويّتنا، تجمع في ألوانها من الألوان ما ينسجم مع راية تشاد، وراية الأمازيغ، وراية إقليم برقة، والجمهورية الطرابلسية، وشيئا من راية الاستقلال.

وأضاف آخر: وأين راية الجنوب؟

فكانت الإجابة من ذلك الضيف: أنتم الجنوب، ولا غيركم؛ فأنتم قوّة تستطيع أن تجوب أراضيه مدنا وقرى وصحارى؛ فلا تتردّدوا، ولا تكونوا جبناء؛ فأنتم سادة الجنوب.

صفّق البعض للضيف، وبهجة أنفسهم تكاد أن تنطق مع ذلك الحديث مختلط اللغة واللهجة (ليبتشادي)؛ فكانت الاحتفالات والرّقصات الفنية بتوجيه ضابط الإيقاع لسيمفونية ذات أبعاد ثلاثة (ليبي تشادي فرنسي) لترسم خريطة الرّقص لليبيا على رمال الجنوب.

والسيمفونية الموسيقية في قمّة عزفها رفع الضيف صوته:

أسرعوا يا أبناء التبو، واضغطوا على المكوّنات الاجتماعية والسياسية؛ فهي في حالة ضعف، ولا تستطيع أن ترفض مطالبكم، وستقدّم لكم مزيدا من التنازلات إن صمدتم؛ فاصمدوا، وارفعوا سقف المطالب.

ولكن، هل هناك من يعتمد هذه المطالب ويصدّق عليها حتى تأخذ صفة الشرعية والديمومة؟

ليبيا الآن تمر بمرحلة تشتّت مراكز القوّة، ولا وجود لقوّة حاسمة للأمر بعد، ولا وجود لمسؤول محايد، الكلّ أطراف؛ فحان وقت فرض مطالبكم، وفرض وجودكم فرضا.

ألا يكون المؤتمر الوطني العام وحكومته المؤقّتة محايدين؟

لو كانا محايدين، لما بلغ الحال بليبيا إلى ما بلغ إليه من فتن بين القبائل والمدن، ثمّ بين رفقاء الثورة؛ فكم من كتيبة باسم الثورة ضدّ كتيبة أخرى؟ وكم من مدينة ضدّ مدينة؟ وكم من قبيلة ضدّ قبيلة؟ وكم من كتلة سياسية ضدّ كتلة أخرى؟ وكم من جماعة ضدّ جماعة؟ وكم من قادة ضدّ قادة؟ وكم من فردٍ ضدّ فردٍ آخر؟

فقال: الضيف:

ألم أقل لكم جاءت الفرصة تسعى إليكم قبل أن تسعوا إليها؟ فليبيا كما تقولون: لا محايد حتى تاريخه، ولهذا، عليكم بصناعة التاريخ في الجنوب، ومن ثمّ، ستعرفون أنّ أمواج البحر عندما تقبّل اليابسة لا تقبّلها إلّا من أجل الترحاب بكم.

تأكّد إنّنا قادمون.

ها أنتم عند حسن ظنّ أبنائكم إن فعلتموها، وإلى اللقاء.

إلى أين؟

إلى قبائل الطوارق، الذين هم الآخرون لم يقرّوا بعد راية خاصّة بهم.

وبماذا توصينا؟

قاتلوا من لا يقبل بهذه الحلول، وأعطوا العهود للبعض، ولا حرج إن خالفتم العهود، ولكن لا تقصروا نظركم على أقدامكم.

ماذا تقصد؟

أقصد عيونكم على تلك الأمواج التي لا تُقبّل اليابسة إلّا من أجلكم.

صدقت، وسنعمل على تحقيق حسن ظنّك فينا.

يا طوارق الجنوب، يا طوارق الجنوب، يا أهل الصحراء الواسعة، يا من ناصر أجدادكم رسول الله.....

من المنادي؟

أنا.

من أنت؟

الحريص على وحدتكم، وهويّتكم، وسمعتكم التي ستنتهي ما لم تتخذوا لها راية تميّزها عن راية الامازيغ، الذين يتكلّمون باسمكم أمازيغ.

لا..، نحن طوارق، ولم نكن أمازيغ.

أنتم تقولون هذا، ولكن ما يجري على المسرح السياسي الليبي غير ذلك؛ فأنتم أصبح يقال عنكم: (أمازيغ).

كيف تقبلون ذلك؟ ومنكم الأنصار أصحاب تلك الرّاية التي رفعها سعد بن عبادة وهو متصدّر لأنصار رسول الله.

نعم. نحن طوارق عرب، وعلاقاتنا ذات أواصر وثيقة مع بعض من القبائل العربية الأخرى.

لا أنصحكم بالعصبيّة؛ فبالنسبة لكم لا فرق بين أمازيغي وعربي، ولكن أولئك جميعهم لم يكونوا طوارق، ولن يقبلوا بذلك، ومن ثمّ؛ فعليكم بهويّتكم، وإلّا ستجدون أنفسكم غرباء بلا هويّة. قبائل الأمازيغ متعصّبة لهويّتها، والقبائل العربية (مدن وقرى وبوادي) متعصّبون لهويّتهم، وقبائل التبو متعصبون إلى النخاع، إلّا أنتم مضحوك عليكم، ولن يكون لكم شأن إن لم ترفعوا راية بها تتميّزون عن غيركم، كما غيركم يتميّز برایاته عنكم، وإلّا ستصبحون في خبر كان.

معك حقّ، إن لم نفعلها لا شكّ أنّنا سنصبح في خبر كان مشتّتين، بين جزائريين، ونيجيريين، وتشاديين وماليين، وتونسيين؛ فنحن طوارق وينبغي أن تكون لنا راية كغيرنا من الليبيين، ويوم أن يقرر الجميع الاستغناء عن راياتهم؛ فنحن أوّل من يتخلّى عنها وطنيا.

ها أنتم أصبحتم سياسيين.

وكيف لنا أن نتبحّر في السياسة؟

تخلّصوا من تلك الأخلاق (الصدق والأمانة والوفاء، والإيمان والشّجاعة) وحرروا عقولكم وأنفسكم وقلوبكم وضمائركم من سيطرتها؛ فأنتم تحت سيطرتها مستعمرون، ولا حرّية لكم، ولن تبلغوا مكامن السياسة، ولن تتقدّموا.

ولِم لا نتقّدم؟

لأنّكم بلا راية، وهذا يدل على عدم معرفتكم بما يجري في دواليب السياسة.

يا إلهي، وكأن السياسة بلا أخلاق! وأصحابها بلا ضمائر!

بما أنّكم لا زلتم تفكّرون بهذه العقلية؛ فلا مستقبل لكم، وبخاصّة أنّ قبائل التبو كما سمعت منهم قبل أن آتي إليكم ناصحا، أنّهم سيخرجونكم من بيوتكم، وسيرحّلون نجوعكم شئتم أم أبيتم.

هم قالوا ذلك؟

نعم. بل قالوا: سيسلبون كلّ ما لديكم ويتركونكم حفاة عراة.

إذن، علينا بأنفسنا، وعلينا بإيجاد راية نستظل تحتها، ولو أخذنا تلك الرّاية التي رفعها سعد بن عبادة، شاءت فرنسا أم لا شاء، وشاء غيرهم أو لم يشاء؛ فليبيا اليوم أصبحت ذات رايات متعدّدة، ولا فارق أن ترفع في سمائها راية أخرى.

قال عاقل:

**ألم يكن منكم رجل رشيد؟ يقول: حافظوا على وحدة ليبيا، واعملوا على تعظيم رايتها الوطنية؟**

**أين هو المحايد؟**

**المؤتمر الوطني العام، والحكومة المنبثقة منه.**

**ضحك الضيف، بصوتٍ مملوء استهزاء وسخرية وشماتة، لو كانا محايدين لما كانت دائرة نيران الفتنة بين البعض من البعض تتسع يوما بعد يوم.**

**ألا يكون المؤتمر الوطني العام غير مقبول بعد أن تظاهر كم من الشّعب يطالبون بعدم تمديد فترة حكمه التي تنتهي في 7 يناير 2014م؟**

**ألم يجعل من هيئته طرفا في مواجهة الكثيرين من أبناء الشّعب الليبي؟**

**ألا يحقّ لكم أن تضعوا كمّا من علامات الاستفهام والاستغراب على استماتت أعضائه من أجل البقاء؟**

**وهل تنكرون أنّ الحكومة في الوقت الواحد (مع وضدّ)؟ أم أنّكم لا تمتلكون ملكة التمييز؟**

**وعليه: فأين المحايد؟**

**إذن، لمن نشتكي؟**

اعمل راية لقبيلتك، أو حتى جماعتك قبل أن يحسم الأمر، ولا تجد من يعترف براية قبيلتك أو جماعتك.

وأين الوطن؟

الوطن له ربّ يحميه. وإن أردت أن تعرف المزيد؛ فعليك بقراءة تلك القصّة.

قصّة ماذا؟

قصّة الحيوان العالمي.

وأين أجدها؟

ها هي خذها.

انعقد المؤتمر العالمي للحيوانات تحت شعار المساواة والحرّية للجميع، وحضر المؤتمر مندوبون عن خمس أمم هي: الدّجاج، الثعالب، الخراف، الذّئاب، والكلاب، وكان البند الأوّل هو: اختيار ممثلين لعضوية المؤتمر. ونظراً لأهمية الديمقراطية في تأكيد نظام الإنابة والتمثيل، لم يحضر رئيس المؤتمر هذه الجلسة حتى لا يؤثّر في حرّية الاختيار، وكانت اللجنة المشرفة على الاختيار معيّنة من قبل الرّئيس الديمقراطي، وعندما بدأت الثعالب بتسجيل اسم ثعلب على أحد صناديق الاقتراع صاح ممثلو الدّجاج معترضين على أن تكون الثعالب الفاشية في لجنة المؤتمر، بل وطالبوا بطردها من المؤتمر، فصاح ممثلو الثعالب، وبدأت المشادات لولا تدخل ممثلو الكلاب

من أجل ضبط النظام، وطلبوا تأجيل ذلك إلى حين آخر. وأعطيت الفرصة لمندوبي الذّئاب لتسجل اسم من يرغبون انتخابه؛ فسجّلوا اسم أحد أبنائهم الديمقراطيين الأحرار؛ فصاح ممثلو الخراف والنّعاج معترضين على دخول الذّئاب الظّالمة حملة الانتخابات، وبدأت الذّئاب تعوي وتتوعّد الخراف بممارسة الديمقراطية بعد انتهاء المؤتمر الموقّر، وكذلك لولا وجود لجنة ضبط النظام لكانت المعركة الديمقراطية داخل قاعة المؤتمر.

بدأ الضجيج والصراخ إلى أن دخل الدّب (رئيس المؤتمر) الذي لا نزاع على مكانه في السّلطة، حينها صمت الجميع عن التشاجر، وبدأت الهتافات بحياته إلى مالا نهاية، وكأن الموت لا وجود له في عالم الحياة؛ فشكر من شكر منهم وسألهم:

ما أسباب الخلاف بينكم؟

قال ممثلو الدّجاج:

نحن نعترض على وجود الثعالب معنا في ممارسة السّلطة، وقال ممثلو الخراف: نحن نعترض على وجود الذئاب في ممارسة السّلطة معنا أيضاً، وقالت الثعالب والذّئاب معاً: نحن نعترض على وجود الكلاب في لجنة ضبط النظام، حينها ابتسم الرّئيس، وقال لهم:

ينبغي أن يستمر خلافكم وعداؤكم إلى أن تتأكد الحرّية لكلٍّ منكم وفق جهده، وهكذا أنتم ديمقراطيون إلى الأبد، ثم قال: تعتبر

الدّجاجة حيواناً عالمياً مثلها مثل الثعالب، ومثل الخراف والذّئاب والكلاب، ولهذا ينبغي أن تكون التضحية واجباً عاماً، وأنّ أمّة الدّجاج رفيعة الشأن، وتزداد رفعة وشأنا وحرّية عندما تتّحد مع أمّة الثعالب في حظيرة واحدة. وينبغي أن تمارس الخراف الديمقراطية والحرّية مع الذّئاب في حظيرة واحدة أيضاً، حتى تتحقّق المساواة بين الجميع، وهكذا ينتهي الخوف إلى الأبد، وفي ختام كلمته شاهد ولاحظ أنّ الجميع يبكي؛ فسأل نقيب الدّجاج:

لماذا يبكي الدّجاج أيّها المحترم؟

يبكي يا سيدي صاحب الفخامة من الخوف (من وحدتنا مع الثّعالب).

وسأل نقيب الخراف: لماذا تبكي الخراف؟

تكبي يا صاحب الجلالة من الخوف (من وحدتنا مع الذّئاب).

وسأل نقيب الذئاب: لماذا تبكي الذئاب؟

تبكي من الخوف.

أي خوف تعني؟

الخوف من لجنة ضبط النظام. وأجابه نقيب الثّعالب وهو يشكره: إنّنا نبكي يا صاحب الفخامة من الفرحة (من فرحة الوحدة مع الدّجاج).

وفي الختام قال رئيس المؤتمر:

ينبغي أن تُنتزع الحرّية انتزاعاً لا أن تقدم على طبق من فضة، وطلب من الجميع عدم الخوف من ممارسة الديمقراطية والحرّية، وأن يناقشوا الأمر بعد خروجهم من بوابات واحدة، ويعودوا للانعقاد في يوم الغد بعد أن تتّضح عندهم الأمور.

وفي اليوم الثاني حضر الجميع بشكل منظور وغير منظور، لمناقشة أهميّة الحيوان العالمي؛ فوجد الدُب القاعة غير ممتلئة مثل يوم الأمس، فسأل نقيب الدّجاج عن سبب غياب أعضاء نقابته؟

أجابه: سيدي، لم يغب أحد كلّهم موجودون.

أين هم أيّها النقيب؟

إنّهم يا سيدي في بطون الثّعالب، وهكذا كانت الخراف في بطون الذّئاب وفق إجابة نقيبهم.

ابتسم الدّب وقال: هكذا هي الحرّية تمارس، وهكذا أنتم عيون[8].

لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وطن لا تجد فيه محايدا، تصبح المظالم فيه هي السائدة بين مواطنيه، ممّا يدعو إلى مزيدٍ من الانشقاقات والانقسامات والصدامات، ولا مفرّ من تقليل عدد الضحايا إلّا برفع

[8] عقيل حسين عقيل، البستان الحلم، إلجاء، مالطا، ص 34 . 36، 2001.

الرّايات القبلية، والجهوية، والعرقية، انطلاقا من القول: (لا يزرّك على المرّ إلا الأمر منه).

هكذا أنتم تعودون لعقولكم، بعد هجرتها عقود من بعد سعد ابن عبادة.

يا أمازيغ ليبيا في جبل نفوسة، يا أمازيغ ليبيا الشرفاء، يا أمازيغ ليبيا القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، إيّاكم والطوارق؛ فالطوارق لا مكان لهم هنا، وعليهم بالرّحيل.

إلى أين؟

إلى هناك.

أين هناك؟

في تلك الأماكن التي لا يزالون يعتزّون برايتها.

أيّة راية؟

راية سعد بن عبادة.

عُد، وقل لهم:

إن كنتم أنصارا؛ فأنتم أنصار هناك، وليس هنا، وإن كنتم كذلك؛ فعودوا من حيث جئتم، ولن تجدوا من يقبلكم، أو يعترف بكم هنا ولا هناك.

سافر وكأنّه برقية تُرسل، أيّها الطوارق أنتم كما يقولون عنكم أهل جبل نفوسة: قطّاع طرق، ولا هويّة لكم، ولا مستقر لكم، وليس لكم إلّا الرّحيل.

ألم أقل لكم لا وجود لمحايدٍ حتى تاريخه؟

صدقت.

وها أنا أقول لكم: عليكم بإعداد العدّة، للتبو، والأمازيغ، والمؤتمر الوطني العام، وحكومته المؤقّتة.

ولماذا المؤتمر وحكومته؟

لأنّهما علّتان لعلّة؛ فهما مع أنّهما المنتخبان لهويّة واحدة، لكنّهما يلعبان أدوار الخصمين لبعضهما، كما أنّهما يلعبان في ذات الوقت خصمين لوحدة الوطن.

فقال مسترق السمع:

لو بذلت كلّ ما في وسعي كي أفسد ما أفسده مؤتمركم الوطني العام، وحكومته المؤقّتة ما استطعت؛ فهما بدل أن يكونا قوّة لبناء الوطن، كانا قوّة هدم لأركانه بلا رأفة، وذلك بتبدّل البعض وميلهم ساعة بساعة؛ فالمتبدّلون ساعة مع حزب العدالة والبناء ضدّ قوى التحالف، وساعة مع قوى التحالف ضدّ حزب العدالة والبناء، وساعة مع المستقلّين ضدّ الأحزاب، وساعة مع الأحزاب ضدّ المستقلين، وساعة مع ثوار مدينة مصراتة ضدّ غيرهم، وساعة مع ثوار مدينة

الزنتان، وساعة ثالثة مع ثوار تاجوراء وسوق الجمعة، كما أن بعضهم يأخذ ساعة قبل العصر مع السّلفيين، ويأخذ البعض الآخر ساعة بعد صلاة العشاء يهيم فيها مع الهائمين، وعند القيلولة يميل الرئيسان في حركة متضادة ساعة لأحدهما مع رئيس الأركان ضدّ ساعة للآخر مع وزير الدّفاع، وهكذا كان الحال ساعة فيدراليون إلى النّخاع، وساعة ضدّ الفيدرالية حتى الموت.

أمّا ما تبقّى من ساعات، فالبعض من المتضلّعين منهمكين في تبييض جيوبهم من ذلك الفقر.

ولأوّل مرّة أعرف أنّ المؤتمر الوطني العام بلا قضيّة وطنية، وحكومته المؤقّتة لا تعرف من الوطن إلّا الثلث المعطل لإسقاطها.

ثمّ قال في نفسه:

مساكين أهل ليبيا؛ فبعد أن كان الصّدق، والتقوى، والوفاء، والأمان، والاحترام، والتقدير، والاعتبار، ومكارم الأخلاق من مكوّنات شخصياتهم الوطنية، أصبحت الفتنة فيهم، والشكوك بينهم هي السائدة؛ ففي ذلك الزّمن جنّد قائد القيادة الإسلامية بعض النسوة ضدّ الرّجال والنسوة، وبعضا من الذّكور، حتى تلاميذ المدارس لم ينجوا من مناوراته؛ فقد جنّد منهم من جنّد، وانحرف بمن انحرف به منهم فتنة، حتى أصبحت الشخصية الليبية شخصية يملؤها

الإحباط، وأصبحت الثّقة بلا مكان يمكن أن تلتجئ إليه، وكذلك لم يجد حُسن النيّة والوفاء مكانا يمكن أن يسودا فيه.

ولهذا، جعل القائد الوحيد للوفاء عيداً، إنّه الوفاء الذي لم يزد عن كونه مجرّد احتفال ذكرى؛ فهو دليل قاطع على أنّ ليبيا أصبحت ساحة بدون وفاء؛ فبعد أن عرف أنّه قد قضى على قيمة الوفاء بين الليبيين، قرّر أن يتمّ الاحتفال به ذكرى، كما يحتفل الإنسان مرّة واحدة بعيد ميلاده، أو عيد زواجه.

ولقائل أن يقول:

ذلك الزّمن قد ولّى؛ فماذا من بعده؟

أي: هل بعد قتل السجّان، ستنتهي المظالم؟ أم أنّ المظالم ستتجدّد، ممّا يجعل بدل السجّان سجّانين؟

. وماذا بعد من نزع الطمأنينة من أنفس الليبيين؟ هل ستعمّ الطمأنينة ليبيا من الحدود إلى الحدود؟ أم أنّ الطمأنينة التي نُزعت من الأنفس بيدٍ، ستُنزع من جديد بمجموعة أيادي؟

. وماذا بعد حكم **42** عاماً تحت عنوان (الثورة مستمرّة؟) هل ستنتقل ليبيا إلى دولة ذات سيادة الحكم فيها للشّعب؟ من خلال ممثلين منتخبين بكلِّ شفافية، ودستور مصدره الشريعة الإسلامية، ولا تتولّد القوانين إلّا منه، أم أنّ عنوان (الثورة مستمرّة) عنوان سيستمرّ

معنا إلى حيث ما استمرّينا وكأنّ الثورة هي الغاية، ولا غاية لليبيا غيرها؟

. وماذا بعد انتهاء الزّمن الذي كانت فيه ممارسة الحقوق تامّة غير تامّة؟ فهل ستكون حقّا للجميع، أم أنّها ستكون محلّلة للبعض، ومحرّمة على البعض الآخر؟

. وماذا بعد أن كانت سمعة الدّولة الليبية مشوّهة كونها مقدّمة للآخرين بما يخالف القيم الحميدة والفضائل الخيّرة لليبيين؟ هل ستكون بخير، وتكون القدوة الحسنة سائدة من أجل إعادة الهيبة التي فقدتها ليبيا في المحافل الدّولة؟ أم سيكون كلّ من يدّعي الثورة هو العنوان ولا عنوان غيره؟

. وماذا بعد انتهاء نظام الحكم الذي ساد **42** عاما، هل ستكون الشرعية هي سيادة الشّعب؟ أم أنّ الشعب لا يزال في خبر كان؟

. وإذا كان القضاء على القائد الوحيد بعلّة طغيانه وفتنته بين الليبيين؛ فهل بالقضاء عليه تمّ القضاء على تلك العلّة؟ أم بدل أن كان في ليبيا علّة واحدة أصبح فيها كم من العلل؟

. هل بعد القضاء على النظام السابق سيُصلح حال ذلك التعليم، ويصبح المتعلمون قادرين على التغيير والمنافسة في أسواق العمل المتطوّرة مع تطوّر الحاجات وتطوّر مشبعاتها، أم أنّ التعليم سيصبح معتلا بأكثر من علّة؟

. هل الغش في الامتحانات لن يعود ثانية لمدارسنا وجامعاتنا؟ أم أنّ الغش سيصبح أميرا مدلّلا في بلادنا؟

. هل ذلك المستوى المتدنّي للصّحة سينتهي وتصبح ليبيا على قمم السُلّم الصحي؟ أم أنّه يزداد انحداراً إلى الهاوية؟

. هل تلك الرّشاوى التي كانت تؤخذ، وتلك النّسب التي كانت تشترط عند توقيع معظم التعاقدات، لا زالت بيننا على قيد الحياة تُرزق؟ أم أنّها قُبرت مع أصحابها إلى أبد الأبدين؟ وأصبحت الرّقابة والمحاسبة والمساءلة وفقاً لمعايير أخلاقية وإنسانية وقانونية؟

. هل بعد الثورة، ستنتهي تلك المشاحنات والسخريات، والشتائم، والتنابز بالألقاب التي انتشرت في البلاد بين النّاس، حتى امتلأت الأنفس بها؟ أم أنّها ستتولّد من جديد؛ فتعيد الليبيين إلى المربّع الأوّل، وتصبح الفتنة هي رأس مال مصارف الدّم؟

بعد الاستماع لما قِيل، سُرق القول كما سُرقت بعض المصارف، في غرب البلاد، وجنوبها، وشرقها، ووسطها؛ فتأخرّ صرف المعاشات، وأقفلت مجموعة كبيرة من حقول إنتاج النفط، وأقفلت مياه النهر الصناعي، ولا أحد يتجرأ على فتحها، إلّا بإرادة ممن أقفلوها.

قال مسترق السّمع: نعم هكذا هي الحرّية بأسلوب ديمقراطي تمارس، ولأجل ترسيخها كانت الرّحلة للشرق الليبي الذي أهله دائما

هم سبّاقون لخوض المعارك من أجل الوطن، يجاهدون من أجله، ويثورون من أجله، ويموتون من أجله متعة.

يا أهل الشّرق الليبي: ما لكم ومتعة الموت من أجل وطن متفرّق الرّأي والاتجاهات والسياسات، ومالكم والنضال من أجله، فأهل الغرب الليبي مع إنّكم عبر التاريخ تضحّون من أجل الوطن، لكنّهم لا يرونكم إلّا إقليميين؛ فكونوا كما يرونكم خيرا لكم.

هم هكذا يروننا؟

نعم.

أستغفر الله العظيم.

ولا يرون شيئا غيره، ومن ثمّ، أنصحكم بالنظام الفيدرالي الذي لا مخلّص سواه من تبعيتهم التي أخّرتكم عقودا من الزّمن، ويا ليتكم تنفصلون كما هم يتهمونكم.

أستغفر الله أن نكون انفصاليين، ولكن الفيدرالية لا تزيد عن كونها نظام إدارة شؤون بلا مركزية، ومع ذلك هناك الكثر من أبناء الإقليم لا يقبلون بذلك.

عاملوهم وكأنّهم أهل غرب، أو أهل جنوب، وعليكم بها.

معك حقّ، وكيف نعامل جماعة النُّصرة؟

وأين هم؟

منتشرون في ربوع الإقليم.

أتركوهم؛ فلا خوف منهم.

الخوف من الوطنيين الذين لا يفرّقون بين ليبيا وإقليم برقة.

متى ستعود إلى الغرب الليبي؟

الآن..... الآن.

أبلغهم تحياتنا، وقل لهم بالنّسبة لنا ليبيا وطن الأجداد رضي الله عنهم ضحوا من أجل استقلاله ووحدة ترابه؛ فليس لنا بدّ إلّا التضحية من أجله وسلامة أمنه.

سأبلغهم رسالتكم بكلّ أمانة.

يا أهل الغرب: أهل الشرق كلّفوني بقولٍ لكم يصعب علي قوله، ولكن حتى لا أوصف بخيانة الأمانة من قِبل أولئك البدو، لا مفرّ لي من قوله، يقولون عنكم: أنتم أهل مدنية لا خير فيكم، كما أنّهم يتهمونكم بالميل لحزب على حساب مصلحة الوطن.

وسيقدمون على قفل مفاتيح أنابيب الإنتاج والتصدير النفطي حتى تموتون، ويشهدون على موتكم.

يصعب علينا أن نصدّق.

صدّقوا أو لا تصدّقوا، هكذا أنتم تجهلون حقيقة أمرهم. اللهم إني بلّغت.

أستغفر الله العظيم، إخوتنا الأعزاء يقولون هذا! ويعرفوننا وطنيون كما نعرفهم وطنيون، نحن معهم، نحن معهم، وطن واحد لشعب

واحد؛ فنحن سكان العاصمة، والعاصمة للجميع، ولا نرى جمالا لليبيا إلا بجمال ألوان طيفها، (عرب، وأمازيغ، وطوارق، وتبو) والدّين واحد (الإسلام)، وهذه الألوان عبر التّاريخ لم تكن ليبيا إلاّ بها.

وهنا، تدخّل مسترق السمع: أريد أن أقول لكم ما هو متوقّع من ألوان الطيف الوطني:

الطوارق الليبيون سيكونون أكثر جاذبية لإخوتهم الطوارق الذين يمتدّون في دول الجوار الليبي جنوباً، وبخاصّة أنّ الوطن الجذاب غنيّ بثرواته النفطية، وهنا تكمن علّة؛ فخذوا حذركم.

التبو الليبيون هم أكثر جاذبية لبني قبائلهم الممتدّة في دول الجوار الليبي، وبخاصّة دولة تشاد، الذين لن يتأخّروا عن الإقدام على أرض الذّهب الأسود، وقد يشكّلون في المستقبل القريب أكثرية سكّانية في جنوب ليبيا، بها يتمكّنون من صوغ القرار المُمكّن من حقّ التملّك على حساب السكّان الأصليين، وهنا تكمن علّة؛ فخذوا حذركم.

الأمازيغ يأملون في قيام دولة تجمع الشتات كما يقولون بين أمازيغ ليبيا وتونس والجزائر وحتى المغرب، وهنا تكمن علّة؛ فخذوا حذركم.

أمّا العرب؛ فالعلاقة مع مصر إمّا أن تكون علاقة تآخي، وإمّا فالقبائل الليبية المصرية ستكون لهم الرّغبة المُمكّنة من العودة بالقوّة،

**وبخاصّة أنّ الكثافة السكانية في مصر مشجّعة على الامتداد في مناطق الفراغ الشاسعة في ليبيا، وهنا تكمن علّة؛ فخذوا حذركم.**

**وعليه؛ فمع أنّ جمال ليبيا بتنوّع ألوان طيفها، لكن تعدّد الألوان في بعض الأحيان يجعل الرّغبات والمطالب عبء على هويّة الوطن، وبخاصة عندما تصبح الرّايات المرفوعة والمطالب التي من ورائها على حساب راية الوطن.**

***

(الهويّة مثل البوصلة، إن ضاعت؛ فلا مرفأ)

# الهويّات

***

انطلاقا من علّة المظالم، رحل عن تراب الوطن من رحل مضطرا إلى أوطان الأجانب، وهاجر بجلدته حافي القدمين من هاجر مع الغربة، والتجأ من التجأ إلى المنظمات الخيرية والإنسانية، وظل من ظل على الرّصيف أيّاما وشهورا ليلها أشد من نهارها، وعمل من عمل في المقاهي والمطاعم ومحطات الوقود، وظل البعض سجينا بين الجدران أعواما، حتى تفجّرت المظالم في الوطن ثورة؛ فخرج السجناء فرحة بالانعتاق، وبقي من فُقد مفقوداً؛ فكانت دموع الفرحة جنبا إلى جنب مع زغاريد الانعتاق، وفي المقابل، كانت على الخدود دموع الحزن على المفقودين ألما بين الضلوع؛ فانقلبت الموازين، وأصبح السجّان سجينا، ومن كان سجينا أصبح طليقا مع نفسه الممتلئة بردود الأفعال وهمسات الشيطان التي لا تفارق إلّا من اتقى ربّه.

فجاءت السياط حُجّة بلا رأفة، وحلق الرّؤوس والأذقان جافة ألما ما بعده ألم إلّا الوخز بالكهرباء، ولا فرق بين شابٍ وكهل وشيخ ومن

له من الرّجولة والهيبة ما يكفيه؛ فقلوب السجّانين مملوءة غضبا وكرها، وقلوب المساجّين وأهليهم تكاد أن تتقطع بين ألمٍ وحزنٍ.

وتزامنا مع تلك الآلام، كان التشريد والتهجير داخل الحدود وخارجها جنبا إلى جنب مع الاستيلاء على المنازل الخاصّة والمزارع الخاصّة، واللاجئون في كلّ مكان بلا ملجأ.

الفارون من تلك الحقبة الظالم رأس نظامها، أصبحت لهم من الإقامات وجوازات السفر والجنسيات البديلة ما يكفيهم، ولكن اللاحقين بعد أن فعلت ردود الأفعال فيهم فعلتها، فقدوا كلّ شيء، ولا شيء لديهم سوى العودة إلى الوطن بالتي هي أحسن، أو التي هي أسوأ. شعاراتهم: العفو العام، والمصالحة الوطنية، وإلّا، {النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[9]. مطالب لا تتعارض مع الشريعة، ولا تتعارض مع ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمْل المسؤوليات تحت مظلة الوطن، ولكنّ البعض وكأنّه لا يرى ولا يسمع ولا يتقي الله.

تمسّك بعض من السجّانين الجدد بردود الأفعال تعذيبا، وكأنّ السّاعة قد قامت، والعقوبة فيها جهنّم؛ فالأيّام وكأنّها لن تعود بين النّاس تتداول، ليقول قائل: من يُسلّفك من أيّام الأسبوع يوما تردّ له اليوم الذي من بعده، أي: من يسلّفك يوم السبت لا شكّ أنّه سيجد

---

[9] المائدة 45.

يوم الأحد من بعده آتيا، ومن لم يتخذ حذره؛ فلا يدري بما ستفاجئه الأيّام.

هكذا هي الأحوال تتأزّم، ممّا دعا الشيطان الوطني أن يتدخّل لفكّ التأزّمات بين بني الوطن الذين منهم من يمتلك أكثر من جواز سفر، وأكثر من هويّة وطنية، وبين من لا يمتلك إلّا هويّة الوطن.

أيّها الأخوة العائدون أصحاب المعالي: هنيئاً لكم بهوياتكم المتعدّدة، فأنتم ألمان، وإنجليز وفرنسيون، وأمريكان وكنديون، وسويديون ونمساويون، وإيطاليون، وأفغانيون؛ فأنتم خبرات متنوّعة تفهمون كلّ شيء، وتقدرون على فعل كلّ شيء، وغيركم لا يقدر؛ فتقدّموا حتى تتمكّنوا من مفاصل الدّولة، لتقلبوها رأسا على عقب؛ فأنتم علماء علمانيون، وعلماء مسلمون، وعلماء مندمجون، وغيركم لا يزيدون عن كونهم قطيعا.

وهكذا أجرى الشيطان الوطني لقاءً مع من لم تكن لهم سوابق الهجرة.

أيّها المواطنون، عليكم بهم؛ فهم قد صنّفوكم أعداء ووضعوكم نصب أعينهم، وهم في حقيقة أمرهم لا يزيدون عن كونهم عملاء لتلك الدّول، وسيظلون عملاء حتى تقوم السّاعة، فأولئك نجس فإن رأيتموهم يصلون فلا تصلون وراءهم ولا معهم، ولا يليق بكم أن تولّوهم أمركم وأمر البلاد، فعليكم بالسخرية منهم وهويّاتهم

المزدوجة، ونابذوهم بالألقاب، ثمّ قاتلوهم حتى تخرجوهم بغير حقّ إلى ديارهم كما أخرجوكم من دياركم بغيره.

عاد الوسيط الوطني لأصحاب الجوازات والهويّات والثقافات المتعدّدة والمتنوّعة، وكأنّه من حُمّل بتلك الرّسالة التي ألقاها على المواطنين، فهي مع أنّها من رأس فتنته، لكنّه قال:

أيّها الغرباء.

فاعترض الجميع على وصفه لهم بالغرباء.

فاعتذر: لا تفهموني خطأ؛ فهذا ما وصفكم به إخوتكم الذين لا يرون لكم وطنا.

هم يقولون هذا؟

نعم، هم الذين يقولون، ولا غيرهم.

نظر البعض للبعض، أهكذا هم يقولون؟ فنحن ذقنا مرارة الغربة والحاجة أعواما، وأوطاننا البديلة عندما تتأزّم الأحوال السياسية مع المسلمين، كان يشار إلينا بالغرباء فيها، وها نحن اليوم في وطننا يشار إلينا بالنّعت ذاته؛ فتأججت المشاعر حتى كوّنوا رأيا أنتج قرارا مفاده: يُعزل سياسيا كلّ مواطن لم يتمكّن من الحصول على أكثر من جواز سفر، وأكثر من هويّة وطنية، ولا يمكّن أحد منهم من ممارسة المسؤولية.

عليكم بحصر قوائم رجالات الأمن والسّاسة والوجهاء والقادة والقضاة؛ فهؤلاء جميعهم لا يروننا إلّا غرباء، ثمّ عليكم بتصفيتهم إقصاء وعزلا سياسيا وخطفا، وحتى اغتيالا، وإلّا لن يكون لنا مستقبل في دواليب السياسة والاقتصاد. وعلينا أن نتمسّك بهويّاتنا المتعدّدة والمتنوّعة؛ فالثقة فيهم معدومة، ونحن بعد أن تمكنّا من مفاصل الدّولة، لن نتركها إلّا على جثتنا، ومع ذلك خذوا حذركم بتحويل كلّ ما تحصّلتم عليه واغتنمتموه من أموال إلى تلك البنوك الآمنة، وعليكم بالغسيل حتى تُبيّض أموالكم من خلال الشّحن في الطائرات ذات المهام الرّسمية والخاصّة، أو بتنسيق مع المهرّبين بين الوطن والأوطان البديلة. فنحن إن عدنا إلى تلك الأوطان؛ فلن نعد مهاجرين، بل نحن مواطنين لنا ما لنا من حقوق، وعلينا ما علينا من واجبات، ولكن المشكلة التي ستواجهنا هي: كيف نتهرّب من دفع الضرائب بعد أن أصبحنا من رجالات المال ورؤوسه العابرة للحدود؟ ولأنّ لكلّ مشكلة حلّا؛ فالآن وقت جمع الغنائم من قلب الوطن، ثمّ من بعد، سيكون معنا من كبار المحامين ما يكفي لإثبات براءتنا تهرّبا من دفع الضرائب.

بعد أن استرق السّمع، قال: أنتم بهذه الرؤى على الطريق المستقيم، وعليكم بمزيد من الغنائم من قلب الوطن، والأهم أن تكونوا متمسّكين بالشرعية التي مكّنتكم من الجلوس على كراسي

المؤتمر الوطني العام، كما مكّنتكم من كراسي رئاسة الوزراء ومؤسّساتها العامّة. ثمّ عليكم بالتمكين، ولا تستهينوا بأيّ موقع إداري، ولا تغفلوا عن إبرام العقود مع الشركات ذات العلاقة بمصائركم.

بارك الله فيك، وفي استراقك السمع إلينا.

يا إلهي، ها أنا من قِبلكم أشكر، في الوقت الذي كنت فيه أعتقد أنّ الشكر لله وحده، فأنا لم أقدم على شيء ليس من مهامي التي طَلبتُ من الله أن يجعلني عليها إلى يوم تبعثون، {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[10].

هذه مهمتي، ولكن الشاكرين ربّهم مستثنون، ذلك لأنّهم من عباده المخلصين {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[11].

ومن هم المخلصون الذين تعنيهم؟

إنّهم العدد القليل في مقابل تلك الأعداد الكثيرة، فأولئك الكثر ستكون لهم الكلمة في صناديق الانتخابات؛ فلا تغفلون عنهم، خذوا بأيديهم مع وافر الحذر، فهم قادرون على التمرير من أجل أن

---

[10] الأعراف 14 . 17.

[11] الحجر 40.

يستمدّوا القوّة كما أنتم استمددتموها، وكثير منهم متقلّبون (يوم معكم ويوم عليكم) ولكلّ حسابه.

أيّ تمرير تعني؟

تمرير أخطائكم.

وكيف؟

إنّهم مثلكم، لا يرون عائقا أمامهم إلّا أولئك المخلصين؛ فبالنسبة لهم المصلحة فوق الجميع؛ فهم لن يكونوا عنكم ببعيد، والوطن له ربّ يحميه.

إنّهم قابلون للبيع والشراء مثلهم بالتمام مثل ذلك الثلث المعطل لقرارات المؤتمر الوطني العام الذي اشتراه السيد رئيس الحكومة؛ فعليكم بشراء ما استطعتم منهم، هذا تاريخ، وعليكم الاتعاظ به، وإلّا ستخسرون اللعبة السياسية.

كم أنت مخلص ووفيّ، أرجو أن لا تبتعد عنّا، وذكّرنا في كلّ حين.

اعتمِدوا على عقولكم، فالتذكير ليس من مهمتي، وقالها في صدره (التذكير من مهمة محمّد) صلى الله عليه وسلّم، {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[12]. ثمّ قال: هؤلاء القوم مع أنّهم من المصلّين، لكنّهم يطلبون مني أن أذكرهم؛ فهل لي أن أذكرهم؟ إنّها لم تكن من مهمتي،

[12] الغاشية 21.

ولهذا، لن يجدوا من مذكّر، وإن ظلوا على هذه الأحوال؛ فلا شكّ أنّهم سيكونون نزلاء سجون كما كانوا وكان غيرهم.

ولعلمكم الحاسدون لكم كُثر؛ لا لشيء، إلّا لأنّهم لم يتحصّلوا على جوازات سفرٍ مزدوجة مثلكم؛ فجوازاتكم المزدوجة انتماءات مزدوجة لهويّات وأوطان مختلفة؛ فلا تتنازلوا عنها، ولا تتخلّوا عن ارتباطكم وانتمائكم لأوطان الغرب والشّرق، فهويّاتكم المزدوجة ستظل هي المعيار الرّئيس لانتخابكم ممثلين للشّعب.

لا تستهينوا بامتلاككم أكثر من جواز سفر، بل عليكم بالسعي للحصول على ما هو أكثر؛ فهناك دول تبيع جوازات سفرها بيعا، فأنتم عندما تتمكّنون من العودة لبلدانكم البديلة، عليكم بفتح حسابات جديدة بدلا من تلك الحسابات الفقيرة التي فتحتموها في تلك الأيام والأعوام لتلقّي المساعدات والهبات؛ فعليكم برد الجميل لتلك الدّول التي احتضنتكم، وآوتكم وأعطتكم إقامات وجوازات سفر، وعملت على تعدد هويّاتكم وانتماءاتكم؛ فردّ الجميل لها من الخُلق الكريمه؛ فلا تتأخروا عن التحويل أولا بأوّل، ولا تتردّدوا في أخذ ما يمكن أخذه؛ فأوطانكم ستظل سنينا بالنّسبة لكم غير آمنة، والغرب لن يقبلكم فقراء ثانية؛ فعليكم ببذل الجهد، واغتنام الفرص السّانحة لكم في هذا الزّمن الذي لم يعدّ فيه أمن سائد في البلاد، ولا محاسبة، ولا مساءلة؛ فأنتم لم تكونوا سرّاقا، بل كما يقولون:

المال السائب هو الذي يعلّم السّرقة، ولأنكم لازلتم تتعلّمون؛ فعليكم بما كنتم تأملون.

أنتم أيّها السّادة، لا تقارنوا أنفسكم بأولئك الذين لم يتعرّفوا على ما تعرّفتم عليه غربة، ولا تقارنوا أنفسكم مع الخاسرين؛ فأنتم كسبتم الأمكنة الممكّنة من الدّولة تشريعا وتنفيذا، وأنصحكم: أن لا تتأخروا عن جمع المكاسب؛ فالمستقبل الوطني بالنسبة لكم بلا ضمانات، ولذا؛ فعلى من لم يتمكّن من الحصول على جوازات سفر من تلك الأوطان أن لا يغفل عن تجديد إقامته؛ فالبلد معرّض للمفاجآت، وأصحاب المكانات لن يطول صمتهم؛ فهم دون المكانة يقبلون الموت حتى تكتب لهم الحياة.

وعليكم أن تعرفوا أنّهم بهذه الرؤية سيظلون مغفّلين؛ فهم لا يقدّرون الأماكن بقدر ما يقدّرون المكانة، التي تتولّد من القيم والفضائل التي يعتقدون فيها اعتقادا راسخاً، ولأنّهم كذلك، أنصحكم بأخذ الأماكن، واتركوا لهم المكانة، التي لا تزيد عن كونها أضحوكة على العقول، فمن تعدّونهم إخوتكم، لازالت عقولهم تفكّر بعقلية ما قبل عصر النّهضة؛ فالعقل الاقتصادي الذي تمكّنتم منه، هو: الذي جعل منكم كنديين، وأمريكان، وألمان، وسويديين، ونمساويين، وعلّمكم كيف تكسبون، لا كيف تبقون على تلك الأضحوكة

(المكانة)، ذلك لأنّ المكان قابل للبيع والشراء، أمّا الأضحوكة فلا أسواق لها.

قال الذي عنده من العلم والمعرفة ما عنده بعد أن استغفر ربّه: نعم إنّ المكانة لا تباع ولا تشرى، بل المكانة يتمّ بلوغها بتقوى الله، والقدوة الحسنة، والعمل المبدع، والعلم النّافع، والرؤية المملوءة أملا، وصناعة المستقبل، والتضحية من أجل الوطن، مع وافر الصّدق والوفاء لمكارم الأخلاق.

ومع أنّ لأصحاب الجوازات المزدوجة هويّات مزدوجة، لكن دائما لكلّ قاعدة شذّ؛ فهناك من التجأ إليها ضرورة حيث لا اختيار له إلّا الفرار بجلدته من وطنه الذي فيه الأفواه تُكمّم.

فالاختلاف بين من يمتلك هويّة وطن، ولا وطن له غيره، وبين من يمتلك جوازي سفر مختلفين لهويّتين مختلفتين، سيظل الاختلاف بينهم سائداً إلى أن يتمّ التفهّم المتبادل، وإلّا ستكون الهوة بينهم مُتّسعة؛ فهناك من أصحاب الجوازات المزدوجة من أصبحت له ثقافة ورؤية أجنبية، وهناك من بقيت رؤيته وطنية ولا تبديل، وهناك من ظلّ يتبدّل بين هذا وذاك، وحال هؤلاء المتبدلون كحال الغربان التي حاولت أن تقلّد الحمامة في خطاها؛ فضيّعت خطاها وخطى الحمامة.

ومثل هؤلاء، منهم من عاد إلى ليبيا بعد أن نجحت الثّورة الشعبية، وتقلّد منصبا حكوميا؛ ففشل من الجولة الأولى، ومنهم من حاول ولم يتمكّن من النجاح، بعلل خارجة عن علّته، ومن هؤلاء من عاد إلى أوطانهم البديلة ببدل لم يلبسوها من قبل؛ فتمكّنوا من الجلوس مع مدراء تلك المصارف الكبرى الذين لم يسبق لهم رؤيتهم طوال سنين الهجرة والغربة التي عاشوها بآلام الحاجة، وفي المقابل هناك من عاد لوطنه معتزا وظل بعزة الله عزيزا.

أمّا أولئك الذين تغيرت حساباتهم البنكية إلى حسابات أغنياء؛ فلم يعدّ أحد منهم يستشعر الغربة والحاجة؛ فالمال وحده يكفيهم، والمكانة بالنسبة لهم لا تزيد عن كونها أضحوكة.

هكذا، هي العلاقة بين سابقين ولاحقين، ولا فارق، سوى ما يجعل الحسابات المصرفية في تلك الأوطان غير متساوية، فهؤلاء الذين تغيّرت أحوالهم بنكيا، هم متهيؤون للعودة هناك، وسيتأهبون لها مباشرة بعد إسقاط حكوماتهم، أو تغيير وزاراتهم التي يترأسونها، أو أنّهم أعضاء فيها.

إنّ الجوازات المزدوجة، ذات الهويّات المزدوجة، يصعب على أصحابها أن يقودوا الوطن بجوازين أو أكثر، وهويّتين أو أكثر؛ فالوطن لا يقبل إلّا هويّة واحدة لوجهٍ واحد، مع فائق التقدير لأصحاب المهن والتخصّصات والحرف المتقدّمة التي لا تؤّثر عليها

هويّة على حساب هويّة أخرى، أي: لا خوف ممن هويّتهم الوطن، بل الخوف ممّن لهم على حسابه أكثر من هويّة، وكذلك بالتمام لا خوف من المهنيين الذين لهم من المعرفة والمهارة ما يسهم في نهضة الوطن وصناعة مستقبله.

الهويّة الوطنية لا تكون هويّة إلّا بخاصّية مجتمعية وأخلاقية وثقافية وفنية، تجمع المتنوّع والمختلف توافقا على وحدة الوطن، التي هي بين النّاس تترسّخ اعترافا، وتقديراً، واعتباراً، واستيعاباً، وتقبّلاً، مع وافر الثّقة المتبادلة بين المختلف والمتنوّع.

ولكن عندما يؤدّي المختلف والمتنوّع إلى الخلاف؛ فالخلاف داخل الهويّة علّة لكسرها؛ فالهويّة شفّافة كالزجاجة البيضاء؛ فإن انكسرت يصعب لمّها وإعادتها ثانية (هي كما هي).

فالهويّات والانتماءات والاتجاهات المؤثّرة سلبيا على مصلحة الوطن، هي: المتخالف عليها فكريّاً وعقائديّاً وحزبياً؛ فعندما تصير سياسات الوطن بين تجاذبات الرؤى الخاصّة بطبقة، أو فئة، أو قبيلة، أو حزب، أو طائفة، لا يمكن أن تقوم للوطن قائمة؛ كما هو حال ليبيا اليوم حيث المزيد من الاستفزازات بين البعض والبعض تحت شعارات ومسميات متخالفة، ولّدت بين الليبيين مشادات منظورة وغير منظورة؛ فالمنظور منها، ما يجري في المؤتمر الوطني العام

الذي أصبح على أغلبية من المنتخبين المستقلّين، وأمسى على غالبية من المنتميين، وبعض منهم معطلين لأيّ قرار، وقليل منهم يتألمون.

أمّا غير المنظور منها؛ فهي الولاءات للآخر (الدّاعم والرّاعي)، وهنا تكمن العلّة المزدوجة بين تحقيق أهداف الأحزاب والجماعات والكتل، وبين مرضاة الدّاعم والرّاعي الخارجي. وبين هذا وذاك ضاعت مصلحة الوطن ومستقبل شعبه.

ولأنّ في دائرة الممكن المتوقّع لكلّ انتماء ثمنا؛ فلا استغراب ولا مفاجآت من أن يكون الثّمن موجباً أو سالباً، ولكن في دائرة غير المتوقّع يكون الاستغراب، وتكون المفاجآت، وعلامات الاستفهام، عندما لا يكون للانتماء ثمن.

ومن ثمّ، عندما تكون القوانين والأنظمة والحكومات عادلة وضامنة للرّعاية والعناية دون تمييز بين بني الوطن، يصبح الانتماء للقبيلة أو للغير ضعيفا أو منعدما، ولكن عندما لا يكون للنظام، ولا للدّولة والحكومة ولا للقانون شأن ولا أهمية ولا مكانة؛ فلا شكّ سيكون الانتماء للبديل سواء أكان البديل داخليا أم خارجيا.

ومن ثمّ، ففي دائرة المتوقّع متى ما فشلت الدّولة، انفكّ النّاس عنها، وعادوا إلى تلك الجذور التي بذرتها العصبية (أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب).

أمّا في دائرة غير المتوقّع أن يظل البعض منتميا لتلك الدّولة الفاشلة التي فقدت هويّتها، حيث لا دولة ولا وطن، ممّا يجعل المنتمين إليها كمّا من الضحايا بدون ثمن.

ولذلك؛ فالانتماءات المختلفة والمتخالفة عامل شدّ، وبخاصّة عندما يسعي البعض إلى ما يفيد شخصه على حساب ما يفيد الوطن، وهنا تكمن عِلّة.

في دائرة المتوقّع لا وطن إلاّ وله هويّة، وفي دائرة غير المتوقّع يكون الوطن بلا هويّة، وبخاصة عندما يصبح بين تجاذب الأيديولوجيات، والولاء لأوطان الغير، ولكن من أراد أن يتميّز بهويّته؛ فعليه بالمكانة التي لا تسرق، وتمكّنه من دفء الوطن دينا، وعرفا، وثقافة، ولغة، وخلقا، وفناّ، وآدباً، ومن يغفل عن ذلك أو يجهل، يجد نفسه منعوتا ومُعنونا بنعوت وعناوين لا تليق بمن يراد له أن يكون مستخلفا فيه.

ولأنّ الانتماء للوطن قيمة حميدة؛ فهو انتماء مؤسّس على الانتماء إلى الوالدين المؤسّس للأسرة، والعشيرة، والقبيلة المؤسّسة للأمّة، التي بالانتماء إليها، يكون الانتماء للوطن.

أمّا الانتماءات الحزبية؛ فهي انتماءات روابط بديلة؛ فالذين فقدوا تلك الرّوابط العلائقية أسرة وعشيرة وقبيلة وأمّة، سيظلّون على حالة من الفراغ العلائقي ما لم يسعون لإيجاد البديل، وصناعته وفقا لرؤية

ومصلحة محدّدة، كما هو حال الشيوعيين الماركسيين الذين يستنسخون من فكر ماركس الشيوعي، والإخوان المسلمون من ذلك المعتقد الإخواني، والبعثيون من ذلك المعتقد البعثي، والناصريين من ذلك المعتقد الناصري، وفي النهاية كلّها لا تزيد عن أوراق منسوخة من ورقة واحدة.

أمّا الأحزاب المفتوحة؛ فهي التي تؤسّس وفق رؤية جماعية، ترسم صورة الوطن سياسة واقتصادا واجتماعا، بوصفة تدفع الشعب إلى ما يمكّنه من ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته، كما تمكّنه من إدارة الاختلاف دون إقصاء، ومع ذلك، فللمصلحة شأن، سواء ضاقت دائرة المصلحة أم اتّسعت، فعلى سبيل المثال: الانتماء للحزب الديمقراطي الأمريكي، يعني الانتماء إلى رؤية من أجل أمريكا ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل على ضوئها ترسم السياسات والخطط التي لا تثق في رؤية الحزب الجمهوري، والانتماء للحزب الجمهوري يعني الانتماء إلى رؤية على ضوئها ترسم السياسات والخطط التي لا تثق في رؤية الحزب الديمقراطي، ولكنّها في مصلحة أمريكا، ومع أنّهما الحزبان الرّئيسان في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن الانتماء إليهما يتبدّل بتبدّل الرؤية والمصلحة، أمّا الانتماء لأمريكا فلا يتبدّل، ومن هنا، يتّضح الفارق بين الانتماء للحزب الذي يتبدّل، والانتماء للوطن الذي لا يتبدّل.

أمّا في عالمنا المتبدّل، فكلّ شيء فيه يتبدّل؛ فيه الانتماء للوطن يتبدّل بالانتماء للحزب، وفيه دائرة الحزب تمتدّ على حساب حدود الوطن، وأصحاب هذه الرؤى، لا يرون الأوطان إلّا وسيلة لتحقيق غاية الانتماء إلى الكرة الأرضية؛ ولذلك؛ فهم لا يرون للدّولة حدودا إلّا العالمية، من خلال الفكرة أو المعتقد المتجاوز للحدود؛ فأين ما امتدّ امتدّت الدّولة، وكأنّ الخلق كلّ الخلق أمّة واحدة[13]، وهذا ما يخالف ما خُلق النّاس عليه مصداقا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[14]، وقال تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[15].

فالعقائديون بمختلف ألوان طيفهم هم قوم يقلّلون من الانتماء إلى القبيلة، ثمّ من بعدها لا يلتفتون تجاه الوطن، بل في كثير من الأحيان يسخرون من شأن القبيلة، ذلك لا لشيء إلّا لأنّ القبيلة رابطة دم وانتماء ورعاية اجتماعية وأخلاقية، والتمسك العلائقي بين أفرادها وأسرها وعشائرها متين، وهو لا ينفصم إلّا ببديل أكثر متانة، ولأنّها كذلك؛ فهي من العوائق الانتمائية لتلك الفكرة العابرة للروابط

---

1 اللائحة الداخلية لجماعة الإخوان المسلمين، ويكي مصدر والنظام العام للإخوان المسلمين 1994.

[14] هود 118، 119.

[15] الكافرون 6.

الاجتماعية والوطنية. ومن هنا، يرى أصحاب الأيديولوجيات أنّهم البديل، ولكن لسائل أن يسأل:

هل من الأفضل أن يستمر الإنسان منتميا لأصل طبيعي ورعاية طوعية؟ أم أنّه ينتمي إلى بديل مصطنع ورعاية غرضية؟

فالقبيلة كونها رابطة اجتماعية، تختلف عن البديل المصطنع سياسيا (الحزب)؛ ومن ثمّ، يعيد السائل طرح سؤاله:

ألا يكون من الأفضل أن ينتمي الأفراد والجماعات إلى المكوّنات الطبيعية إن وجدت، ولا ينتمون إلى المكوّنات المصطنعة أيديولوجيا؟

أقول:

الفرق كبير بين أن تتّسع دائرة الأصل والانتماء كما هو حال الأسرة، ثمّ العشيرة، ثم القبيلة، ثم الأمّة، وبين أن يؤسّس مفكّر أو منظّر رؤية هو يراها، ثمّ يسعى بكلّ ما يمتلك من جعلها على حساب ما هو طبيعي.

وهذا لا يعني أنّ النظام القبلي خال من العيوب، بل العيوب كثيرة، ولكنّها أقل من العيوب العالقة بالانتماء للأحزاب الإيديولوجية (وهي المعنية بالمقارنة دون غيرها).

أمّا الأحزاب المفتوحة فلا مقارنة؛ فهي مفتوحة لتحقيق رؤى ومصالح مشتركة من أجل نُقلة مأمولة وطنياً، وهذه ضرورة.

ولذلك، فعندما تكون مصلحة القبيلة على حساب مصالح القبائل الأخرى، فقد خرجت عن التقوى المستوجب الأخذ بها والوقوف عندها، مصداقا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[16]، أمّا عندما تستقيم عليها؛ فقد استقام أمرها على ما ينبغي أن يظل النّاس مجعولين عليه جعلا.

فالمتأدلجون حزبيّاً لا يرون انتماء أكثر من الانتماء لأحزابهم، حتى الوطن بالنّسبة لهم، هو: أقل من أن يُنتمى إليه، وبذلك؛ فهم يعتقدون في الفكرة التي جمعتهم واعتمدوها لغيرهم، ومن يخرج عنها سيدفع ثمناً.

ولأنّ الأمر كذلك؛ فأيّهما أولى بالانتماء: القبيلة التي تربطك بالأقربين والوطن؟ أم الانتماء إلى المعتقد الذي يربطك بحزب لا يعلوا رأيا على رأيّ قائده، أو مرشده صاحب الفكرة، أو المروّج لها؟

أمّا الأحزاب السياسة المفتوحة؛ فلا شكّ أنّها وسيلة لممارسة الديمقراطية، وبخاصّة عندما يجيد أصحابها إدارة الاختلاف، من أجل هويّة الوطن، وصناعة ما يأملونه من مستقبل مشترك، ودون تهميش.

---

[16] الحجرات 13.

وفي هذا الاتجاه ناقش المؤرّخ آرثر شيلنج مفهوم سياسات الهويّة والتهميش في كتابه: تفرّق شمل أمريكا (The Disuniting of America) بقوله: "يؤدّي ارتكاز السياسات على التهميش الجماعي إلى تفتيت نظام الحكم المدني؛ فينبغي أن تهدف الحركات التي تدعم الحقوق المدنية إلى القبول الكامل بالمجموعات المهمّشة ودمجها داخل الثقافة السائدة، بدلًا من التكريس لفكرة التهميش عن طريق محاولات التركيز على الاختلافات"[17].

[17] M.A. Chaudhary & Gautam Chaudhary, Global Encyclopaedia of Political Geography, p.112, 2009.

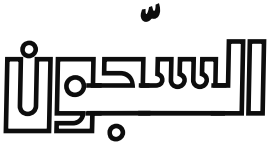


***

(من يقبل دخول السّجن من أبوابه الواسعة؛ فلا يليق به أن يقفز من نوافذه)

# السّجون

***

يطلقون على السّجن مؤسّسة إصلاحية، وكأنَّ العقاب عندما جاء زائرا لأحد السّجناء السّياسيين مُنع من زيارته؛ فالسّياسة مع أنّها علم ترويض الجامحين، لكنّها في بعض الأحيان تكون سببا في جموحهم، فبعض السّياسيين عندما يعرفون جزء من الحقيقة، يعرضون الأمر وكأنّ الحقيقة كاملة بين أيديهم، ومن هنا، يتولّد الجموح السّياسي في تسيير دفّة الأمور؛ فيجعل الانتكاسة هي النتيجة المؤلمة أمام من جُمح بهم سياسيّا.

ولأنّ الجموح فعل خارج السّيطرة، فلا شكّ أنّ الخارجين عن السّيطرة هم في حاجة لمن يسوسهم (يروضهم) حتى يهدؤوا ويعودوا مطمئنين تحت سيطرة النّظام (الانضباط)، ولكن إن لم يعودوا، فالسّجن مؤسّسة السّيطرة على السّلوك.

ولا يدخل السّجن من وجهة نظر النّظام السائد إلّا جامح (غير طائع للتّعاليم) حتى وإن كان النظام جامحاً؛ فلو لم يكن النظام السائد جامحاً، ما كان المواطن على الجموح. أي: لو كان النظام

السّائد رائضاً (هادئا مطمئنا مستوعبا) لكانت السّجون إصلاحية، وفي المقابل عندما يكون على غير ذلك، يصبح مصدرا رئيسا للجموح خارج السّجون وداخلها.

ولسائل أن يسأل:

من الذي يقرّ السّجن؟

من سنّ له قانون (الحاكم)، وليس من حكم به (القاضي)، و في هذا الأمر ينبغي أن نميّز بين معطيات أربع:

بين من فكّر في حبل القيد حتى أصبحت فكرته حبلاً، إنّه (العقل الحاكم)، وبين من جعله حبلاً مشاهداً، إنّه (الحكومة المحكومة بعقل الحاكم)، وبين من حكم به قيدا، إنّه (القاضي)، وبين من قيّد به سجيناً، إنّه (الشرطي).

أي: لو لم يكن هناك من فكّر في حبلٍ، ما عملت الحكومة على جعله قيدا، وما حكم القاضي به متهما، ولا قيّد به السجّان سجينا.

إذن، السجّان يمثّل من؟

يمثّل الحكومة.

والحكومة تمثّل من؟

تمثل الحاكم.

والحاكم هو الآخر من يمثّل في دول انتزاع الحكم انتزاعاً؟

يمثّل نفسه.

**وعلى أيّة شرعية يعتمد؟**

**يعتمد على: كلّكم من نفس واحدة.**

**ومن هي النّفس الواحدة؟**

**نفسه دون غيره (الخليفة كما هو يرى).**

**إذن، وما دور السجّان؟**

**دوره الترويض في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.**

**فالمروِّض في دول ما كان يسمّى بالعالم الثّالث، هو: السجّان، الذي يأخذ أوامر الحاكم على علّتها، ولا يأخذ بحكم القاضي وإن كان عادلاً؛ فالسجّان موظف بوليسي يتبع الحكومة مباشرة، من خلال وزارة تأمين النّظام. ولذلك، فالسجناء برغم حكم القاضي عليهم، فلا يعتبرونه خصما، بل يعرفون أنّ خصمهم الحاكم، وحكومته المحكومة بأوامره وتوجيهاته.**

**ولهذا؛ فالرّفض لا يلاحق القضاة، بل يلاحق النّظام ورأسه؛ فيلاحقه: (قولا وفعلا وعملا وسلوكا)، من خلال التحدّي والتمرّد والثّورة، حتى يتمّ التخلّص من السّجن والسجّان.**

**ومن ثمّ، في كلّ الانقلابات، وحتى الثورات التي قلبت الموازين؛ أصبح السّجين سجّانا، ومن كان سجّانا أصبح مطارداً، أو أنّه بين الجدران.**

ولكن السجّانين الجدد، لم يتعظوا من تجربة السّجن، وشدّة آلامه؛ فأوّل ما تمكّنوا من سُدة الحكم، حكموا البلاد بردود أفعال غير مروّضة، ذلك لأنّ سجنهم، أو هجرتهم على المرارة أعوام، جعلتهم على الغلظة، والشدّة أكثر من جعلهم على اللين؛ فبعد أن تمكّنوا من حكم مصر، لم يمكثوا في حكمها إلّا عاما واحداً، لا لشيء إلّا لأنّهم حكموا بعقلية السجناء وردود أفعالهم، ولم يحكموا بعقلية المحرّرين وطيب أنفسهم.

وهكذا، هو الحال في ليبيا التي على رأس قمّة مؤتمرها الوطني العام، والعضوية التشريعية فيه كثير ممّن كانوا في السّجن والمهجر، وكذلك كانت معظم الوزارات وقمّتها التنفيذية قد تشكّلت ممّن كان مهاجرا أو مسجوناً، ولذلك؛ فليبيا اليوم تواجه تحدٍّ شديد، لا لشيء إلّا أنّ بعضا من المتمكّنين من مفاصل الدّولة يحكمون بعقلية من كان سجينا، أو عائدا من المهجر، مع وافر ردود الأفعال، والأحكام المسبقة، وهنا، تكمن علّة.

أمّا تونس؛ فقد استفادت من الدّرس؛ بتقديم تنازلات استيعابية من قبل الذين اتعظوا من مرارة السّجن والمهجر؛ فالسيد راشد الغنوشي وحزبه (حزب النهضة) عندما وجدوا أنفسهم بين أن يضلوا متبوئين سُدّة الحكم، وبين وحدة الوطن وسلامة الشّعب التونسي، تنازلوا عما كانوا متمسّكين به (استنادا على شرعية قد انتخبتهم ديمقراطيا) أي:

عندما وجدوا أنفسهم بين خيارين لا ثالث لهما (حكم الحزب أو الوطن وسلامة الشّعب) فاختاروا الوطن وسلامة شعبه، ومن هنا، التاريخ يصنع.

وذات مرّة حاول مسترق السّمع الوطني أن يستطلع رأي بعض من المواطنين في شوارع ليبيا، فطرح أسئلته الاستبيانية:

. لماذا عدم الأخذ بالعفو العام؟

. لماذا عدم الإقدام على المصالحة الوطنية؟

. لماذا الأخذ بالإقصاء؟

. لماذا التهميش والتغييب؟

. لماذا الميزانيات تُنهب؟

. لماذا المصارف تُسرق؟

. لماذا الأموال تُهرب، وتُبيّض؟

. لماذا المؤتمر الوطني العام الليبي أقرّ قانون العزل السياسي؟

فكانت الإجابات على التمام من قول الله تعالى:

. {أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[18].

. {وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا}[19].

---

[18] الأنعام 37.

[19] يونس 36.

بعد معرفة النتيجة التي تدلّ على أنّ الأكثرية ليس على ما يجب أن تكون عليه، عرف شيطان الفتنة الوطنية أنّ مهمّته عظيمة، فقرّر مضاعفة جهده مع الأكثرية التي لا تعرف الوقوف عند إشارة قف، كما أنّها لا تأخذ بأمر ابتعد، أو تجنّب، أو خذ حذرك، أو انتهي، أو اعفو، واصفح، وتسامح، واستغفر وتب.

إنّهم البعض الذين لا يعترفون بالآخر، ولا يحترمونه، ولا يقدّرونه، ولا يعتبرونه، ولا يتقبّلونه (هو كما هو)، من أجل أن يأخذوا بيده إلى ما ينبغي أن يكون عليه، بعد تفهّمٍ منهم لظروفه وخصوصيته، التي يستشعر من خلالها الثّقة.

حمل شيطان الفتنة الوطنية تلك الرّاية الخضراء أمام حشدٍ من الآملين والحالمين والواهمين بالعودة، وكأنّ عجلة التّاريخ انقلبت قوانينها، وأصبحت مهيأة للدّوران إلى الخلف؛ وعندما استشعر مكانته عندهم قال: هذه رايتكم وعليكم الدّفاع عنها، وإن كنتم تؤمنون بيوم البعث، فلا تقنطوا من أنّ صاحبكم قريب منكم، وهو آتٍ من بعثه لا محالة، وخلال أيّام، وليس بأشهر، ستجدونه بينكم؛ فلا تيأسوا.

ثم قال:

عليكم بالرّفض لأيّ حلّ، وعليكم بإعداد العدّة؛ فقائدكم آتٍ لا محالة، ولا ينقصه شيئا سوى رؤيتكم والعتاد؛ فعليكم بشراء العتاد

وتخزينه في الأودية والجبال، وعليكم بتشكيل الكتائب المقاتلة؛ فأمراؤها هم الآخرون سيبعثون مع أبيهم في هذه الأيّام، وسترون بأمهات أعينكم كيف تحسم المعركة في ساعات، ولن يكون لكم فيها جريح واحد، وعليكم ببناء الاستراحات كما كنتم تبنون وتهدون لمن أنتم له مخلصون، حتى يرضى عنكم، وإن كان بعضكم غير راضٍ.

وعليكم أن تعرفوا، إنّ حكومات العائدين من المهجر، والذين تحرّروا من الحشر في زنزانات السجون ستكون في خبر كان، وستصبحون أنتم دون غيركم السجّانين، أمّا الحاكم؛ فهو واحد ولا منافس له، إنّه القائد صاحب هذه الرّاية (راية الدراويش).

اطمأن قلبه بما سمع وما لاحظ على الحشد، ولكن ليزداد قلبه اطمئنانا توجّه للحشد المقابل، بعد أن حذف راية الدراويش، ووضع على كتفيه راية الاستقلال.

أيّها الحشد الكريم: أعداؤكم يعدّون لكم العدّة والعتاد؛ فالجبال والأودية وكأنّها مزارع ملئت بجميع أنواع الأسلحة بما فيها المحرّمة دوليا، وإنّهم خلال ساعات سيباغتوكم بالهجوم؛ فباغتوهم قبل أن يباغتونكم، وتصبحوا بين قتلى، وجرحى، وأسرى، وسجناء في تلك الزنزانات حالكة الظلمة.

ارتفعت الأصوات الجامحة، هيّا على مقاتلتهم دون استثناء؛ فكان الاستعداد على الفور عتادا وعدّة، وكان المقاتلون المتطوعون متهيئين، ثمّ ركبوا معداتهم ووسائل نقلهم، ولكن إلى أين؟

فقال البعض:

إلى الجهاد.

وقال البعض الآخر، وهو في حيرة من أمره يتساءل:

هل مقاتلة الأخوة في الدّين والدّم تسجّل عند الله جهادا؟ أم أنّها تسجل تحت بند القاتل والمقتول في النّار؟

بعد الاستغفار، قرّر البعض عدم الإقدام على مقاتلة الأخوة، وعاد إلى وضعه الاجتماعي بين النّاس، ومع ذلك، الحيرة لم تفارقه؛ والعقل في مراجعة مع النّفس، والألم ضاغط على الضمير، من قتل نفس بغير نفس، لا شكّ أنّه كمن قتل النّاس جميعا، ومن هتك عرضا، وتعدّى حدود الله، فقد ظلم نفسه.

كانت هذه الحيرة معركة، ونيرانها مشتعلة بين العقل والضمير والنّفس، والقلب، ويا ليتها تطفا.

ولأنّها الحيرة، فهي الممتدّة من عقلٍ إلى عقلٍ، ومن نفسٍ إلى نفسٍ، ومن ضميرٍ إلى ضميرٍ، لا لشيء، إلّا لمعرفة الإجابة، التي بها تطمئن القلوب. ولكن من الذي يمتلك الإجابة؟

إنّه من يستغفر، ويعفو، ويصفح، ويصالح، ويتسامح، ثمّ يتوب، ويولي أمره لله تعالى، وإلّا لا مخرج له من الحيرة إلّا التأزّم.

ولأنّ مسترق السّمع لم تعجبه الحيرة؛ فتعمّد العودة للحشد، ليحذّرهم، بقوله:

هل تعرفون من عدوكم؟

قالوا:

إنّهم حاملو راية الدراويش.

قال: لا.

إنّهم العلمانيون.

لا.

إنّهم الإخوان المسلمون.

لا.

إذن، من يكون هؤلاء؟

إنّها الحيرة، عدوكم الأوّل، التي تدخل نفوسكم، وعقولكم، وضمائركم؛ فتقلبها رأسا على عقب، فاحذروها قبل أن تجعلكم في مرماها، بين أيدي أعدائكم من بني جلدتكم، كما جعلت البعض منكم متراجعا نفسا وعقلا وضميرا.

اجتمع على الفور بعض من قادة السّلاح غير الشرعيين، أفتوا فتوة مفادها:

مقاتلة الحيرة أينما وجدت.

ثمّ، في بند ما يستجدّ من أعمال، عرض البعض: رأيا مفاده:

تمييز الفقها، والوعاظ، والمرشدين، والقادة، وكذلك المنافقين الأبرار، وبعد مناقشة مستفيضة، تقرّر بالإجماع:

إنّ هؤلاء كلّ شيء مجاز لهم، وهو ما لا يجاز لغيرهم، إلّا الكذب، وتبييض الأموال.

وسرعان ما سمع مسترق السّمع هذا القرار، قال:

تثبتوا، ولا تتسرّعوا، فأنتم خير من يميّز بين الحقّ والباطل، ولهذا، فالكذب كذب عندما يكون من غيركم، ولكن عندما يأتي من قلوبكم الطّاهرة؛ فهو مولودٍ طاهرٍ، وكذلك الأموال بالنسبة لكم تبييضها حلال، لأنّكم مجاهدون، وبجهادكم هذا قد ضمنتم الجنّة؛ ومن يضمن الجنّة؛ فلا يتأخر عن تبييض ما اغتنمه سرّا أو علانية، وحتى ما يُنهب من قبلكم؛ فهو حلال. أمّا على غيركم، فهو محرّم ومجرّم شرعا وقانونا.

صفّق البعض للواعظ بلا موعظة، والكثيرون منهم قبّلوا يديه ورأسه.

وفي كلّ تزامن مع اللقاءات بالصّفوف والحشود الرّجالية، تجتمع زوجة مسترق السّمع ذات الوشم الكحلي على ذقنها مع النسوة، عليكنَّ بالزّغاريد في كلّ معركة، نصر أو هزيمة؛ فالرّجال وبخاصّة

الجامحين منهم، ترتفع معنوياتهم بزغاريدكنَّ؛ فلا تتأخرن، وسيكون لكلّ منكن، نصيب من كلّ غزوة، حتى وإن مات من مات من أزواجكنّ؛ فعليكن بالزغاريد، فموت الأزواج يفتح أمامكن سبلا لم تكن في الحسبان؛ فزغردن من الآن.

بدأت الزّغاريد، والتصّفيق والرّقص وكأن القتال بين مسلمين وكفرة، أو بين غازٍ أجنبي ومغزي عليه في وطنه.

بعد تلك الشّطحات غير المسؤولة، قالت بصوتٍ عالٍ:

الزّغاريد، ثمّ الزّغاريد؛ فسألتها أحداهنّ: وماذا تقصدين بالزّغاريد المكرّرة؟

لا، لم تكن مكررة، بل هي زغاريد التمكين في المسؤوليات؛ فعندما يقصى من يقصى من الدراويش، أو يعزل سياسياً، أو يهجّر، أو توضع ممتلكاته تحت ما يسمى بالحراسة؛ فعليكن بالزّغاريد، كي يتشجّع الأزواج والأبناء والآباء بأخذ المزيد من قرارات التهميش والتغييب وحتى التعذيب.

أمّا أنتنّ يا من وضعتن على رؤوسكنّ راية الدّراويش؛ فعليكن بالزّغاريد حتى تشعلنها نارا في قلب السّماء؛ فرجالكن رجال، ولكنّ الزّغاريد تنقصهم؛ فزغردن، وارقصن، والنّصر آتٍ، والقائد آتٍ، وكلّ شيء من بعده آتٍ، حتى وإن مات من مات من أزواجكنّ؛ فقد

ضمنتنَّ الجنّة بزغاريدكنَّ؛ وستكون أبواب السُبل من بعدهم أمامكن مفتوحة على مصراعيها؛ فزغردن.

عقدت جلسة المؤتمر الوطني العام، لانتخاب الرّئيس ونائبيه؛ وانتخاب رئيس الوزراء وأعضاء وزاراته، وقبل أن تتمّ العملية الانتخابية، طُرحت مجموعة من الأسئلة على ضوئها تأسّست قاعدة معايير الترشيح الانتخابي، فكان على رأسها:

هل المتقدّم لترشيح نفسه قد مرّ بتجربة السّجن المريرة؟

هل ذاق مرارة المهجر؟

هل سبق له وأن حصل على جواز سفر عابر للحدود؟

هل سبق له وأن تحصّل على أكثر من هويّة وطنية؟

ثمّ أضاف مسترق السّمع سؤالا:

هل سبق له العمل في تلك الدّول، واكتسب خبرات علمية واستخباراتية؟

تمّ الترشيح والانتخاب الذي في معظمه كان ممّن كان له تجربة السّجن أو المهجر، وفقا لمجموعة من المعايير بعد التأكد من صفاء النيّة.

أمّا المواطنون الآخرون؛ فحظّهم قد توقّف أمام لجنة النزاهة، حتى وإن فاز منهم من فاز بأصوات الشّعب في دائرته الانتخابية.

ومع أنّ البعض قد فاز ديمقراطيا في دوائر الانتخابات الشعبية، لكنّ القرار السّابق بقوّة المغالبة، ظلّ موضع تنفيذ وفقا لرؤية لجنة النزاهة؛ فحال بينهم وبين ممارسة حقوقهم الوطنية، المقيّدة بأحكام تلك المعايير المفروضة، من خلال شرعيةُ: (قَبِل من قبل، ورفض من رفض) طوعا أو كرها.

فُتحت أبواب الجلسات الديمقراطية؛ فالانتخابات بحقّ لم تكن مزيّفة، ولا مزوّرة، وجلسات الاجتماعات تنقل على الهواء مباشرة، والشَعب يتابع جلساته المرئية والمسموعة، وزغاريد النسوة في منازل أعضاء المؤتمر الوطني العام تعلو، مع علو المطالبة بجعل مرتباتهم عالية؛ فكانت الأصوات العالية: (المرتبات العالية) أي: المرتبات أوّلا، ثمّ، الأغراض من بعدها تتعدد، وتختلف مع اختلاف الاتجاهات السياسية.

وحرصا ممّن استرق السّمع، همس في أذني بعض من منسقي الكتل في المؤتمر الوطني العام، بقوله:

أنتم أفضل الأحزاب، وأكثرها رصانة؛ وأكثرها تنظيما، ولا تعرفون الهزيمة؛ فعليكم بالتحدّي، وعليكم بإعلانه اليوم قبل غدٍ، ولكم من الخبرات ما يكفيكم، وجميع معايير النّزاهة تنطبق عليكم؛ فأنتم جاء عصركم، ولا أحد يستطيع أن يزايد عليكم بكلمة واحدة؛ فأنتم أوّل من اجتاز شروط المنافسة الانتخابية، انطلاقا من السجون والمهجر،

مرورا بحصول بعضكم على الجوازات المزدوجة، وفي النّهاية أنتم أصحاب الهويّة العابرة للحدود؛ ولكم رؤية عالمية منقذة؛ فلا تتوقّفوا عند حدود الوطن؛ فالوطن لا يزيد عن كونه نقطة انطلاق لكم إلى العالم الواسع، وها هو الوقت قد أصبح مناسبا، وبين أيديكم؛ فتقدموا وتحدّوا، وارفضوا.

ثمّ قال:

هذه التّجربة كانت على الوضوح في جمهورية مصر العربية، عندما فاز حزب الإخوان المسلمين في انتخابات بها تمكّنوا من سدّة الحكم سنة واحدة لا غير، ومع ذلك، أنجزوا فيها ما لم يكن متوقّعاً؛ فقد رسموا إستراتيجية واضحة المعالم تُمكّن الحزب الحاكم من حكم العالم بأسره. ولكن لسوء الحظ ثار المصريون؛ فقلبوا سدّة الحكم على من كان جالسا عليها، وهو: يرسم سياسات الامتداد العالمي، وإنقاذه من الهويّات والانتماءات المعيقة لحكم الخليفة المسترشد بأمره.

بعد استماع عن وعي وانتباه، طلب أحد الأعضاء المهموس في أذنه من رئيس المؤتمر، إعطاء فترة استراحة للصّلاة؛ فأخذها رئيس المؤتمر وكأنّها أمر لا يراجع؛ فرفع الجلسة في حينه.

خلال فترة الاستراحة تمّ إبلاغ أعضاء الكتلة بالمهموس به؛ كونه أمرا من أوامر ممارسة الديمقراطية المسترشد بها.

استؤنفت الجّلسة؛ فعرضت الكتلة رأيا به تُفعّل لجنة النزاهة الوطنية بصلاحية تلحق الأكثرية ولا تميّز بين خضرة ويابسة، فتهزّ العرجون حتى تُنفض ثماره، وأوّل ثماره عزل رئيس المؤتمر الوطني العام الدكتور محمّد المقريف، ثمّ نائبه الأوّل جمعة أعتيقة، وهكذا، هي النزاهة تُفعّل ذاتيا فتلحق رئيس المجلس الانتقالي المستشار مصطفى عبد الجليل لتحول بينه وبين أيّة عودة لكرسي الرّئاسة، كما أنّها تطول رئيس أوّل مجلس تنفيذي في زمن المجلس الانتقالي الدكتور محمود جبريل، وهكذا هي الأحداث تجري بسرعة لتلاحق كلّ من سار في مسيرات معمر القذافي خلال **42** عاما، شعبا وجيشا ورجال أمن، وحتى المؤسّسات ومن كان مستظل بظلالها وظيفياً؛ فهو لم ينج من ملاحقة قرارات النزاهة الوطنية.

الكلّ في حيرته، يتساءل:

ما هذا؟

ولماذا هذا؟

وهل يعقل هذا؟

فكانت الإجابة واحدة:

هو هذا، اقبل أو لا تقبل، صدّق أو لا تصدّق.

مثل هذه الأحداث، تجعل البعض مستغرباً، وقد لا يحسن التصرّف في وقته (زمن حدوث المفاجأة) التي فيها يتمّ استصدار القرار، وإلّا لماذا لم ينسحب أعضاء الكتل التي لها رأي مختلف؟

صدر القرار ديمقراطيا، بقوّة السّلاح، من خلال محاصرة جلسات المؤتمر، ثمّ مداهمة جلساته أكثر من مرّة، كما تمّ تهديد الأعضاء الذين لهم رأي مختلف أو مخالف بالقتل، إن لم يوافقوا على قرار العزل السياسي؛ فَقَبِل البعض إجازة القرار وتمريره تفاديا لما يخيف، ومن خرج متحدّيا عن طاعة الأمر الإكراهي تدافع نحوه بعض من المتبنّين لقرار العزل السياسي دون استثناء، كما هو حال العضو المستقلّ السيد جمعة السائح عضو المؤتمر الوطني العام، الذي رفع صوته والسّقف بلا تردّد، لا للتعميم، نعم للعدالة التي تحاسب على السّلوك.

اتّصل سارق السّمع على الفور برئيس أكبر كتلة عددية، ما بك؟ هل توقّفت عن خوض المعركة من الجولة الأولى؟ ولأنّني مخلص معك؛ مضّطر أن أقول لك حلو الكلام ومره.

وما هو الحلو منه؟

المستقبل لك دون غيرك، ولا مستقبل للإخوان المسلمين.

وما هو مرّه؟

لا مستقبل للتحالف.

**وكيف يكون المستقبل لي بدون التحالف؟**

**التحالف وأنت سيّد العارفين، من عنوانه لا مستقبل له؟**

**كيف؟**

**التحالف وفقا لمفهومه يتمّ بين المتحالفين وفقا للمصلحة التي تمّ التحالف من أجلها، وأنتم تحالفتم على خوض الانتخابات باسم الشّعب، والشّعب لم يكن عضوا رئيسا في تحالفكم، ولهذا، سيكون مستقبل أعضاء التحالف مرتبطا بمدى حصول كلّ عضو على نصيبه من المصلحة المتحالف من أجلها، وممّن تكون، حتى ولو كانت من خصمك الشخصي.**

**يبدو أنّك على بيّنة بالخفايا الكبيرة والصّغيرة.**

**نعم، لا لشيء إلّا حرصا منّي على نجاحك؛ فأنت الخبير الوحيد في ليبيا، ولا غيرك فيها يمتلك ما تمتلكه من خبرة، وأنت حزب في ذاتك، وأنت تحالف في شخصك.**

**إذا كنت مقتنعا بما تود أن تقنعني به؛ فعليك بإقناع الآخرين، ثمّ بقية النُّخب الليبية والشّباب على وجه الخصوص.**

**هذا عهد على عُنقي، وسأكون ملتزما به.**

**تمّت لقاءات مع معظم أعضاء التحالف، تنفيذا للعهد، حيث تمّ إقناع غالبيتهم بأنّ السيّد رئيس التحالف مع أنّ له من الرؤية ما له، لكنّه غير مستقرّ في ميادين المواجهة مع الخصوم، وعلاقاته الخارجية**

مرتبطة به، أمّا الداخلية؛ فمصالحها لم توزّع وفقا لقاعدة ما يجب، إلى جانب أنّ ضياع الوطن بدأ مع تلك البداية التي كان فيها رئيسا للمكتب التنفيذي.

تحالف هذا حاله، أصبح كثير من أعضائه وكأنّهم مستقلّين قابلين لتجاذبات سياسية مغرية، وأصبحت تصريحات رئيسه السياسية في اتجاه، والمواقف التي تؤخذ من قِبل أعضاء التحالف في اتجاه آخر؛ فخسر عنوان التحالف الرّهان، وبخاصّة عندما عُرضت خارطة الطريق بشأن تمديد فترة المؤتمر الوطني العام، التي ستنتهي في 7 فبراير 2014 إلى 24 ديسمبر من نهاية العام ذاته، حيث كان عدد الحاضرين لجلسات المؤتمر 149 عضوا، والذين وافقوا على إقرار التمديد كما جاء معلنا هم: 146 عضوا، مع العلم أنّ الأعضاء المنتمين لتحالف القوى الوطنية هم الأكثرية إذا ما قورنوا بغيرهم من الأحزاب. ومن هنا، وجد رئيس التحالف نفسه محرجا كون تصريحاته أصبحت في اتجاه، وأعضاء تحالفه يتخذون قراراتهم في الاتجاه المعاكس لاتجاهات التحالف.

بدأت المراجعة تدور في دواليب خبرة صاحب الرؤية التحالفية، حتى أنّه استطاع حصرها في أحد نقطتين:

هل هي عيب في ذلك المتعهّد؟ أم أنّها عيب يلحق كثيرا من أعضاء التحالف ذاتهم؟ ومع ذلك قرّر إعفاء المتعهّد من التّهمة، فاستدعاه على الفور، ما رأيك فيما جرى؟

ألم أقل لك من قبل، لا أحد سواك؟

وما الحلّ؟

أنت لا عيب فيك، بل العيب كلّ العيب في الآخرين الذين استقلّوا ذاتياً.

معك الحقّ. ثمّ على الفور كان الحديث مباشرة على شاشات التلفزة، نحن قوى التحالف الوطني أصحاب مواقف، ولكن أعضاء التحالف تمكّنوا من اتخاذ مواقفهم أفرادا مستقلّين، ومع أنّ هذه هي الديمقراطية، لكن في حقيقة الأمر لا يجوز لأعضاء تمّ انتخابهم تحت رؤية التحالف الوطني أن يتخذوا مواقف مخالفة لرؤياه؛ فالنّاس انتخبوهم لأنّهم أعضاء تحالف، ولم ينتخبونهم مستقلّين.

خرجت أعداد غفيرة من الشّعب في المدن والقرى الليبية في مظاهرات تنديد (لا للتمديد، لا لخارطة طريق المؤتمرٍ فاقد الصلاحية)، تلك المظاهرات كانت نتاج التنظيم الافتراضي الذي تأسّس بلا وسطاء، ولا مرشدين، ولا زعامات يحرّضون على الإقدام برؤية معيّنة مسبقة؛ فهو الذي تأسّس على المناداة الحرَّة المتحقّقة إرادة وطواعية، وهو التنظيم الذي يلتقي المتنادون له من خلال

شبكات الاتصال المتطوّرة على الفكرة دون قرارات مسبقة، حيث لا عضويّة من قَبل لأحدٍ من عناصره، ولا فكر عقائدي من ورائه يقوده، ولا علاقات مُمنهجة تربط المتنادين بأسبابه وتُوجِّههم.

ويعدُّ الاستفزاز العام بأساليبه المختلفة، دافعاً رئيساً وموسّعاً لتنادي جمعه، في الأماكن العامّة المفتوحة، دون أيّة إجراءات إقصائيّة من أحدٍ لأحدٍ، ولا رئاسة فيه تتربَّع على قمّة سُلّم السّلطان؛ فالكلّ متساوون في الفكرة، ووجهة الرّأي، وما يمكن أنْ يُتّخذ من قرارات، وكذلك في كيفيّة التنفيذ.

إمكانات التنادي لجمعه ذاتية شعبيّة لا علاقة لها بمؤسّسات الدّولة الرّسميّة، ولا علاقة لها بالأحزاب والمكونات والكتل السياسية حتى وإن ارتضاه منهم من ارتضاه؛ فالعمل التطوّعي هو السّائد مع منظمات المجتمع المدني.

ولأنَّه لا أعضاء رسميون للتنظيم الافتراضي، ولا قيادات تراتبيّة، ولا بطاقات عضويّة، ولا مُرشد؛ فهو: لم يكن في حاجة لأخذ الإذن من أحدٍ، ولا في حاجة لمن يعترف به أو لا يعترف.

التقى التنظيم الذاتي إرادة واجتمع ثورة متولّدة في ميادين الحريّة والسّاحات العامّة وميادين الشهداء الأبرار؛ فكانت قنوات التلفزة بين مؤيدٍ ومعارضٍ، ولا وجود لمساحة يقف المحايدون عليها.

ولذا؛ فإنَّ التنظيم الذاتي افتراضي الوجود كونه مولود الفكرة في الزّمن الآن؛ فلا علاقة له بإجراءات ومبررات رسمية معتمدة، أعضاؤه بداية يأملون اللقاء، ونهاية يأملون بلوغ الحلّ، وبين هذا وذاك لا أمل لهم بأن يشكّلوا تنظيماً من صفوة تحلّ محلّهم، بل هم حريصون على النجاح الذي تعود نتائجه المأمولة على الجميع دون استثناء، (ارحلوا أعضاء المؤتمر الوطني العام خير لكم من أن تُرحّلوا)، لقد انتهت فترتكم؛ فلا للتمديد، وفي المقابل هناك من يرى التمديد ضرورة، وهناك من يرى وجوب قلب المنصّة على رؤوس الجالسين عليها.

ولأنَّه تنظيم ذاتي افتراضي؛ فلا هويّة تجمعه إلّا هويّة الوطن من الحدود إلى الحدود، ولا تفريق بين المواطنين بلونٍ، أو ديانة، أو مذهبٍ، أو قبيلة، أو حزبٍ، أو طائفة، أو طبقة. شعاره الذاتي غير المكتوب هو أنَّ الوطن للجميع، ولا قمّة تعلو سلّم سلطانه إلّا بإرادة الجميع، ولا أحد يحكم بمشيئته كيفما يشاء وإلى متى ما يشاء، ولا توريث فيه، فيه الثروة ملك للجميع، والسّلطة للجميع، وممارسة الحقوق للجميع، وأداء الواجبات للجميع، وحمْل المسؤوليات للجميع؛ فلا إكراه، ولا تغييب، ولا إقصاء، ولا حرمان، ولا مظالم،

ولا مفاسد، الإصلاح هو الهدف المنشود، وصناعة المستقبل هي الحلّ[20].

والشّعب في تنظيمه الذاتي في الميادين (لا للتمديد) خرج على الهواء مباشرة اللواء خليفة بلقاسم حفتر من خلال قناة العربية يوم 14 فبراير 2014م يلقي بيانا باسم القوّات المسلّحة، حمل في مضمونه مبادرة تؤيّد الشّعب المتظاهر في مطالبه، مع إعطاء فسحة يومين للمؤتمر والوزارة المنبثقة منه، وإلّا ستكون العاقبة المواجهة من أجل الشّعب (لا للتمديد)؛ فكانت نقاط مبادرته:

1. تشكيل هيئة رئاسة وطنية يترأسها الرّئيس الأعلى للقضاء.
2. تقوم الهيئة الرّئاسية بتشكيل حكومة مؤقتة محدودة العمل.
3. تشكيل هيئة دفاع وطني من جميع الأجهزة الأمنية.
4. التفعيل الفوري للقضاء.
5. يعتبر المؤتمر الوطني العام والحكومة المنبثقة عنه مجمّدين إلي حين إيجاد آليّات الانتقال للمرحلة القادمة.
6. وقف خارطة الطريق[21].

---

[20] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

[21] صحيفة قورينا الجديدة، 14 فبراير 2014م.

بناء على هذه المبادرة وما تحمله من تلويح، وُصِفَ اللواء خليفة حفتر من قِبل رئيس المؤتمر، ورئيس الحكومة المؤقتة بالمتآمر، وأصدر رئيس الوزراء أمر القبض على اللواء خليفة حفتر، بتهمة إقدامه على فعل انقلابي، ولحقه بذات الأمر رئيس المؤتمر الوطني العام بإلقاء القبض على من وصفهم بالمنقلبين.

لقد كان مسترق السّمع على مقربة من مصدري القرارين؛ فقال على الفور:

إيّاكما ثمّ إيّاكما أن يستعجل أحدكما بإلقاء القبض على اللواء خليفة حفتر وسجنه؛ فإن تمّ القبض عليه وسجن؛ فتأكّدا أنّكما قد أدخلتموه إلى أكاديمية القادة (السّجن)، وبالتالي سيتخرّج بتلك المواصفات الشرعية لتولّي المناصب في الدّولة، فأفيقا من غفلتكم.

اعتقد أن ما سمعناه لا يخرج عن الحقيقة؛ فإن استطعت سحب قرار القبض؛ فعليك به.

لا تقلق يا سيادة الرّئيس، فقراراتنا خارج السّيطرة لا تزيد عن كونها حبر اعلى ورق؛ فهل تصدّق إنّنا قادرون على إلقاء القبض على السيد خليفة بلقاسم حفتر؟

كنت أظن.

لا تظن؛ فنحن لا زلنا بخير.

**يا ليتك تسأل مسترق السّمع الوطني عن مستقبلنا؛ فمسترق السمع يعلم ما لا نعلم.**

**معك حقّ.**

**السّلام عليك.**

**لا مجيب.**

**السلام عليك.**

**لا مجيب.**

**أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، السّلام عليكم.**

**لا مجيب.**

**أخذ السيّد الرّئيس بثياب الرّئيس التنفيذي، ما بك؟ كيف له أن يكون معك وأنت تستعيذ منه؟ وتذكر ما يرضي الله: (السلام عليك)؟**

**صدقت، ولكنّنا تعوّدنا على ذلك.**

**أنت في ظروف استثنائية؛ فعليك بما تعودت به في أماكنه، وما تودّ أن تتعلّمه في أماكن أخرى، ولا تفرط في شيء.**

**وماذا تقترح عليّ أن أقول؟**

**اصمت، وفكّر في: كيف تفسد علاقات البعض مع البعض؟ وحينها ستجده قريبا منك، يراك ولا تراه.**

**صدقت.**

أخذ مسترق السّمع الهاتف وأجرى اتصالات مع بعض من حزب العدالة والبناء، اتصالات مملوءة بالسِّباب لرئيس تحالف القوى الوطنية، وبعض من أعضاء تحالفه.

كان المُنصت على خُلقٍ يقول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، هكذا هم يقولون؟

نعم يقولون، وسيفعلون ما هو أكثر.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

لا تقول يا شيخ: حسبنا الله ونعم الوكيل وتصمت، بل قل: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة. انقطع الاتصال.

أجرى اتصال بعضوٍ من كتلة التحالف الوطني، هل سمعت ما يقولونه أعضاء حزب العدالة على رئيس تحالفكم المحترم؟

ماذا يقولون؟

يقولون إنّه علماني، لا يصوم ولا يصلي، ويقولون على تحالفكم إنّه تحالف شيطاني.

لا حول ولا قوّة إلّا بالله، هم قالوا هذا؟

نعم، قبل دقيقة واحدة كان أحدهم متصلا بي، وكأنّه لم يعرف من الإسلام شيئا، رجل لا يتقي الله فيما قال.

لا حول ولا قوة إلّا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

لا حول ولا قوّة إلّا بالله، هذه تقال: من طيبتكم وسماحتكم، ولكن الذي يجب أن يفعل هو: أن تعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة، وإلّا سيبلعونكم، ويبتلعون من بعدكم ليبيا بكاملها.

ما رأيك يا ريس فيما سمعت؟

لقد كان موفّقا.

والله لو لم أسمعه بأذنيّ ما صدّقت، ونحن مهما بلغت العداءات والصدامات والنزاعات والخلافات بيننا لا نستطيع قول ما سمعنا.

هذا مجرد كلام، ولكن الأهم هو الفعل؛ فماذا تقول؟

اعملوا على شراء الثلث المعطّل للمؤتمر الوطني العام حتى لا يستطيعوا إسقاطكم، ثم شراء بعض المليشيات، واعملوا على مكانتكم كي لا تقوم مكانة لغيركم. وتقلّبوا في اليوم الواحد عشر مرات بعشرة أوجه، وحافظوا على ملابسكم، وبخاصّة ملابسكم الوسطى (الداخلية)، وإيّاكم والخلوات المشبوهة.

ملابسنا الداخلية دونها الموت، أمّا الخارجية؛ فتتبدّل مع تبدلنا، والشبهة مع الفطنة وأخذ الحذر لا تلتقي.

ها أنا أقول: وخذوا حذركم.

قُبض على رئيس الحكومة في مرقده بأحد الفنادق، من قِبل قوى ثورية، وهو في ملابس نومه، والإهانات تلاحقه من كلّ فم، والوكز من كلّ جانب، أخذ إلى مكانٍ علمت به إحدى القوى المسلّحة التي

مالت تجاه السيّد رئيس الحكومة، وبعد تفاوض وتهديد ووعيد، جاء الإفراج عنه، وهو في مظهر لا يليق بمن هو في عمره، ولا مكانته وشرفه.

مسترق السّمع عن بعدٍ يراقب المشهد، وبعد عودة السيّد رئيس الوزراء إلى مقر إقامته مكسور الخاطر، جاءه لائم، ألم أقل لك حافظ على كذا وكذا؟

والغضب يملأ صدره، هؤلاء رزلاء؛ فلا أخلاق لهم، ولكن لن يستطيعوا تكرارها معي.

قال رئيس المؤتمر، الحمد لله، إنّك سلمت.

الله يقبل حمدك.

قبض على رئيس المؤتمر متلبّسا بشبهة، تفاصيلها عُرضت على صفحات الفيس بوك، ثمّ أفرج عنه.

بعد أربعة أيّام من ذلك البيان صدر بيان آخر باسم بعض من الثوار، في 18 فبراير 2014م مؤيدا لمطالب الشّعب المتظاهر في الميادين والسّاحات العامّة (لا للتمديد)؛ فكان محتواه:

1- نمهل المؤتمر الوطني العام المنتهية ولايته مدّة خمس ساعات لتسليم السّلطة من لحظة قراءة هذا البيان.

2- يعتبر كلّ من يبقي من أعضاء المؤتمر مغتصبا للسّلطة وضدّ إرادة الليبيين، وسوف يكون هدفا مشروعا لنا بالقبض عليهم،

وتقديمهم للمحاكمة جراء ما قاموا به من أعمال، كما أنّنا نتّهمهم بالتآمر على ليبيا وسلب خيراتها وإهدار مالها وخيانة الشّعب.

**3** – إيمانا منّا بأنّ سبب مشاكل البلاد هم الإخوان المسلمون والجماعات المؤدلجة، والمتطرّفة؛ فإنّنا نعتبرهم داء ووباء، ووبالا على هذا البلد، وسوف نكون نحن الدّواء.

**4** . نتعهّد أمام الله والشّعب بأنّنا لم ولن نكون طلاب سلطة، ولكن وفاء لدماء رفاقنا من الشّهداء، ووفاء لهذا الوطن، تعهدنا بأن نكون حماة الوطن حتي يقف علي قدميه لبناء مؤسّساته العسكرية والأمنية، وسوف نكون داعمين لذلك بكل ما أوتينا من قوّة وعزيمة.

**5** – نحمّل المسؤولية كاملة لأعضاء المؤتمر على جرّ البلاد إلي الهاوية، ودفع أشباه الثوار واستغلالهم، ونحمّلهم دم كلّ ليبي يسيل على تراب الوطن، ويد الثوار الحقيقيين ستطال كلّ خائن وجبان أينما كان، حتي تتطهّر البلاد من أشباه الثوار والأنذال.

**6**– بعد هذا التاريخ، وهذه المدّة؛ فالكلّ يتحمّل مسؤولية هذا الوطن، ونطالب الشّعب الليبي الحرّ بالوقوف إلي جانب الحقّ في تطهير البلاد ومناصرته الكاملة؛ فهو صاحب الشرعيّة والسيادة بعد الله.

ومع أنّ أولئك الثوار قد حدّدوا خمسة ساعات مهلة للمؤتمر، لكن خلال هذه الفترة الوجيزة حصل تدخّل من قبل مندوب الأمم

المتحدة السيد طارق متري، لتهدئة الموقف، وفك الفتيل؛ فأصبحت المدّة الممنوحة 72 ساعة بدلا من تلك السّاعات الخمس، ومع أنّ المدد الممنوحة قد انتهت، لكنّ الهدنة لازالت مستمرّة حتى هذا اليوم الموافق 24 فبراير 2014م.

هذه المحاولة تشبه المحاولة التي سبقتها، ولكن لكلّ منها خصوصية، فالأولى صدرت باسم القوات المسلّحة، والقوات المسلّحة غير متفقة بالتمام، وغير متهيئة للتنفيذ، أمّا الثانية؛ فهي: باسم الثوار، والثوار هم الأخرون غير متفقين على التمام، وغير متأهبين لذلك. ولهذا بقيت بيانات نافذة بدون أفعال نافذة. وهذا لا يعني أنّ الأمر قد استقام، بل يدل على أنّ التأجيل وكأنّه جزء من الحلّ.

وعليه: فإن لم يتمّ التوافق الوطني من أجل ليبيا دولة حرّة ذات سيادة، ستصبح ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسؤوليات في خبر كان، بين إقصاء، وتهميشٍ، وظلمٍ، ويصبح عدد السّجناء على الكثرة التي لا تمكّن المصنّفين للقضايا من القدرة على تصنيفها، ويصبح القضاة عاجزين عن إصدار الأحكام العادلة، ممّا يجعل الأكاديميات (السّجون) غير قادرة على تأهيل القادة كما كانت قادرة على تخريجهم بمعارف شاملة لكلّ ردود الأفعال؛ فالذين كانوا بالأمس سجناء في الزنزانات والمخابئ يصعب عليهم أن ينسوا تلك

العذابات، وتلك الإهانات، التي تلقوها من أناس هم اليوم بين أيديهم سجناء، أو أنّهم من قِبلهم مطاردون.

ولأنّ لردود الأفعال علّة، فكلّ سجين لا يرى على رأس عِلله علّة إلّا علّة من كان سببا في سجنه وإقصائه؛ ففي مصر على سبيل المثال: تمّ تحرير الدكتور محمّد مرسي من سجنه أثناء ثورة **25** يناير **2011**، ومن بعدها تمّ انتخابه رئيساً لمصر، وبعد سنة من انتخابه تمّ إسقاطه بثورة **30** يونيو **2013**، من قمّة السلطان في مصر، وأصبح سجينا كغيره من السجناء، وعلى رأس السجناء، الرّئيس الأسبق محمّد حسني مبارك، إنّها دائرة غير المتوقّع؛ فلا استغراب (رئيسان لدولة واحدة في سجن واحد) وأمام العدالة الدّفاع يترافع عن ردود الأفعال.

وقبل ثورة الشّعب الليبي والمصري ثورة الشّعب التونسي، التي أطاحت بنظام زين العابدين بن علي وحرّرت السجناء، ومكّنت الشّعب من حرّية الانتخاب الحر؛ فتم انتخاب الرئيس محمّد المنصف المرزوقي رئيساً لتونس بعد أن كان سجينا ومهاجرا. وكذلك مكّنت الثورة التونسية السيد راشد الغنوشي رئيس حركة النّهضة من العودة إلى تونس بعد أن كان مهاجراً، ومن قبلها كان سجينا في بلاده.

ومع أنَّ الوطن ملك للجميع دون استثناء، لكن لكلِّ ردّة فعل علّتها، فمن كان سجينا، وأصبح حرّا طليقاً، ومن بعده أصبح مسؤولاً، يصعب عليه أن يفكّر برؤية من لم يمرّ بتجربة السّجن ويذوق مرارة آلامه، ومع ذلك، هناك من لهم من الأخلاق الحميدة ما لهم. ولكن إن بلغ الحال بردود الأفعال أن تؤثّر في أنفس البعض الذين أصبحوا على القِمم السّلطانية بعد أن كانوا سجناء؛ فهل سيكون للعدالة دلالة ومعنى؟ أم أنّ العدالة هي الأخرى ستكون في خبر كان؟ وإذا أصبحت العدالة في خبر كان؛ فهل يا ترى، ستقوم للوطن قائمة؟ أم ستكون النتيجة على غير ذلك، ويصبح في الوطن علّة؟

وعليه؛ فالمسؤول الوطني ليس من يبحث عن مشاجب ليعلّق عليها قصوره، وردات فعله الشخصانية، بل هو من يحمْل المسؤولية، ويتحمّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام؛ ويحذف وراء ظهره كلّ ردود الأفعال، وإلاّ في دائرة المتوقّع سَيُغرِق عجلة الوطن في الوحل بين تأزّمٍ وآلمٍ، ومن ثمّ يجد نفسه في مواجهة بين رفض وتمرّد وثورة، وبذلك يصبح في دائرة غير المتوقّع كلّ شيء ممكن.

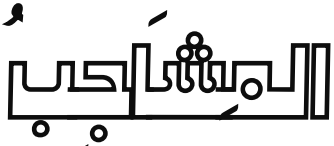

***

(عندما تُلقى المسؤولية عليك، تحمّل أعباءها، ولا تجعل من ظهور الخصوم مشاجبا)

# المَشَاجِبُ

***

المَشَاجِبُ في ميادين السياسة، ليس بتلك التي تعلّق الملابس عليها، بل هي: التي تلبّس بما ليس له علاقة بها، وبها ينعت من تلتصق التهم به، أو من تلبّس له وتعلّق عليه كما تعلّق الملابس على المشاجب.

فمشاجب السّاسة تلبّس للأفراد، كما تلبّس للجماعات والأحزاب، وكذلك هي تلبّس للأفكار والمعتقدات والنظم. ولكن ما يميّز مشجب عن مشجبٍ، هو: درجة تعلّق المتمسّكين بالمشاجب، وما يزرعونه من خوفٍ في أنفس الآخرين؛ فتتولّد التّهم من التّهم، وتولّد الافتراءات من الافتراءات، لِتنتشر بين النّاس قصدا حتى تُخيفهم بالمرهب، ومن ثمّ، يكثر المسوّقين لها، أفرادا وجماعات ووسائل إعلام، دون أن يبحث أحد منهم عن حقيقة الأمر، وبخاصّة عندما تسوّق المعلومات المزوّرة من قِبل مؤسّسات الدّولة وأجهزتها، ومن يديرون دواليب السياسة فيها.

وَلِدت المشاجب السياسية من فكرة إلصاق التّهم بالخصوم، بهدف تحجيمهم بما هم عليه من علّة التّهم، حتى يستسلموا طوعا أو كرها، وهذه اللغة (طوعا أو كرها) لا تعدّ معيبة من وجهة نظر من يبحثون عن مشاجب ليعلّقوا عليها ما يعلّقون؛ ولهذا، تُلّبس التّهم جنبا إلى جنب مع الافتراءات من قِبل البعض للبعض بلا حرج، وكأنّ البعض يمتلك الحقيقة كاملة، والآخر يفتقدها بالتمام.

وعليه:

في أيّ مجتمع، أو أيّة دولة، من يرى أنّه قد امتلك الحقيقة كاملة؛ فهو برؤيته هذه، وكأنّه يثبت أمام النّاس جهله بها، ولكن، بما أنّه تبنّى هذه النظرة (أنّه يمتلك الحقيقة دون غيره)؛ فلا بدّ له من عملٍ يستهدف به سلبها من الغير، وبذلك يصبح أوّل من يبذر بين النّاس بذرة المشاجب، ويظل أكبر مسوّق لها بين النّاس فتنة، سواء بلغت مرحلة النضوج، أم أنّها لا زالت في مرحلة ما قبل بلوغه.

ولمتسائل أن يتساءل:

أتوجد علاقة واضحة بين المشاجب والفتنة الوطنية؟

نعم، فتنة الوطن مشاجب، وهي: اختلاط أوراق مشوّهة دون القبول بفرزها، وتصحيح ما تحمله من تهم ومكائد، وهي تسويق للمعيبات، حتى تسود الفرقة والبغضاء بين البعض والبعض، ويلهو فيما هم فيه متخالفون ومتخاصمون ومتقاتلون. بها تنتشر المظالم في

دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع حتى بين الأخوة والأقارب، ولا حُجّة للكلمات فيها إلّا بما يؤلم، ويحدث تأزّماً.

موقدو نار الفتنة يَسعدون كثيراً بزيادة الخسائر بين أطرافها ومركزها، والمفتونون في غفلة الألم يتدافعون على تقديم المزيد من الخسائر، والعارفون إن أدخلوا أقدامهم في وحل التأزُّم تغوص في القاع وهم يعتقدون أنّهم في الاتجاه السليم، ومن حولهم الأفعال المؤذية والمميتة، يتسابق أهل الفتنة عليها وكأنّها المُنقذ.

ولأنّها الفتنة؛ فهي، العمياء التي لا تميّز بين أحدٍ، حتى صحابة رسول الله لم تميّز بينهم؛ فالفتنة بين علي بن أبي طالب ومن ولاه، ومعاوية بن أبي سفيان ومن ولاه، كانت على أشدّها، والقتلى بينهم من المسلمين في معركة صفّين بعشرات الآلاف، ولأنّها الفتنة؛ فقد لحقت من قبلهما الخليفة عمر بن الخطاب، والخليفة عثمان بن عفّان اللذان قتلا بعظمة نيرانها، وقبل هؤلاء جميعا نشأت الفتنة مع نشأة الخلق البشري فأدت إلى قتل أحد ابني آدم على يدي أخيه ابن أبيه وأمه، ووراء كلّ ما سبق علل ومشاجب.

ومع أنّ الفتنة أشدُّ من القتل، لكنّها تؤدّي إلى القتل، ومع أنّها تؤدّي إلى القتل، لكن القتل قد يكون لشخص بعينه، أمّا الفتنة فدائرة اتساعها مثل رمي الحجر في الحوض المائي، دائرتها تبدأ صغيرة بحجم الحجر الذي تمّ رميه، ثمّ تتّسع إلى أن تعمّ الحوض المائي

بأكمله؛ ولهذا؛ فهي أشدّ من القتل؛ فعلى سبيل المثال: من يُرمى بحجر ويدمغ ويقتل به يظل القتل مقصورا على من أصابه ذلك الحجر، حتى ولو كان المُرمى بها عن عمدٍ، أو عن غير عمدٍ، وفي كلّ الأحوال إن كان المرمي به عن قصد؛ فالقصاص العادل كفيل بمعالجة الأمر، وإن كان عن غير عمد؛ فالدّية والتسامح والعفو كفيلة بطي الصفحات المفتوحة.

أمّا الفتنة التي من ورائها مشاجب عندما تنتشر بين النّاس؛ فهي كالنّار في الهشيم، بدايتها بثّ افتراءات ودسائس وكيد ومكر، ونشر المعيبات بين النّاس، أمّا نهايتها؛ فسلب ونهب، وشتم وتنابز بالألفاظ، وإقصاء وعزل سياسي وتقتيل وكأنّ الإنسان ليس بإنسان.

ولأنّ الفتنة أشدُّ من القتل؛ فإن شبّت نيرانها في من شبّت؛ فسوف يسجّلها التّاريخ في صفحاته مآسي وآلاما وأوجاعا وتأزّمات، حتى تصبح مضربَ مثل كما هو حال الفتنة بين داحس والغبراء، التي استمرّت أربعين عاما، وهي فتنة من فتن الجاهلية، وقعت في منطقة نجد بين فرعين من قبيلة غطفان (عبس وذبيان)، وكذلك فتنة بني أصفهان، وفتنة البسوس، وغيرها من الفتن والمعارك الكثيرة التي عاشها وخاضها العرب في الجاهلية فتنة مشاجب.

ومع أنَّ حركة التّاريخ متّصلة زماناً، ومنفصلة موضوعاً، لكن الفتنة عبر الزّمن لم تنقطع؛ فمآسيها تتكرّر، ورموزها يتجدّدون؛ فعبد الله

ابن سبأ الذي ظهر من اليمن سنة 30هـ مفتناً، هو عبد الله بن سبأ الذي انتقل إلى الحجاز مفتناً بجميع ألوان المشاجب، ثمّ انتقل إلى البصرة لذات المهمّة، ومن بعدها الكوفة، ثمّ انتقل بفتنته إلى مصر.

الفتنة في كلّ عصر متلوّنة، ولا تنشأ إلّا ترويجا للمعيبات مع وافر الدّسائس؛ ففي عصرنا هذا (القرن 21) معظم ألوان لحفها تتشكّل من لونين: (دين وسياسة) مرّة بلون، ومرّة بلا لون، وبهذا التلوّن تظل الفتنة مستمرّة ليس في بقاء أثرها فقط، وإنّما في ممارستها من خلال التعمّد والإصرار على هذا التلوّن المتبدّل بالمشاجب.

هكذا، هي الأوراق تُخلط، حتى أصبح الدّين عند البعض وكأنّه لا يزيد عن منطق (حلال لنا وحرام عليهم)[22].

ففتنة المشاجب المتلوّنة، مولود متمرّد من الأنفس المتلوّنة بدسائسها؛ فالنّفس الأمّارة بالسّوء مع أنّها تعرف ما يجب لكنّها تأمر بغيره، {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}[23]. أي: إنّ امرأة العزيز تعترف ولم تبرّئ نفسها من ميلها إلى الشهوات، التي دفعتها للفتنة والخيانة حين قذفت يوسف بقولها: {مَا جَزَاءُ مَنْ

---

[22] عقيل حسين عقيل، الهوية الوطنية بين متوقع وغير متوقع، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، ص 193 . 203.

[23] يونس 53.

أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[24]؛ فهذا لون من ألوان الفتنة، أي: مشجب من مشاجبها.

وهناك لون آخر، وهو الهوى؛ فالنّفس البشرية معرّضة لأن تهوى فتنة، ومن ثمّ، تؤثر الحياة الدنيا، وتقع في الرّذيلة، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}[25]، الهوى فتنة، والله نهى عنه بقوله: {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى}[26]، في هذه الآية (أمر ونهي) عن اتباع هوى النّفس في الفتنة التي هي مظلمة، {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[27]، ولأنّ في الهوى مخالفة الصدق؛ فهو المؤدّي للفتنة، ولكي لا تحلّ الفتنة بين المسلمين، اصطفى الله محمّدا رسولا الله نبياً لا ينطق عن الهوى عليه الصّلاة والسلام، برسالته الخاتمة للكافة، رسالة تحمل حلّا لكلّ فتنة، وتنهى عن ارتكابها قطعا، {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}[28].

إذن، الفتنة أنفس متلوّنة، منها:

---

[24] يوسف 25.

[25] النازعات 40.

[26] النساء 135.

[27] ص 26.

[28] النجم 3 . 6.

. السيئة الطّالحة.

. الظّالمة الجائرة.

. المعتدية الضّالة.

. المفترية الماكرة.

. المراودة الكائدة.

. السفيهة الحاسدة.

. الحاقدة الضاغنة.

وبين هذه وتلك، أنفس بين النّاس تُوسوِسُ فتنة؛ فالنّفس الوسواسة، هي التي تُلحق الظنّ بكلّ شيء، وهي التي تظهر الموافقة والرّضا، وتلاحقهما شكّا وظنّا، إنّها النّفس التي يتهيأ لها الأمر في غير مكانه المناسب؛ فتظهر ما لا تبطن، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}[29]؛ فالإنسان الفتنة يعتقد أنّ ما يدسّه من دسائس بين النّاس لن يكشف أوراقه أحد، ولكن لو كان الأمر كذلك، ما انكشف أمر من سبقه من المفتنين، ومع أنّ الفتنة أشدّ من القتل، لكن في حقيقة الأمر لكلّ بداية نهاية، وعندما يأتي اليوم الذي تنتهي فيه الفتنة، لن يكون من بعدها عنوان فتنة إلّا من كان سبباً في إيقاد نيرانها، كما هو حال عبد الله بن سبأ الذي بقي عنوانا للفتنة واللعنات تلاحقه في حياته ومن بعد مماته.

---

[29] ق 16.

ومن ثمّ؛ فرؤوس الفتن، رؤوسهم تنتهي وتبلى، وفتنهم تبقى وتتجدّد، صاحية نائمة، أي: لا تنام إلّا لتصحو، ومع ذلك قد يحدث الإيقاظ قبل موعده، من قِبل موقظ مُفزع كما هو حال الفتنة التي يتمّ إيقاظها من قبل مُفزعين؛ فحالها كحال الجنين في رحم أمّه، لابدّ وأن يخرج، ولو بعملية قسريّة.

ولأنّها الفتنة؛ فهي لا تستثني أحدا، الزوج وزوجه، الأب وأبناؤه، الأخ وأخوه، الرفيق ورفيقه، الجار وجاره؛ وهكذا هي تفعل، وتجعل من أصحابها مقلّبين للأمور، ومستعجلين السيّئة قبل الحسنة.

بعد استراق النّص سمعاً، قال المسترق:

لا شكّ لو لم تسبق السيئة الحسنة، ما كنت بينهم مفتناً ولا غاوياً، وما كانت لي بينهم مشاجب.

الزوجة تنطق: لو لم تكن غاويا ما غويتك.

لا تجعلي نفسك بريئة؛ فأنت ذات الكيد العظيم، ويا ما فعلتِ من مكائد، أم أنّك نسيت تلك الخيوط التي نسجتها بين الأزواج طلاقاً، وبين الأخوة تقتيلاً، وبين الجيران عداء، وبين الشّعوب حروبا، وبين الأحزاب مشاجب عليها عُلّقت علل الفتنة والمظالم.

كلانا يا زوجي أبناء أب وأمّ.

ولكن لو طلبت منك يا زوجتي العزيزة، ماذا أفعل عندما يعوذ بي أحد منهم؟ فماذا تقولين؟

عليك بما يزيدهم رقها، {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[30].

وها أنا أغزل لهم وأنسج، حتى يزدادوا رهقا.

ألم أقل لك، كيدك عظيم؟

فليلبسوا، ويفترشوا، ويغطّوا.

وبأيّة لعبة ستلعبين بينهم؟

لعبة المشاجب.

يا لها من لعبة، طيف ألوانها فيه كلّ الألوان، ولهم في كلّ لونٍ مشاجبٍ؛ فما يعتزّ به بعضهم، بعضهم يعدّه معرّة؛ فخِيطي لهم وانسجي؛ فهم كلّ الأحجام والأرقام يلبسون.

نعم، أعرف شهواتهم، وأنا الغاوية؛ فالسّوق سوقنا، نحن نسوّق فيه، وهم يشترون، والمعارك على ما يلبسون بينهم على أشدّها.

بين من ومن؟

بين تلك المشاجب: العلمانية، والإخوانية، والخضرية، والقاعدية، والتحالفية، والحوثية، والداعشية، والشرعيّة، واللا شرعية، والطحلبية، والزلميّة، وحتى الحبوب الهلوسية؛ فمعظم أصحاب هذه المشاجب، يخطفون ويقتلون، ثمّ بعد ذلك يقبضون على المقتول ويتركون القاتل طليقا.

---

[30] الجن 6.

جريمة بين الأخوة جرّت (وَلِدت) من ورائها جرائم، وكلّ جريمة لها مشجب تعلّق عليه؛ فمنهم من أخذ بمشجب المؤامرة كما هو حال البعض الذين اعتادوا عند دخولهم الحروب أن يعزو النّصر فيها إلى أنفسهم، وعندما يهزمون، يعزونه إلى عامل خارجي (استعمار)، أو داخلي (خيانة وعمالة وتآمر).

أعنّي يا زوجي عليهم؛ فمشاجبهم كثيرة، وجهدي أقل من كثرتها.

ها أنا بين جمع من المنعوتين بالنّظام السّابق، كلّهم حيوية، ينكرون كلّ شيء، وينعتون الإسلاميين بكلّ شيء.

يا إلهي، وأنا كذلك بين بعض من الإسلاميين، وكلّهم ينكرون كلّ شيء، وينعتون جماعات النظام السابق بكلّ شيء.

أكدي لهم ما يقولون، كما أنا أكدّته لغيرهم.

ها هم يقسمون بعظمة ألسنتهم، إنّهم لن يتردّدوا عن إقصائهم جملة واحدة، ولن يقبلوا أحدا منهم وإن استغفر.

وهكذا بالتمام جماعات النظام السّابق يقسمون.

ها نحن قد فلحنا.

لا، لم نفلح بعد؛ فهناك جماعة التحالف، وجماعة النُّصرة، وجماعة القاعدة، والبلاطجة؛ فلنسرع إليهم، كي لا يحرم أحد من ثمار جهودنا.

ليس لنا بدّ إلّا التدافع، كبيرنا وصغيرنا؛ فالفرصة سانحة أمام أبنائنا للتدريب والتعليم، وفقا لذلك القسم، وتنفيذا له، {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[31].

معك حقّ، ابعثيهم دون تردّد لإقناع الجميع: إنّ قتلى كل طرف هم في الجنّة، وقتلى خصومهم في النّار، وأنّ ما يقدمون عليه من تقتيل، هو الجهاد بعينه، أمّا ما يقدم عليه غيرهم؛ فهو الكفر ولا غيره، وكلّما أطفئت نار فتنة، عليهم بإشعالها من جديد.

جاءت ردود الأبناء من ميادين التدريب الميداني، حيث تُقدّم النّصائح ويُحرّض على المواجهة، بأنّهم قد وجدوا الغالبية مقتنعة بما هم عليه دون أيّ جهد يبذل تجاههم، والكلّ مقتنعون بأنّهم على حقّ، وغيرهم على باطل، وأنّ الصّراع والنّزاع والخصام والاقتتال والجهاد حقّ لهم، وليس بحقّ لغيرهم، وأنّ قتلاهم في الجنّة، وقتلى الآخرين في النّار، وهكذا، بعضهم يرتكب الأفعال والأعمال المستفزّة والمجرّمة والمحرّمة، وهم لا يعترفون باقترافها، بل ينعتون بها من ينعتون مشاجباً، كونهم لا يرونها إلّا من عناصر تلك المنظومة، أو من تلك الجماعة، وبعضهم يرمي بها تنظيما بعينه، أو قبيلة من القبائل، أو يوزّعون دمها على مجهولين، وإن طُلب منهم التحديد

[31] ص 82، 83.

قالوا: إنّها من تلك الحبوب (حبوب الهلوسة) التي هي دليل إثبات لإخفاء الدليل والحُجّة.

ها أنتم يا أبنائي أصبحتم شهودا على ما يرمي به بعضهم بعضا، ولكن إن استشهدوا بكم؛ فلا شهادة لهم عندكم، بل افعلوا بهم ما نحن بهم فاعلون، أقلبوا لهم الأمور رأسا على عقب، وارموهم بها، ولا تستثنوا أحدا، ثمّ اغووهم، وأتوا إليهم من بين أيديهم ومن كلّ جنب، واقعدوا لهم حيث ما سلكوا كما قال أبيكم لربّه: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}[32].

قال الأبناء وكأنّهم ينشدون ما حفظوا أنشودة: لا داعي لشهادتنا؛ فكلّ فئة منهم يا أمّنا، ترى كلّ الفئات الأخرى هي الظالمة والمعتدية، وهي: التي تخطف وتنهب، وتقتل وتسجن. وكلّ فئة منهم ترى نفسها مظلومة ومستهدفة دون غيرها؛ فهم يا أمّاه في الوقت الذي يظهرون فيه أنفسهم وكأنّهم أبرياء من اقتراف الجرائم، في ذات الوقت يثبتون أنّهم مرتكبوها، ولكن على الاختلاف بما هم عليه متخالفون.

الأم تقول:

---

[32] الأعراف 16، 17.

خذوا يا أبنائي مجموعة من الأسئلة، وأسالوها كلّ طرف من أطراف الخصام والصّدام والنّزاع والاقتتال:

من الذي يختبئ وراء تلك التفجيرات والاغتيالات؟

من الذي يرى أن تظل ليبيا بلا جيش وطني، وبلا شرطة وطنية؟

من الذي وراء قانون العزل السياسي؟

من الذي يختطف ويسجن ويقايض؟

من الذي لا يرى وجوبا لتوافق وطني وبناء الدّولة؟

جاءت الإجابات وفقا لاستطلاع آراء العينة العمدية، أنّ الكلّ يبرّئ نفسه، وحزبه، وجماعته وقبيلته من أيّة تهمة أو جريمة، وينعت بها غيره؛ فكانت إجابات كثير من عناصر النظام السّابق، أنّ كلّ ما جرى وما يجري من آلام من ورائه المنتمون لثورة فبراير، وفي المقابل كانت إجابات كثير من المنتمين لثورة 17 فبراير، إنّ كلّ ما جرى وما يجري من آلام من ورائه أولئك المنتمون للنظام السّابق.

أمّا الإجابات على وجه الخصوص؛ فكانت معظم أراء قوى التحالف الوطني، هي: أنّ حزب العدالة والبناء، والإخوان المسلمين، والجماعة الليبية المقاتلة، والقاعدة هم: من يعيقون بناء الجيش الوطني والشّرطة الوطنيّة، وكانت إجابات معظم ألوان طيف الإسلاميين: أنّ جماعة التحالف هم الذين يعيقون بناء الجيش

والشّرطة، ويريدون الانفراد بالحكم، كما أنّهم يعتقدون أنّ العلمانيين هم مفسدة البلاد، وأعداء الشريعة الإسلامية.

أمّا العلمانيون؛ فلا يرون مفسدا لعلاقات الشّعب، وهدّ أركان الدّولة والوطن، سوى الإسلاميين؛ فلا تمييز، وهكذا، الكلّ يبرئ مشجبه من التهم، ويلقيها الجميع على مشاجب الآخرين.

أمّا غالبية الشّعب الليبي؛ فلا يميّزون بين العناوين الحزبية، وعلى رأسهم حزبي العدالة والبناء، وقوى التحالف الوطني.

سأل الأب زوجه: هل فهم الأبناء حقيقة الأمر (هي كما هي)؟

نعم، كلّ شيء أصبح على البلاطة؛ فأجاب الأبناء بصوتٍ واحد: كلّ أفعالهم تعلّق على المشاجب، ولا مشاجب سواهم.

كلّ الأمور قد اختلطت حتى كدت أن لا أميز بين المشاجب والمفاسد.

قال الزوج: نعم، مع وضوح الحقيقة، لكن الكتمان جعلها كالشّمس عند كسوفها؛ فمع أنّها بيّنة، لكنّ الكسوف يجعل بينها وبين المشاهدين عتمة، حتى يظنّ البعض أنّ العتمة قد قضي عليها؛ ولهذا، كلّ الجرائم تسجّل ضدّ مجهول قبل أن تقع الجريمة، وأنّ التحقيقات قبلها تجري كي تنتهي ساعة حدوتها؛ وهكذا، هي المشاجب والمفاسد والمقاصد والملابس تُرتَدى على تراب الوطن فتنة.

# بين الصّفوف

****

(إذا رسمت سياستك على قراءة الكفّ؛ فلا تستغرب أن تشبّ
الفتنة بين الصّفوف، وتلحق جلابيبك)

# بين الصّفوف

***

مع أنّ لكلّ مواطنٍ دوره وتخصّصه وصلاحياته واهتمامه، لكن للشيطان الوطني كلّ الأدوار والصّلاحيات والتخصصات والاهتمامات والتدخّلات؛ فهو كما هو حريص على من تبقّى من أفراد وجماعات تلك المنظومة التي طويت صفحاتها من الاستمرار، بعد أن وُضعت القاطعة نهاية لأسطرها، فهو كذلك يرى نفسه حريصاً على غيرهم. فكما هو مع صفّ مع؛ فهو كذلك بالتمام مع صفٍّ ضدّ، وبالنّسبة له لا فرق بينهما وبين صفّ السّاكنين.

إنّه يرى أن يكون للضدّ ضدّاً، ويأمل من السّاكنين أن يتحرّكوا ليصبحوا ضدّا، للضدّ والضدّ. فذات مرة جاءهم زائر دون أن يجد منهم ترحاباً ولا رفضاً، ذلك كونهم السّاكنين، ولكنّه بعد أن استطلع آراءهم، تبيّن له ما تبيّن من قابلية الانقسام على أكثر من اثنين، ولكنّه أجّل لعب دوره حتى يتمّ فرزهم أوّلا بأوّلِ.

فعاد برسالة منه إلى كلّ من الثوار الذين غايتهم الوطن، وإلى الثوّار الذين في أنفسهم غاية؛ فأقنع الوطنيين منهم بأن يتخلّوا عن

الاستمرار، وحرّض البعض الآخر (الذين في أنفسهم غاية) على البقاء والتخنّدق في مفاصل الدّولة، لتصبح القرارات النافذة بين أيديهم، والأوامر مستوجبة التنفيذ بناة أفكارهم؛ فكانت الفرحة والبهجة بهذا الأمر سرورا بأخذ مناصب الدّولة أوّلا بأوّل. وفي المقابل عمّت الفرحة قلب الشيطان الوطني بهذا التولّي بعد أن جعل المتولّين في قلب المحرقة.

فاحت رائحة الاحتراق حتى غطّت الأرياف والأودية بعد أن غطّت المدن، حيث التهميش والإقصاء للبعض وعزلهم سياسيا، ومع ذلك؛ فالتمسّك بالكراسي كان الشعرة التي قسمت ظهر البعير.

فذات مرّة سُئل الشيطان الوطني من قبل أحد المتمسّكين بالكراسي: كم سيحمل البعير من أثقال دون أن يعجز عن الوقوف والسير لإتمام الرّحلة؟

فقال:

بعيركم يحمل ما لا تحمله الجبال؛ فحمّلوا على ظهره ما شئتم من التغييب، والتعذيب، والتهجير، والتقتيل، والسّلب، والنهب، والإقصاء، ثمّ أعزلوا غيركم سياسيا، واركبوا على ظهر بعيركم؛ فهو بما حملتم عليه سيكون سفينة النجاة لكم في قلب الصحراء، ومن بعدها سيكون لكم دخرا في الجنّة.

أخذوا بالرأي والنّصيحة بالتمام، وعندما حاول البعير أن يهمّ بما حمّلوا على ظهره من أثقال عجز؛ فركبوا على ظهره؛ فخسروا الجمل والرّحلة.

وبعد أن شهد الشيطان الوطني على المشهد، قال: هكذا هي النتيجة الطبيعية لمن لم يَخبر ركوب الجِمال. ثمّ التفت إلى الخلف، فشاهد صفّ المتضادين في عمق السخرية، دون أن يتدبّروا أمرهم؛ فأسرع بتقديم النّصيحة، بقوله:

عليكم بالماضي الذي آلفتموه، فالعودة ممكنة إن تمسّكتم بالثلث المعطّل لإدارة العجلة إلى الأمام؛ فالتاريخ لا يرحمكم إن لم تعودوا بتلك المنظومة التي كانت أنشودتها (أنا فقط، ومن بعدي الطوفان).

صفّق له الحضور، وكأنّه الماضي يعود، دون أن يتذكّروا أنّ عجلة التاريخ مع تراكم الأيام لا يمكن أن تدور للخلف.

ومع أنّ الشيطان الوطني قد أظهر لهم إعجابه برؤاهم إلى الخلف، لكنّه في نفسه كان متعجّباً بقوله:

يا أسفاه على هؤلاء الجماعة؛ فها أنا قد أغويتهم بما يغووا على حساب طاعة من خلقهم في أحسن تقويم. لقد أغويتهم بطاعة من يسوسهم وإن كان من يسوسهم في غير طاعة الله، ولقد أغويتهم بالفتنة التي هي من مهمتي؛ فأخذوا بأحسنها، فأغويتهم بالقتل

فتقاتلوا، وأغويتهم بالسّرقة فسرقوا، وأغويتهم بالسّلب والنّهب فسلبوا ونهبوا، وها أنا أغويهم بالماضي كي لا يتقدّموا؛ فاستجابوا، إنّهم قوم طائعون أكثر ممّا هو متوقّع، وبذلك كانت جميع الظروف مواتية لنجاحي الذي هو في حقيقته على حساب نجاحهم.

فها هي ليبيا بين رؤية جماعة وجماعة، وبين رؤية حزب وأحزاب أخرى، وبين رؤية قبيلة وقبيلة، وبين إقليم وإقليم، أو منطقة وأخرى، وبين تابع ومتبوع، وبين حارم ومحروم، وبين هجرة خارجية وهجرة داخلية، وبين صفّ ضدّ، وصفّ مع، إنّها الدّولة التي أصبحت لعبة بين أيدي اللاعبين على الحبال الذين يتقلّبون مع المتقلّبين؛ فهم حسب أيّام الأسبوع يصبحون يوم السبت مع صفّ مع، ويوم الأحد يمسون مع صفّ ضدّ، ويوم الاثنين يسكنون مع الساكنين، ويوم الثلاثاء يتبدّلون أكثر من مرّة، ويوم الأربعاء يصبحون على المصالحة الوطنية، ويوم الخميس يتقاتلون بلا سبب، ويوم الجمعة يصلون في الجوامع وكأنّهم بلا صفوف سوى صفوف المصلّين.

فهذه لم تعدّ ليبيا؛ فلليبيا تاريخ وطني، وثقافة وطنية، وشريعة سماوية، وعرف اجتماعي، وأخلاق كريمة؛ ولهذا، انطبق قولي عليهم بالتمام كما جاء في الكتاب: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[33]، ولكن إن أردوا العودة بليبيا وطن للجميع؛ فعليهم أن يقفوا صفّا واحداً ولا

[33] الحجر 40.

صفّ يخالفه، حتى يتمكّنوا من قطع الحبل الذي يربط البعض منهم بالأجنبي، ليعودوا مواطنين متحررين من كلّ الرّباق.

ولأنّه قد أقسم أمام ربّه بقوله: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[34]. فكان غاويا للغاوين، أمّا أولئك المخلصون لربّهم وأوطانهم وشريعتهم، ومجتمعاتهم، وللتاريخ الذي لا يصنع إلّا على أيدى الرّجال من أجل المستقبل؛ فهؤلاء مستثنون من الإغواء. ومن ثمّ، فالشيطان الوطني لا يظلم أحداً إلّا من ظلم نفسه.

وعندما سمع الشّيطان الوطني أنّ البعض يطرح مشروعا للعفو العام، والمصالحة الوطنية، توجّه لكلّ صفٍّ بقوله: على من تعفون؟ ومن تصالحون؟ فهل بلغ بكم الوهن إلى هذا الحدّ حتى تقبلوا بطي تلك الصّفحات المؤلمة، وتعفوا وتتصافحوا وتتصالحوا مع من سخر منكم، وألحقكم كثيرا من الشتائم؟ ألم يقل لكم ربّكم: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}[35]؛ فعليكم بطاعة الله، وعليكم بعيونهم، وأنوفهم، وآذانهم، وأسنانهم، فاتقوا الله ربّكم واقتلوهم؛ فعليكم بهم، وإلّا سيكونون عليكم؛ فها أنا أنصحكم حرصا، وأنا لكم نصير، ويا ليتكم لا تتأخرو؛ حتى لا تتأخّر مغانمكم، ويومها لن ينفعكم النّدم.

---

[34] ص 82، 83.

[35] البقرة 19.

فكانت الاستجابة ممن لا يميّزون بين مقاتلة المشركين التي أمر الله بها أيّام الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وبين كيد الشيطان الوطني بين بني الدّين الواحد والوطن الوحد، ولكن الذين يملأ الإيمان قلوبهم، استعاذوا ممّا سمعوا؛ فقال لهم الشيطان الوطني: أنا لا أقدر على إغوائكم؛ فأنتم أخلصكم الله لعبادته؛ فلا سبيل لي عليكم.

وكما أنّ المؤمن لا يقنط من رحمة الله؛ فكذلك الشيطان لا ييأس من الإغواء؛ فانتقل على الفور من هذه المحطة التي امتلأت القلوب بمواعظها، إلى تلك المحطات التي لا مواعظ فيها؛ فاستبشر به أهلها، من كائدين، وماكرين، وحاسدين، ومنافقين، ومعتدين، وظلمة؛ فسمع الصّفير من كلّ جانب حتى ظنّ كما هم ظنوا، أنّ الهزيمة قد لحقت أصحابها في تلك المحطة التي لا صفير فيها، وأن النّصر في محطة الصّفير قد تحقّق؛ فرفع صوته، ألم أكن أنا النّاصح؟ وأنتم الآخذون بنصحي بعد أن قلت لكم:

. لا للعفو العام.

. لا للمصالحة الوطنية.

. لا للتسامح.

. لا للتصافح.

. لا للصفح.

. نعم للتشريد والتهجير.

. نعم للسلب والنّهب.

. نعم للإقصاء.

. نعم للتهميش.

. نعم للحرمان من ممارسة الحقوق.

. نعم للمنع من أداء الواجبات.

. نعم للحيلولة بين الكثيرين وحمّل المسؤوليات الوطنية.

ثمّ قال:

هنيئا لكم أيّها المسلمون بما أقدمتم عليه من قرارات دامغة، وعليكم بالمزيد الذي يدمجكم مع إخوتكم في الإسلام خارج الحدود؛ فالإسلام دين الكافة أينما وجدوا وحيثما حلّوا، ومن يتمسّك بقوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[36]؛ فهو علماني ينبغي أن يرجم ويضرب على ظهره بالسياط؛ فأخوك أخوك ليس من ولدته أمّك، بل أخوك أخوك من انتظم معك فيما أنت انتظمت فيه لتكون خليفة لغيرك. فالأخوّة الإسلامية في أيّة دولة أخوّة دين قبل أن تكون أخوّة دم؛ فالأخ المصري أو الليبي على سبيل المثال: ليس ابن أبيك وأمّك، بل أخوك من آخاك من المسلمين في أفريقيا وآسيا وأستراليا، أو في أوربا وأمريكا؛ فهؤلاء الأخوة هم الأقرب لك من أولئك الذين

---

[36] الكافرون 6.

دخلوا الإسلام دون أن يدخلوا التنظيم الذي يصهر الجميع في بوتقة التنظيم صهراً.

ولأنّ الانصهار في التنظيم قاعدة أخلاقية، فمن لا ينصهر فيه لا شكّ أنّ الثقة لن تجد لها مكانا في نفسه وقلبه، وبالتالي ينبغي أن يبعد ويهمّش ويعزل سياسيا حتى يتّعظ ويتدبّر أمره، ليأتي من بعدها مسلما منخرطا في التنظيم حيث لا عودة، ومن لم يستجب للانخراط، سيظل على ظهره من الأحمال ما لم تستطع الجبال حمله، وهذا الأمر يجعل كلّ الشبهات والتهم والظّنون والشّكوك ملتصقة به، ومن ثمّ، تجد لجان النزاهة كلّ شيء بين أيديها، ولذلك؛ فحجّتكم قويّة دامغة؛ فلا تخشوهم، وعليكم بحرمانهم من لعب الأدوار من الجولة الأولى، ولا داعي لإظهار البطاقة الصفراء ورفعها في وجوههم، بل البطاقة الحمراء ترفع، ولا بطاقة من قبلها.

التفت الشيطان الوطني للطرف المقابل؛ فقال:

أيّها العموم، ما لكم والوطن، هل تعتقدوا أنّ الوطن أهم من بيت الله الحرام، الذي قال فيه عبد المطلب لأبرهة الحبشي: أمّا البعير فهي لي، وللبيت ربّ يحميه. أنصحكم بترك الوطن، وعليكم بإبلكم؛ فللوطن ربّ يحميه.

صدّقه من صدّقه، وكذّبه من كذّبه، ولعنه من لعنه، ومن هنا، كان التفكيك؛ فمن صدّقه، وكأنّه لم يكن نبتة في وطن، أخذ بما قال،

ومن كذّبه عقلاً قال: في دائرة الممكن قد لا نكون قادرين على الدّفاع عن الوطن، ولكن دائماً الوطن عنوان.

أمّا الذين آمنوا؛ فلعنوه، وعملوا كلّ ما في وسعهم على لمّ شمل الوطن، ولا خيار لهم غيره.

وهم متهيؤون ومتأهبون لجمع شمل الوطن، فاجأهم المؤتمر الوطني العام بإصداره قرار العزل السياسي؛ فتدخّل مسترق السّمع على الفور: ألم أقل لكم أنّ الجميع مستهدفون، ولا استثناء لأحدٍ طوال **42** عاماً؟

قال البعض:

لا شكّ أنّ للعزل السياسي مخاوف مشتركة بين الدّافعين له وبين المستهدفين به، ومع أنّها مخاوف مشتركة، إلّا أنّ لكلّ أسراره وعلله ومبرراته.

فالدافعون له: هم أولئك الذين يرون أنفسهم ثائرين على تلك المنظومة التي أصبحت في خبر كان، والذي يدفعهم إلى ذلك هو الخوف.

والمستهدفون به: هم أولئك العناصر المُخِيفة، وهم الذين لم يستأمن الثوار جانبهم.

بدأ مسترق السّمع يلعب لعبته التي اتخذ لها عنوانا: (أنا أو أنت، ونحن أو أنتم).

وأوّل مهمّة قام بها مسترق السّمع الوطني جَمَعَ شمل المستهدفين بالعزل السياسي، وأهاليهم، وقبائلهم، والمتحالفين معهم، وذلك بما همس به في آذانهم:

لِمَ لا تدافعوا عن أنفسكم، وهيبتكم، وكرامتكم، وعشائركم، وقبائلكم، ومكاناتكم، ومصالحكم، وتاريخكم؟ أم أصبحتم جبناء كما قال عنكم بعض من الثوار؟ إنّكم بالنسبة لهم لا تساوون بعرة بعير؟ ثمّ تركهم يتساءلون، وأفواههم تتمتم من شدّة نيران الفتنة التي أُشعلت في صدورهم، وذهب هناك، ليهمس في آذان البعض برسائل ادّعى أنّها قد بُعثت معه، وهو من باب الأمانة لا يمكن له إلّا أن ينبّه المعنيين بها؛ فقال:

خذوا حذركم أيّها الثوّار؛ فأولئك أصبحوا يعدّون لكم العدّة، وسيأتونكم على حين غرة، اللهمّ إنّي بلّغت.

وعاد على وجه السّرعة إلى هناك، وكأنّه الصديق الوفي المخلص وهو يقول:

. ألا يغيظكم أيّها الرّجال اختطاف بعض من أخوتكم، وأبنائكم، وآبائكم، وأمهاتكم، وأخواتكم، وزوجاتكم؟

. ألا تغيظكم المساومة على تحريرهم؟

. أهكذا أنتم جبناء أيّها السّادة؟ فإن بقيتم هكذا أشرف لكم أن تخلعوا ملابسكم، وتلبسوا ملابس بناتكم ونسائكم؟ ومع ذلك أنصحكم أن تتقدّموا؛ فأنتم لا غالب لكم.

كلّ الذين استمعوا له بإنصات، أخذوا بنصائحه، كما أخذوا بمواقفه المخلصة تجاههم، وفي المقابل أخذ الآخرون بنصائحه ومواقفه المخلصة بعد أن أنصتوا أيضاً إلى قوله:

. أيّها الثوار؛ هل تقبلوا أن تقارنوا بأولئك ...؟

. أيّها الثوّار؛ هل تقبلوا السّكوت على دمّ الشهداء؟

. إذا كنتم لا تقبلون ذلك؛ فَلِمَ لا يتمّ القبض على جميع أولئك ...؟ أم أنّكم خائفون منهم؟

. هل نسيتم دماء الشّهداء، وغفلتم عن الجرحى؟ أم ماذا أصابكم؟

لا تخافوهم؛ فأنتم الغالبون.

. أنتم تمتلكون شرعيّة الثورة؛ فافعلوا ما تشاؤون، ولا تستأذنوا من أحدٍ، إنّهم خائفون؛ فلا تتردّدوا.

وبالتمام أعيدت الجملة ذاتها على مسامع الطّرف الآخر: (إنّهم خائفون؛ فلا تتردّدوا).

هكذا هو مسترق السّمع الوطني لا ينام، ولا يترك أحد ينام، ولا ييأس من أعمال الفتنة، ولن يهدأ له بال ما لم يشعلها ناراً والشّمس في كبد السّماء.

ولكن دائماً المؤمنين حقّا هم المخلصون الذين يستعيذون منه بربّهم في كلّ أمر وكلّ حين، {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[37].

ولذلك؛ فمسترق السّمع الوطني يغوي المواطنين فتنة، ثم يتبرأ منهم بما أغواهم إليه أو أغواهم به، {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[38].

فإذا نظرنا لدّور مسترق السّمع الوطني في تونس بعد الثّورة، نجده قد جعل الفتنة بين المواطنين شيعاً وأحزاباً، مسلمين وعلمانيين ووسطيين، حتى أنّه جعل بعضا من البنات يرتدين الملابس التي يراها البعض غير محتشمة، ويرقصن على نغمات مزاميره في الشّوارع العامّة، وذلك تحدّ للإكراه وأساليبه الملتوية، وتحدّ لحزب النهضة الذي فاز في الانتخابات التونسية قبل أن ينهض، وبذلك جعل الشيطان الوطني البعض يختطف البعض، كما أنّه جعل البعض يقتل

---

[37] الحجر 39، 40.
[38] الأنفال 48.

البعض، وهكذا فعل في مصر؛ فجعل الجميع يتظاهر ضدّ الجميع، الحجارة والجرحى في الشّوارع والميادين العامّة عامّة، وهكذا لن يتوقّف حتى تشتعل، ولن تطفأ إلّا بالاستعاذة بالله منه، وقراءة قوله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا}[39]. ولأنّه الشيطان الوطني؛ فهو لن يستحِ من شيء يفعله؛ فهو الذي يأتي للإخوان المسلمين ليقول لهم هذه فرصتكم التّاريخية، ولكن خذوا حذركم؛ فكل من لم يكن إخواني؛ فهو علماني، وعليكم بهم، ومن حقّكم أن تلبسوهم لباس الكفر؛ فالشّعب جاهز لتصديقكم؛ فلا تتأخروا، أسرعوا، بل استعجلوا أمركم؛ فالأمر خطير، وأنصحكم إن أردتم نصراً تاريخيا مؤزراً؛ فعليكم بالتهميش والإقصاء والتغييب والهيمنة والحرمان، إنّها الإجراءات الصائبة والمنقذة لكم أيّها المستخلفون في الأرض.

وهكذا هو يفعل مع فئات وألوان طيف الشّعب المصري، بقوله: لقد صنعتم الثورة، وأسقطتم النظام؛ فلا تعودون إليه ثانية، وخذوا حريتكم كاملة، لا أحد أفضل من أحد.

ومع أنّه فعل ما فعل ويفعل، إلّا أنّ المآذن في مصر تعلو بعلو الأذان فيها، والمؤمنون يستعيذون بالله منه؛ فمصر صخرة عظمى يتكسّر عليها شياطين الإنس والجن، وهي لا تتكسّر.

---

[39] الأنبياء 69

هكذا هو الشيطان الوطني الذي جعل العلاقات بين الليبيين تتصدّع كلّ يوم، وكأنّ الأخوة هم الأعداء، يا له من شيطان، يلعب بمستقبل المواطنين كما يلعب بعقولهم ورؤوسهم؛ فهو الذي يقف كلّ يوم بينهم وبين الاحترام وتحقيق الأمن وسيادة العدالة، وإعادة البناء والإعمار، كما يقف بالتمام بينهم وبين الطمأنينة، وغرس الثقة، ونيل الاعتراف والتقدير.

وبهذا فقد جعل من المواطنين قطعاً بين خائف ومخيف، وبين قوّة وضعف، وبين شدّة وألم، وأكثر القطع قوّة بشرية هي القطع السّاكنة التي لازالت تنتظر، وهي الكم الهائل الذي لم يقرّر بعد، وهم الذين سيكون المستقبل الديمقراطي إلى جانبهم، ولهذا، يعمل الشيطان الوطني ما في وسعه من أجل تأخير ممارسة الحرّية.

أخذ الشيطان الوطني القاموس اللغوي؛ فجاءت بين نصب عينيه كلمتي: (غالب ومغلوب). قفل القاموس، وهو يردّد: (وجدتها وجدّتها وجدتها) حتى وصل إلى الطرف الغالب: لقد نصركم الله، ومن ينصره الله فلا غالب له، ولكن من ينصره الله ينبغي أن يرفع السّقف؛ فلا يقف عند حدّ، ولا فرد، ولا صغير، ولا شيخ، ولا امرأة؛ فأنتم أيّها الغالبون عليكم بالمزيد، ولا غالب لكم، لقد استسلموا، وتركوا لكم المغانم، ولكن خذوا حذركم؛ فالمستقبل غير مضمون، ولأجل ضمانه، عليكم بعزلهم ودون استثناء؛ فإن استثنيتم تستثنون.

وأنصحكم: أنّه لا فرق بين من ردّد ذلك النشيد أو القسم وراء مدرساته في روض الأطفال، أو قرأه وأقسم به في المدارس، وبين الذين أقسموا به دفعات تخرّج من تلك الأكاديميات العسكرية، أو المعسكرات والملتقيات المدنية، ولا فرق بين هؤلاء والذين كتبوا تعهّدات بأن لن يكرّروا الذي سجنوا من أجله، وكلّ الذين خرجوا في المسيرات منذ 1969؛ فهؤلاء ديمقراطياً لا خيار لهم إلّا قطع ألسنتهم، أو على الأقل عزلهم سياسيا.

قال البعض: يا ليتك رئيس لجنة النزاهة، أو رئيس المحكمة العليا، بدلا من هؤلاء الذين تسيطر ضمائرهم على عقولهم.

ها أنتم لا خوف عليكم، ولكن يا ليتكم تبذلون معي جهداً مضاعفا حتى يقتنع زملاؤكم ورفاقكم الذين لم يتفاعلوا مع رؤيتنا هذه.

أيّها الجمع، لقد كنت مستمعا لجمعٍ من الغالبين فقالوا عنكم: إنّكم لا تزيدون عن كونكم كمّا مغلوبا، وكم تمنيت أن لا يقولها على الملأ، ولكن رأيت أنفسهم ممتلئة عليكم، وسيدفّعونكم الثّمن أكثر من مرّة؛ فأنا، جئت لأنصحكم بالتوفير، حتى تتمكنوا من دفع الثّمن. وإلّا لا خيار لكم إلّا الاستشهاد من أجل الفوز بالجنّة كما فاز بها الأبطال صنّاع التاريخ. هذا ما كنت أتمناه، ولكن يا خوف عليكم؛

فهم لا يعتبرونكم صنّاع تاريخ، ولا يخافون منكم، بل فوق ذلك فهم مستهزؤون بكم.

والله سنتحالف ضدّهم مع أيّ كان، ولو كان الشيطان الرّجيم.

هكذا أنتم تقولون؟

نعم، ولو كان الشيطان الرّجيم.

إذن، إلى اللقاء. ثمّ قال في نفسه: ليس لي بدّ إلّا الاجتهاد من أجل إطالة عمر الفوضى والغوغائية، وعدم سيادة القانون، وعدم التمكّن من العدالة الناجحة، وعدم قيام المصالحة الوطنية؛ فهؤلاء بقولهم هذا وكأنّهم يقولون لي نحن لا نزال خارج الألعوبة؛ ونأمل أن لا يلتقوا مع الذين عندهم علم من الكتاب، حتى لا يتمّ إيقاظ عقولهم وضمائرهم للاستعاذة بالله مني؛ فهذه تقرّبهم من بلوغ الحلّ، وتلغي دوري، وتبعدني هناك بلا قوّة، فأنا في دائرة الممكن (نصير قرين) لمن لا يستعيذ مني، {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}[40].

هكذا هو الشيطان عليه اللعنة؛ فهو إن رأى نيران الفتنة التي كان وراء إيقادها قد اشتعلت، يتبرأ من جميع الذين سكبوا الزيّت عليها، مصداقا لقوله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ

[40] النساء 38.

إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[41].

ومع أنّ الشيطان الوطني يخاف الله شديد العقاب، إلّا أنّ مخالفته لأمر الله بالسجود لآدم جعله على الفتنة، أي: لا يمكن له التخلّص منها؛ فهي بالنسبة له المهمّة الرّئيسة التي ارتضاها لنفسه، أي: لا ينتهي عمل الشيطان عن الفتنة ما لم تشتعل نارها، وتشتدّ بين بني الوطن الواحد (أقارب وأباعد).

ولسائل أن يسأل:

ما الفرق بين عمل الشيطان الوطني وعمل العقل الوطني؟

أقول:

عمل الشّيطان مفسدة وفتنة، وعمل العقل إصلاح وبناء وإعمار وتسامح وعفو وتصالح؛ فالفرق كبير بين أعمال الفُرقة وأعمال الوحدة واللحمة، وبين أعمال الكراهية وأعمال المحبّة؛ فالأولى: يترتّب عليها عقاب شديد، والثانية: يترتّب عليها جزاء حسن.

وعليه:

ينبغي على الجميع أن يستعيذوا بالله من الشيطان، سواء أكان من الإنس أم من الجن، وإن لم يفعلوها عن قلبٍ، لن يتمكّنوا من تدبّر

[41] الأنفال 48.

أمورهم، ولن يتوافقوا، ولن تبنى دولتهم، ولن يستقر أمنهم، ولن تتحقّق العدالة بينهم، ولن يتقدّموا قيد أنملة تجاه ما هو أنفع.

ولأنّ الأمر كذلك؛ فهل العيب كلّ العيب في الشيطان الوطني، أم أنّ العيب كلّ العيب في من اتبع إغواءه وفتنته؟

بدون شكّ سيقول الجميع: إنّ العيب في من اتبع أهواءه قبل أن يغويه الشيطان بما أغواه به.

فالأهواء وقصر النّظر، ونقص المعرفة، لا تمكّن أصحابها من حُسن التدبّر، ولذلك، عندما يقدِم الإنسان على ما من شأنه أن يسيء للآخرين، يسعي لإيجاد مشجب ليعلّق عليه أفعاله، ومن هنا، أصبح الشيطان مشجباً للذين هم غافلون عمّا أمر الله به ونهى عنه؛ فأولئك الغافلون لا يتخذون سبيلاً إلّا سبيل الغي، {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}[42]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}[43].

---

[42] الأعراف 146.

[43] الأعراف 179.

وبما أنّنا نكتب عن الشّيطان الوطني؛ فمن هو ذلك الشّيطان الوطني؟

بدون شكّ إنّه من أبناء آدم عليه الصّلاة والسّلام، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}[44].

قال جلّ جلاله: (شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) أي: إنّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة قدّم لفظة شياطين الإنس على شياطين الجن، وهذا يدل على عظمة الفتن وشدّة آلامها وأوجاعها، وهي: التي يجرؤ عليها الشياطين من بني الإنس، وهي: أعظم ممّا يجرؤ عليه شياطين الجن، ذلك لأنّ شياطين الجن بالاستعاذة بالله منهم يتمّ التخلّص من وسوستهم وفتنتهم، ولكن شياطين الإنس وإن استعاذ من استعاذ بالله منهم إلّا أنّهم ملعونون؛ فلا يستوقفون أعمالهم ومفاسدهم حتى تشتعل نيران الفتنة بين البعض والبعض.

وبذلك؛ فإنَّ شياطين الإنس هم أكثر حقداً، وأكثر ظلماً، وأكثر عدواناً، وأكثر فتنةً من شياطين الجنّ؛ فهم لا يقتصرون على قدراتهم برغم ما فيها من خُبثٍ ولؤمٍ، وزخرف قول؛ بل يتجاوزونها إلى طلب المعونة من شياطين الجن، ولذلك؛ فالشيطان الوطني هو أكبر شياطين الإنس، فمن يعوذ به لا شكّ أنّه سيزيده رهقاً، {وَأَنَّهُ كَانَ

---

[44] الأنعام 112.

رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}[45]، وفي المقابل من يستعيد منه، يصبح آمنا مطمئنا، {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[46].

ولأنّ الشيطان الوطني هو من بني الإنس؛ فهو المخطط للفتنة الوطنية، التي من أجل إشعال نارها يتنقل بين هذا وذاك، وبين هنا وهناك، يسترق السّمع، ثمّ، يُسرع بالمسترق ليسوِّقه في الأسواق، التي لا تكون إلّا في خلوة من خلواته، المسوّقة لأفعال الكيد والمكرٍ، والظلم والعدوان، ومع ذلك؛ فأسواقه المفتّحة شرطها الرّئيس: البيع للراغبين، ولا شيء غيره؛ فمن له الرّغبة، فالبضاعة له، أي: فمن لا يرغب أن يكون بين إخوته، سيجد في تلك الأسواق المناصرين، ومن ليس له رغبة في زوجه، سيجد هناك المفرّقين، وحتى من ليس له رغبة في عقله؛ فهناك سيجد القرناء المتمكّنين، ومن ليس له رغبة في وحدة وطنه؛ فهناك المتهيئين للتقسيم، ومن يريد أن يمتهن التآمر؛ فهناك الكثر، أي: من له رغبة في الفساد، فأبواب الفساد مفتوحة على مصراعيها.

أمّا من يريد بلوغ الحلّ؛ فلا يذهب هناك، بل، فليستعذ بالله من كلّ مسترق سمعٍ، ويعمل على مكانته حتى يظهرها حُجّة، مملوءة

---

[45] الجن 6.

[46] الأعراف 200.

تقوى، وهيبة، وحِكْمَةَ وَفَصْلَ خِطَابِ، مع كظمه للغيظ جنبا إلى جنبٍ مع أداء العملِ النافع، الذي يُمكِّن من إعمار الأرض، وإصلاح ذات البين، وما أفسده المفسدون.

قرأت المنتشية هذا النصّ؛ فزغردت لمن لم يتّخذ له قرينا من أولئك المفسدين، ثمّ قالت: مثل هؤلاء الرّجال وحدهم يُزغرد لهم، أمّا اللاتي يزغردن لأولئك؛ فهنّ مثل الأواني، التي كلّ إناء ينضح بما فيه.

لبست حُليّها، بعد أن استعاذت بالله من مسترقي السّمع، وهي في طريقها إلى أداء عملها في منابر العلم، التقت مع ذلك المحب في الله، كيف أنت يا حاج عامر؟

أنا بخير.

وأنتِ؟

أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم.

هل لا سامح الله قلت ما يفسد ودّا؟

استغفر الله، ولكن إن لم نستعذ بالله من مسترقي السّمع، قد لا نتمكّن من أن أقول لك أنا بخير، وأبادلك ودّاً.

فأنت يا حاج عامر في نفسك نور لم أره من قبل.

وأنا أصدقكِ القول: لأوّل مرّة أرى فتاة مكتسية بنورٍ يكاد أن ينطق.

**الحمد لله يا حبيبي لم يُسترق سمعنا.**

**ما دام الودّ يملأ صدرينا محبّة؛ فلن يسترق.**

**نعم الود يملأ صدري.**

**وأنا أكثر.**

**صدّقيني في الماضي لم أكن أراك هكذا.**

**كيف كنت تراني؟**

**فتاة جميلة، ولكنّها بلا ودّ.**

**والآن؟**

**الآن، نعومة ودّك أرنبية.**

**وماذا تقصد بأرنبية؟**

**نعومتها مثل وبر أرنب.**

**كيف لك بقول هذا وتحافظ على نور الله فيك؟**

**الله جميل يحب الجمال؛ فكيف لي وقلبي ممتلئ بنوره أن لا أتوقّف عند جماله فيك، وفيما خلق.**

**قالت في نفسها: لا شكّ أنّني لو لم أستعذ بالله من مسترقي السّمع، ما رأيت ما رأيت، وما سمعت ما سمعت.**

**ثمّ قالت: الحمد لله.**

**فقال الحمد لله: لقد رأيت ما رأيت، وسمعت ما سمعت.**

**يا إلهي، ها أنت تقول ما كنت أقوله في نفسي.**

**نعم، اطمئني؛ القلب يتكلّم مع القلب.**

**وهل كلّ القلوب للقلوب تتكلّم؟**

**لا، القلوب المطمئنة فقط.**

**ومن هم أصحاب القلوب المطمئنة؟**

**هم الذين يميّزون بين ما يجب ويتّبعونه، وبين ما لا يجب ويبتعدون عنه.**

**وكأنّك تود أن تقول: المستعيذون من الشيطان الوطني؟**

**نعم، بالتمام.**

**الشيطان الوطني يشتم الجميع دون استثناء، وأوّل من يشتم، يشتم الوطنيين من أية فئة كانوا، وبذلك؛ فهو الذي يشتم الوسطيين والذين يأملون الوفاق الوطني، كما أنّه يشتم المستقلّين ويشتم السلفيين، وهو: كما يشتم الإخوان المسلمين، يشتم العلمانيين واليساريين دون أن يخشى أحدا، وهكذا هو يشتم منظمات المجتمع المدني، ومنظمات حقوق الإنسان ليلاً ونهاراً.**

**ولأنّه الشيطان الوطني؛ فهو يشتم الثائرين كما يشتم المثار عليهم، وهكذا هو الشيطان الوطني الذي لا يهدأ له بال، إلّا إذا اشتدّت الأحوال بين الأخوة تأزّماً، ولهذا وجبت الاستعاذة منه في كلّ مكان وزمان.**

**الآن يا حاج عامر لقد عرفت حقيقة.**

**وما مفادها يا أرنبيّة؟**

**مفادها: أنّ المحبّة لا يمكن أن تسود قلوب النّاس ما لم تستعذ قلوبهم من الشيطان الذي يرتع في الوطن ليلا ونهارا.**

**نعم. ما لم يُستعذ منه بالله تعالى سيعمل كلّ ما في وسعه من أجل أن يُشهر السّلاح في وجوه الأبرياء، ويحفّز على إشهاره في وجوه الأخوة أكثر ممّا يحفّز على إشهاره في وجوه الآخرين، وفوق ذلك لا يقرأ نشيده الوطني ولا تعزف موسيقاه الوطنية إلّا إذا اشتدّت المعركة، واتسعت دائرة الاقتتال بين بني الوطن.**

**ولأنّه الشيطان الوطني؛ فهو المشترك في ملكية معظم القنوات الإعلامية في الوطن، كما أنَّ له أكبر الاشتراكات والمداخلات في الفيس بوك، واليوتيوب، وكلّ وسائل الإنترنت المتطوّرة، وكذلك؛ فهو يمتلك العديد من الصّحف والمجلات، وهو الدّاعم الرّئيس للمكوّنات السياسية والاجتماعية المتضادة، وكأنّه المُخلِص لمكوّنٍ دون غيره.**

**ولأنّه الشيطان الوطني؛ فقد عمل على بناء سياج عملاق فاصل بين الأجيال (الأبناء) كونهم شبابا وبين (الآباء) كونهم شيوخا، وذلك لأنّه يعرف جيداً لا مُفسد لنزغه ومفاسده إلّا الاستعاذة بالله منه، ولكن بالتواصل واللحمة بين الأجيال (تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا) يحال بينه وبين شيطنته.**

ولذا؛ فالمجتمعات التي تُغيّب كبارها عن المشهد، قد تفقد ذاكرتها، وتجهل الاتعاظ من التّاريخ وأخذ العبر منه، ولهذا، لا يأمل الشيطان الوطني أن يُقرأ القرآن ويستعاذ بالله منه، {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[47]، وقال تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[48]، وقال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}[49].

هذا الأمر يتعلّق بنزغ ومفاسد شياطين الجن، ولكن أمر الوطن الذي نحن بصدد الكتابة عنه؛ فهو المتعلّق بنزغ ومفاسد شياطين الإنس عليهم اللعنة؛ فهم أولئك الذين يريدون إفساد الهويّة الوطنية، وإفساد وحدة الوطن، وإفساد تطلّع الشعوب إلى الأفضل.

يا إلهي، كنت أظن أن لا شيطان إلّا من الجن؛ فإذا بالشياطين من بني جنسنا!، ثمّ قالت: مساكين الذين يتسرّعون زواجا وإنجاباً.

ماذا تقصدين يا أرنبية؟

أقصد إنّ التسرّع في مثل هذه الأمور قد يجعل البعض أسيراً عند أحد الشياطين، وقد ينجب منه شيطاناً.

---

[47] فصّلت 36.

[48] ق 45.

[49] الأعلى 9 . 11.

نعم، التأني يمكّن من بلوغ الاستعاذة بالله من كلّ شيطان، كما أنّه يمكّن من الانعتاق بطلاق من تمّ زواجه منهم.

نسأل الله أن يخلّص وطننا من تلاعبه؛ فقد لعب بعقول الكثيرين حتى أصبحت فتنة.

نعم، إنّ الفتنة رأس مال عمله، ولا عمل يلهيه عن إيقاد نيرانها بين بني الوطن، حتى يجعل من الدّولة المستقلة دويلات ضعيفة تابعة، وهكذا هو يأمل أن تكون الأحوال على الضّعف والوهن، في كلّ وطن يجمع شمل الأخوة على القوّة.

ولأنَّ الوطن للجميع؛ فمهمّة الشّيطان الوطني، العمل على فتنة شعبه، وتفتيت وحدته، وطمس هويّته، ومع أنّ النّاس مُنهَون عن اتباع خطواته، لكنّ أكثر النّاس لا يفقهون، وأكثرهم مجرمون، وأكثرهم فاسقون، وأكثرهم لا يعلمون، وأكثرهم يجهلون؛ فهؤلاء الأكثرية لا تستعيذ بالله منه، بل في كثير من الأحيان يتّبعون خطواته المنهي عنها، {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}[50].

ولأنّه الشيطان الوطني؛ فهو من يتّصل بالجميع دون تردّد، فيتّصل بالثوّار ليحيد منهم من يحيد عن الاستقامة، ويتّصل بالقوّة الوطنية السّاكنة ليحرّكها في الاتجاه الذي لا يُرضي الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويتّصل بالقوّة المتحرّكة ليكشف أمرها ويحرق أوراقها، ومن

---

[50] البقرة 168.

باب إخلاصه في أداء مهام الفتنة الوطنية؛ فهو كما يفرّق بين المرء وزوجه، يفرّق بين الثوّار من أجل أن يجعلهم يتقاتلون، وذلك ليضعفهم ويجعلهم فرقا وطوائف وأحزاب وقبائل وأقاليم، وهكذا هو يفعل ما استطاع لذلك سبيلا.

ولأنّه الشيطان الوطني؛ فهو الذي يتّصل بالجميع من أجل أن يجعل الخطاب السائد بينهم ( نحن أو أنتم)، {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}[51].

ولكن إن ساد هذا الخطاب (نحن أو أنتم) تصبح مصارف الدّم في حاجة للتبرّع، وعندها يصبح الشيطان الوطني في غاية الامتنان، ممّا يجعل الضعفاء يسرعون لاستدعاء المنقذ الخارجي خوفا من معتدٍ يستبيح تراب الوطن، وكرامة شعبه، وإن تمّ ذلك؛ فلكلٍّ ثمنه عاجلاً أم آجلاً.

فالوطن الفقير، والموقع غير الإستراتيجي، يطول فيه زمن الاقتتال الدّاخلي، كما هو الحال في الصومال وأفغانستان، والوطن الذي موقعه بين عدوٍ وصديق، ولم يزخر بالذّهب الأسود كما هو الحال في سوريا، فلا يمكن أن يتدخلّ المنقذ الخارجي إلّا بعد أن يضعف السوريون بعضهم بعضا؛ فسوريا يراد لها أن تكون دولة ضعيفة، كي لا تهدّد في المستقبل أمن دولة إسرائيل؛ فبعد أن يتأكّد المنقذ

---

[51] الأعراف 27.

الخارجي عن بعدٍ أنّ الأمر أصبح على ما يرام؛ فلا شكّ أنّه سيتدخّل ليتأكد عن قربٍ وبأمّ عينيه؛ ومن ثمّ فإن دخل ووجد ما تبقّى من قوّة وعتاد فسيسرع بتدميره، ومن بعدها سيعمل على دفع البعض بالبعض جماعات وفرقا لتكوين دولة الجماعات والفرق، وذلك من أجل أن تمضي الدّولة السورية ضعيفة، وهي خاضعة للملاحظة والمشاهدة والمراقبة الدّولية، وهكذا هم يفعلون.

أمّا في دول الموقع الزاخر بالذّهب الأسود والموقع الإستراتيجي كما هو الحال في ليبيا؛ فزمن استدعاء المنقذ الخارجي لا يمكن أن يطول، وإن أعطى فرصة أو فرصتين؛ ذلك لأنّ البحر الأبيض المتوسط مثل السّمكة، ظهرها أوربا، وبطنها ليبيا، وأيّ مساس ببطن السّمكة يعدّ مساسا بظهرها.

من وجهة نظري، هناك رأي أخر، إلى جانب ما قلته يا حاج عامر، وهو: إنّ معرفة الأجنبي لحقيقة ما عليه ليبيا من فتنة، ومعرفته بكميات السّلاح والعتاد المنتشرة في البلاد، لا يمكن أن يتدخّل إلّا بعد أن يشعلها الشيطان الوطني بين الأخوة حربا ضروسا.

اتفق يا أرنبة مع ما تقولين. وأقول: بين الموقع الزاخر بالذَّهب الأسود والموقع الإستراتيجي تأتي مصر دولة القوّة البشرية والجيش القوي، والمسلمين والمسيحيين؛ فهي بالنّسبة للمنقذ الخارجي

معادلة صعبة، إنّها كالصخرة يتكسّر ما يُرمى عليها ولا تتكسّر، وهنا، لا مفرّ من استيعابها دولة (هي كما هي).

ولأنّ مصر هي الصخرة العظمى في الوطن العربي؛ فهي كما تُكسِر من تسقط عليه، تُكسِر بالتمام من يسقط عليها، ومن هنا، لن تنفرد بحكمها طائفة بعينها حتى ولو استولت على مقاليد السلطة؛ فمصر منبت الرّوح الوطنية والقومية يصعب على من يوسوس له شيطانه أن يحكمها كرها.

فالمنقذ بالنّسبة لمصر دائما هو شعبها وجيشها الوطني، أمّا الخارج؛ فلا يزيد مستوى تدخّله عن مستوى الضغوط بالقروض المالية تأخيراً وتقليلاً، ومهما كانت ضغوطه، ليس له بدّ إلّا أن يُقدّم المزيد من التنازلات إلى أن تقف مصر على قدميها إن أحسن شعبها إدارتها دولة.

أمّا العراق؛ فأمرها مثل موقعها؛ فهي بين إيران وتركيا ودول الخليج العربي والشّام والأردن؛ فحقيقة رسم سياسات مستقبلها هي على الصّعوبة أكثر منها على السّهولة؛ فالمنقذ الخارجي لا يستأمن جانب إيران، كما أنّه لا يستأمن بناء دولة عراقية قويّة، حتى لا يعود الأمر إلى المربّع الأوّل، ولهذا؛ ففي دائرة المتوقّع سيُترك الأمر على ما هو عليه، ولكن في دائرة غير المتوقّع؛ فقد يقول الشّعب كلمته، ومع ذلك بالنّسبة للمنقذ كلّ شيء تحت المراقبة، ففي دائرة الممكن

المتوقّع وغير المتوقّع كما فتحت أبواب الفصل السّابع وأقفلت يمكن أن تفتح من جديد.

ولسائل أن يسأل:

وما هي العلاقة بين المنقذ الخارجي والشيطان الوطني؟

أقول:

لو لم يكن للشيطان الوطني دور فعّال بين أبناء الشّعب، ما كانت الحاجة تدعو إلى البحث عن منقذٍ خارجي.

ومع أنّه الشيطان الوطني، إلّا أنّ نشاطاته السياسية متجاوزة للحدود؛ فهو كما يتّصل بالمواطنين، يتّصل بالقوى العالمية ليحرّضها على التدخلّ، ولكن بعد أن يبلغهم برسالته التي مفادها (إنّ الخطر كلّ الخطر سيكون موجّها إليكم)؛ فيشعرهم بالخطورة عليهم، وكأنّه العميل الصّادق، والصديق المخلص، وعند عودته على الفور إلى تراب الوطن يهمس للبعض بأن يتّصلوا بالقوى العالمية؛ فهي في الانتظار، وعلى أهبّة الاستعداد، فإن استجابوا، ينتقل في الحال إلى البعض الآخر من القوى الوطنية السياسية، ليخبرهم بما سيقدم عليه أولئك الذين قد أقنعهم بالاتصال بالقوى العالمية، وبمثل هذه الجهود، يتمّ الإسراع بإشعالها نارا بين بني الوطن.

ولأنّه الشيطان الوطن؛ فهو من أجل الوطن كما يتّصل بالولايات المتحدة الأمريكية يتّصل بروسيا والصّين والدّول الأوربية وحلف

الناتو، وكذلك يتّصل بمن يمتلك المال والدّعم من الدّول العربية، وهكذا أدواره تتبدّل بين لحظة وأخرى، وفتنته تتجدّد، والغاوون من البائعين والمشترين يرقصون على نغمات مزاميره، كما يرقص الكتكوت على مزمار ثعلب.

ولسائل أن يسأل:

وكيف هي رقصة الكتكوت على مزمار ثعلب؟

قصّة رمزية قصيرة.

لو سمحت ناولني إيّاها.

ها هي، والقراءة عليك.

فتحت مدرسة الكتاكيت للتعليم الأساسي أبوابها لجميع البالغين الشّهر السّادس من العمر، وعيّن الثّعلب مدرّساً أوّل نظراً لقدراته الفائقة في التحايل والمخادعة، وذلك بهدف تنوير المتعلّمين وتطوير مستوياتهم الفكرية، وعُيّن الكلب مفتّشاً ومتابعاً للعملية التعليمية، وذلك من أجل تحقيق التوازن بين حقوق المدرس والتلاميذ. وقبل بداية الدروس التقى المفتش مع المدرس ليبلغه بالمهمة العلمية، فقال له:

ينبغي أن تهتم بتحصيل التلاميذ، وأن لا تخون الأمانة، وبخاصّة أثناء الامتحانات، وعليك أن تعرف بأنَّ للامتحانات ضحايا؛ فتبسّم الثّعلب، وقال: كن مطمئناً هذه أمانة، وعليك محاسبتي إن قصّرت

يوما في تأديتها. وكانت المقررات هي تعليم الكتاكيت كيفية المراوغة، والتحايل، والخداع، حتى تتمكّن من القضاء على الجهل الذي يلحق بها. وذات يوم سأل الثّعلب الكتكوت وهو يمتحنه في مادة المراوغة: لو أتتك الرّياح من الجهة اليمنى فكيف تقي نفسك من خطرها؟

قال الكتكوت: أضع جناحي الأيمن على وجهي، وقال له: لو أتتك الرّياح من جهة الشمال؛ فماذا تفعل؟

قال: أضع جناحي الأيسر على وجهي، تمّ سأله:

وإذا جاءتك الرّياح من الجهات الأربع، فماذا تفعل دون أن تُجيب على هذا السؤال شفوياً؟

فبدأ الكتكوت يرقص، ووضع جناحيه على رأسه إلى درجة أنّه لم يستطع الرؤية، حينها ابتسم الثّعلب، ثمّ قفز على الكتكوت وأكله.

فجأة دخل المفتش ليراقب كيفية سير الامتحانات؛ فوجد أثر ضحية؛ فسأل الثعلب: ما هذا يا أستاذ؟ فأجابه هذه نتيجة الامتحانات، وهرب؛ فانطلق الكلب مسرعاً لملاحقته، إلى أن انقضّ عليه، وهو بين مخالبه سأله: لماذا هذه النتيجة السيئة؟

قال له: لأن الجد الرّابع للكتاكيت قد مات وهو غير راضٍ عنها، فقال الكلب: هكذا كان جدّك هو الآخر رحمه الله غير راضٍ على أحفاده من بعده، حينها صرخ الثّعلب، وطلب من الكلب أن يمهله

لإصلاح حاله، ويكون خادماً مطيعاً لأوامره، (أوامر المفتش) وعرض رأياً على المفتش وهو أن تكون نتائج الامتحانات وفق عوائدها مناصفة بين المدرس والمفتش، وأن لا تكون المقررات هادفة لمصلحة الكتاكيت، بل لمصلحة الثّعالب والكلاب فقط. ومع ذلك لم تنتبه الكتاكيت إلى ما يجري وهو تخريب مستقبلها؛ فكان الكثيرون منهم فرحين بميوعة المناهج التي لا تفيد إلا لرقص كتكوت على مزمار ثعلب.

هكذا كان العقد بينهما وهو عقد غير مكتوب، مثله مثل عقد جان جاك روسو، عقد ساري المفعول وهو غير مختوم وغير موقّع من قبل طرفي التّعاقد، ممّا جعل الاتفاق والاختلاف مستمرّين حسب الموضوع والمصلحة، ولهذا أصبحت نتيجة الامتحانات مهما اختلف الطرفان المتعاقدان، أن الكتاكيت هي الضحية المتّفق عليها[52].

يا إلهي، لقد لُعب بالكتاكيت، وضُحك عليها، وهي ترقص لهم، وها هو اليوم يُلعب بالوطن وكثير من المواطنين يرقصون كما رقصت تلك الكتاكيت.

---

[52] عقيل حسين عقيل، البستان الحلم، إلجاء، مالطا، ص 24 .
25، 2001.

**إنّها بحقّ ألعوبة، قوى داخلية تتحالف مع الأجنبي ضدّ قوى داخلية أخرى، ولا أحد منهم يدرك أنّ اتفاق الأجنبي لا يكون إلّا على حسابهم، بما أنّ أرض المعركة هي الوطن الذي يستظل الجميع بظله.**

# توليد الفوضى

*****

(من يلتمس للفوضى عذراً، يعجّل بولادتها في بيته)

# توليد الفوضى

****

الفوضى ضجيج فعل مختلق تكمن من ورائه علّة، أصواته يصعب التمييز بينها، أو معرفة أصحابها هم كما هم؛ يختلط فيها الأثر مع الأثر؛ وكأنّها بصمة رجل واحد.

ولأنّها الفوضى؛ فلا زمام يلجمها، ولا زعيم يوقفها، ولا مسؤول يضبط إيقاعاتها، الكلّ متساوون في عمل ما يشاؤون وكيفما يشاؤون، فوضى بداياتها معلومة، ونهايتها آتية لا محالة، ولكن ليس من السهل معرفة نتائجها.

في زمنها، لا مكان لوضع إشارة قفّ، فيها القوي يمتدّ على حساب الضعيف، والتحدّي يولّد التحدّي.

أجمل ما في الفوضى التساوي، ولا أحدٍ أفضل من آخرٍ، آلام الجميع على الضلوع ضاغطة، والعلل متخالفة، الأكثر ضررا يأمل بلوغ النّهاية بسرعة وبأقلّ الخسائر، والأقل ضررا يأمل التأنّي حتى بلوغ المكاسب والمغانم، ثمّ، التمكين، والسيطرة.

ولسائلٍ أن يسأل:

لماذا الفوضى؟

للهدم بلا رأفة.

ومن أجل ماذا؟

من أجل القضاء على الألم بالألم.

وكيف يقضي الألم على الألم؟

ألم تكن العمليات الجراحية مؤلمة الأوجاع، وبأوجاعها يزال مصدر الألم؟

استرق المسترقُ ما سَمِعَ، وعلى الفور، وجّه من موقعه الإلكتروني منشورا للجميع: (هكذا هي الحياة؛ فعليكم بما يؤلم، وإلّا سيأتي الألم إليكم إتياناً، وحتى لا يأتي إليكم فجأة؛ فعليكم بالذهاب إليه لتقتلوه في مرقده).

كثيرون هم من أخذ بما سَمِع؛ فكانت المواجهات بين قائم وراقد، وضحايا الألم تقابلها ضحايا أخر.

أخذت وسائل الإعلام المختلفة والمتخالفة ذلك المنشور تحليلا وتفسيرا، والسّاسة في تلك الدّول التي حُرمت شعوبها من ممارسة الديمقراطية وجدوا ضالتهم فيما يحلل معلومة ويفسّر نتيجة.

مُلئت معظم الشّاشات المرئية بصور أولئك الذين ركبوا موجة الفوضى، وهم يرتدون تلك الملابس المتلوّنة والمتخالفة، وكلّ إناء

بما فيه ينضح؛ وغالبيتهم يتكلّمون باسم الشّعب، وكأنّ الشّعب (لم يكن هو كما هو الشّعب)؛ فباسمه ألوان الطيف تقول:

. نحن الشّعب، سنقاتل الألم بالألم، ولا يعاد المنهوب إلّا بالنهب، ولا يعاد السجين إلّا بالسجن، ولا يعاد المقتول إلّا بالقتل، ولا تعاد العدالة إلّا بالقضاء على العدالة، ولا يقضى على الدكتاتورية إلّا بالدكتاتورية، ولا يقضى على الإقصاء إلّا بالإقصاء، ولا يقضى على التهميش إلّا بالتهميش، ولا يقضى على التزوير إلّا بالتزوير، هذه هي الدّولة الفاضلة التي فيها تتولّد الفوضى من الفوضى حتى بلوغ الفردوس المفقود.

. لا تصدّقوا ما سمعتم، نحن الشّعب نتألم من الحرمان، ومن الظلم، ومن القهر، ومن الاستبداد، ومن احتكار السّلطة، وها نحن الشّعب نرى وجوبية الإصلاح وعلينا:

أوّلا: قبول الألم حتى لا يقال عنّا جبناء.

ثانيا: مقاتلة الحرمان في أنفسنا.

ثالثا: مقاطعة جميع البضائع التي تحمل علامة الظلم.

رابعا: تعميم القهر ما استطعنا؛ فتعميمه عدالة.

خامسا: تغيير لعبة الاستبداد وفقا لرؤانا.

**سادسا: التمكّن من السّلطة بأيّة وسيلة، وأيّة كيفية، ومن ثمّ، يقضى على السّلطة في حزبنا حتى لا يأتي أحد من بعدنا ويتمكّن منها.**

**سابعا: علينا بالتعليم، وتغيير مقرراته ومناهجه، التي تمكّن الأجيال من بعدنا على توليد الفوضى من الفوضى، كما تتولّد المعلومة من المعلومة.**

**. نحن الشّعب يكفينا مزايدات، فالذين يتحدّثون باسم الشّعب يطالبون بتوليد الفوضى من الفوضى، ويقولون كلّ ذلك من أجل المستقبل، في الوقت الذي هم فيه يجهلون تأسيسا كيف ولدت الفوضى؟**

**فهؤلاء يقولون ما يفعلون؛ فاحذروهم، وعليكم بتقوى الله في أنفسكم، وأهليكم، ودينكم، وبيعكم ومشتراكم. وعليكم بالسّلف الصالح، أمّا علم المستقبل؛ فليس من شؤوننا نحن الشّعب.**

**. نحن الوطنيين: يشرّفنا أن نقدّم مصلحة الوطن على مصالحنا الخاصّة؛ فنحن نقبل بفقدان المكان، ولكنّنا لا نأبى أن تُفقد مكانتنا؛ فالمكان بالنّسبة لنا مجرد (منصب أو وظيفة) يأتي ويذهب، ولا نقبل به ما لم يكن في حاجة إلينا، أمّا المكانة؛ فإن فقدناها، لن تعود إلينا ثانية، ذلك لأنّ المكانة مرتبطة بقيم الوطن الحميدة، وفضائله الخيرة، ولا تكتسب إلّا بأخذ المواقف الوطنية والأخلاقية، أمّا فقدان**

المكان؛ فلا يزيد عن كونه فقدان مصلحة أو وظيفة؛ فنحن الوطنيين إذا ما خُيّرنا بين التمسّك بالنّظام السّائد والتمسّك بالوطن؛ فلا شكّ أنّنا نقبل باستبدال النظام بما هو أفضل، ولا نقبل بفقدان الوطن؛ فالحكم بالنسبة لنا يستبدل، أمّا الوطن فلا بديل له؛ ولا يستطيع أحد أن يختزله في شخصه وإن ادّعى ذلك.

. نحن الشّعب: لا نقبل بالتخلّف، ولا نقبل الوسطية، نحن نقول: للأبيض أبيض وللأسود أسود، ولا فرق (لكم دينكم ولي دين). هناك أناس يتكلّمون باسم الشّعب، ونحن الشّعب لم نكلّفهم بما يقولون، ولا يمكن لنا أن نكلّفهم أو ننتخبهم لو كانت هناك انتخابات حرّة ونزيهة؛ فهؤلاء لا يفقهون شيئا؛ فهم لا يفرّقون بين عِلم الغيب وعِلم المستقبل، وبهذا؛ فحالهم كحال ذلك الكتكوت.

فتساءلت تلك الفتاة التي تدير المقابلة، بقولها:

وما هو ذلك الكتكوت؟

تلك قصة.

يا ليتك تقصصها علينا وعلى المشاهدين والمتابعين لقناتنا (قناة العالم الحرّ) لقد شوقتنا إليها.

عنوان القصّة، الدّجاجة الحاضنة:

احتضنت الدّجاجة بيضها بالدّفء لتغرس في نفوس فراخها حنان الأمومة الذي يملؤها من احتضان أمّها لها في الزّمن الماضي، وقبل

يوم واحد من اكتمال نضج الكتاكيت في البيض أخبرتها الدّجاجة الحاضنة بأنّ غداً ينتظرها بخيرات كثيرة، وستتنقّل بقوائمها في البستان تحت ظلال الأشجار نهاراً، وتنام على أغصانها ليلاً، فسأل أحد الكتاكيت أمّه:

هل هناك عالم أوسع وأفضل من العالم الذي نحن نعيش فيه؟

نعم.

وما هو؟

عالم الحياة الواسعة بين الكتاكيت والكائنات الأخرى، وفي وسط الحظائر والبساتين تقدم لكم الخدمة من أيادي البشر المفضّلين عليكم في الخلق.

إنّه من الصّعب التصديق يا أمّي بأنّ المفضلين علينا هم الذين سيقدّمون لنا الخدمة.

ها أنا يا أبنائي أحدثكم من العالم الواسع، والعقلاء فيه هم الذين يوفّرون لي الغذاء، والمأوى، والتدفئة اللازمة للبقاء.

ولكن يصعب علينا التصديق بما أنّنا لا نراك وإياهم.

إنّكم سترون غداً بعد خروجكم إلى عالمنا الواسع مالم يسبق لكم رؤيته، سترون الشّمس والقمر والنجوم، لتعرفوا المواقيت كغيركم من المخلوقات الأخرى، وستعرفون من يمشي سويّا، ومن يمشي مُكباً

على وجهه، وستميّزون بين الطّائر والزّاحف، كما تميزون بين اليابسة والماء، بعدها ستعرفون أنّ ما قلته لكم هو الحقّ.

نحن لا نصدّق ما تقولين، ولا نرغب في الخروج إلى عالمكم الذي تدّعين بأنّه أوسع من عالمنا الذي يملؤنا دفءً وطمأنينة، كما تملؤنا الرّاحة التّامة فيه.

أنتم وعالمكم الذي تعتقدون باتساعه كلكم من أحشائي، وأنا في هذا العالم لم أشبع نهم ثعلب.

ومن هو هذا الثّعلب؟

عدوي وعدوكم.

بما أنّ الأمر هكذا، إذن، يبدو أنّك مصرّة على بيعنا بلا ثمن.

لا، لم أقصد يا أبنائي، ولكن عليكم أن تعرفوا أنّ لكلّ بداية نهاية، حياتكم داخل البيضة لها بداية ونهاية، وحياتكم في عالمنا ستكون لها بداية ونهاية، ولكلٍّ أسباب، ومن بينها عداء الثّعالب لأجدادكم الأبرار، ثأرها الذي لن ينته.

ولهذا، نحن لن نخرج حتى لا نكون تحت رحمة الثّعالب، وتكون لنا النهاية، ونحن على يقين أنّه لا يمكن أن يوجد عالم أوسع وأفضل من العالم الذي نعيش فيه.

سيأتي غدٌ وخروجكم سيأتي إلّا إذا جاءت أسباب (لن).

وما هو سرّ (لن) هذه؟

أن تموتوا داخل البيض، أو أنّ غداً لن يأتي عليّ وعليكم، أو يحدث عالم الغيب أمراً.

في الفجر صاح الدّيك كعادته؛ فاستمعت الفراخ في عالمها إلى صوته فتساءلت:

ما هذا الصوت المدوي يا أمّنا؟

صوت أبيكم يعلن عن فرحته بموعد خروجكم من زنزاناتكم الانفرادية، إلى الحياة الاجتماعية الواسعة، ليراكم بأمّ عينيه تأكلون الحبّ، وتلتقطون الحشرات كما نحن نفعل، وسأفرح أنا مثله.

إنّه من الاستغراب أن تفرحا بخروجنا من العالم الواسع الذي لا يشاركنا فيه أحد، إلى عالمكم الذي تشارككم فيه الثّعالب عدوّتنا، وعدوة آبائنا وأجدادنا من قبلنا.

ستخرجون بالقوّة لا بالإرادة.

سنصرخ ونبكي.

الصّراخ، والبكاء، لا يوقفان قدوم المستقبل، وصراخكم هذا هو سبب تكسير البيض الذي يخرجكم إليه (إلى المستقبل).

صراخ.... صراخ.... صراخ.....يكسّرَ البيض من شدّة الصّراخ، ما هذا النّور؟

وما هذه الأرجل التي تحملنا؟ وما هذه المساحات الشّاسعة؟ وما هذا الليل الطويل؟ ومن ذا الذي يقدِّم لنا الخدمة، ويسهر على راحتنا؟

بكاء... بكاء....، بكاء وفرحة، فرحة... فرحة، صدقتِ يا أمّنا صدقت، ولكن أين الغذاء؟

ها هو يملأ الأرض.

ولكن كيف يؤخذ؟

افعلوا مثل ما أفعل، اضربوا مناقيركم في الأرض؛ فأنا لا أرضع.

إنّها بحقّ قصّة لطيفة، والحوار فيها ليس غريباً عن تفكير بعض من يتماثل تفكيره مع تفكير كتكوت، فأنا بعد أن تيقّنت أنّ اليوم الآخر أوسع وأعظم من يومنا هذا، تيقّنت أنّنا بنو البشر في وسط هذا العالم مثل الكتكوت في وسط البيضة.

ها أنتِ قد عرفتِ الشيء بالشيء ذاته، ولكنّي أعرف أنّ أولئك يصعب عليهم معرفة الفرق بين عِلم الغيب وعِلم المستقبل؛ وها أنا أقول لهم من قناتكم (قناة العالم الحرّ) الفرق بينهما:

علم الغيب: لا يعلمه إلّا الله تعالى، أما علم المستقبل: فكلنا نعلمه وفقاً لافتراضاتنا، واستقراءاتنا، ونبلغه خططا وعملا.

اتصل هاتفيا أحد أولئك الذين وجهت لهم تهمة عدم المقدرة على التمييز بين علم المستقبل وعلم الغيب؛ فقال: استغفر الله أيّها

العلمانيون، لا يوجد فرق بين علم المستقبل، وعلم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الخالق سبحانه وتعالى.

ألم أقل لكِ يصعب الأمر عليهم؟

اتصال هاتفي من قبل أحد صغار السّن: يستفسر عن الفرق بين العلمين؛ فقال له السيد الدكتور ضيف القناة:

يا بني لو سألتك: من أجل ماذا تأكل وتشرب وتتنفس؟ ألا تُجيبني من أجل المستقبل.

نعم لو لم أتنفس وأشرب وآكل الطّعام، لا مستقبل لي على الإطلاق.

وإذا سألك غيري يا ولدي بقوله: لو تحكَّم أحد في مشربك ومأكلك، وحاول أن يمنعك من استنشاق الأكسجين؛ فماذا تفعل؟

أقتله يا دكتور قبل أن يقتلني.

لماذا؟

لكي أعيش المستقبل.

ولماذا أنت راغب في حياة المستقبل؟

أولاً: أنا نفس، وقتل النّفس بغير حقّ مُحرَّم.

ثانياً: أريد أن أفعل خيراً في هذه الحياة الدنيا لعله ينفعني في تلك الحياة الآخرة.

وثالثاً: أريد أن أتعلّم، وأعمل، وأبني مسكناً، وأتزوج، ليكون لي أبناء أعلّمهم وأزوجهم من بعدي.

من أجل ماذا يا بني تريد أن تعمل كلّ هذا؟

من أجل المستقبل.

إذن، أنت لديك خطة تستهدف بها كلّ ما ذكرت وأكثر.

نعم، وهذا ما آمل أن أحقّقه.

ولكن، هل يمكنك أن تضع خطّة علمية وأنت لا علم لك بمبرراتها، أو أنّك لا تعلم الأهداف التي من ورائها؟

بالطبع لا.

إذن، لا أهداف إلّا لمستقبل مأمول، وإلاّ فمن أجل ماذا المسلمون يصلّون، ويزكّون، ويؤدّون كلّ فرائضهم، ويؤمّنون على ممتلكاتهم؟

كلّ ذلك من أجل المستقبل.

إذن، لو لم تعلم بأنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وفي الزّكاة طهارة للنفس وما تملك، وفي الصوم سلامة للرّوح والبدن، ما نويت القيام بها قبل أن تفعلها، وعندما تؤدّيها، لا جزاء لك عليها إلّا في المستقبل.

يبدو يا دكتور أنّ كل حياتنا هي من أجل المستقبل، ولهذا، يمكننا التعرّف على عِلم المستقبل من أوسع ميادينه إذا سعينا، وهو مثل

الفرض الذي يستنبط من الموضوع ليربط العلاقة بين متغيراته، ويمكن إثباته أو بطلانه بالنتائج المتوقّعة، فالبحوث العلمية تنطلق من فرضيات في الزمن الآن وتسعى إلى تحقيقها في الزمن المستقبل.

هذا صحيح، فنحن نؤمن بأنّ اليوم الآخر يقع في المستقبل بما فيه من عقاب وثواب، وجنة ونار، ونؤمن أنّ علم الغيب وقع، ويقع، وسيقع إن شاء الله.

والله هذا صحيح، وبما أنّ الأمر هكذا، إذن، ما هو علم الغيب؟

علم الغيب لا يعلمه إلّا الله؛ فنحن نعلم بأنّ السّاعة آتية في المستقبل لا محالة، ولكن متى؟ وكيف؟ هذا علم غيب، ولذا؛ فعندما يكون اليوم الجمعة نعلم أنّ غداً سيأتي السّبت بالقوّة مادامت الحركة الفلكية مستمرّة، ومع ذلك قد لا يأتي غدا السبت بالإرادة، فأنت يا بني عندما تفكّر في المستقبل تعلمه، وعندما تفكّر في الغيب لا تعلمه، مع أنّك تؤمن بوجوده، وعندما ترسم خطّة لمستقبلك القريب أو البعيد؛ فإنّك ستوفّر لها الإمكانات التي تمكّنك من تحقيقها وفقاً لعلم المستقبل، ولكنّك قد لا تحقّقها وفقاً لعلم الغيب.

جزاك الله خيراً يا دكتور، الآن فهمت الفرق بين العلمين مع وافر الوضوح، فأنا على سبيل المثال: سأكتب كتاباً في المستقبل بعنوان (فواصل)، ولكن قد لا أتمكن من تأليفه وفقاً لعلم الغيب، وهكذا على سبيل المثال: حال الطبيب الذي قرّر إجراء عملية جراحية

لإنقاذ حياة أحد مرضاه من الموت، ولكنّه قد لا يتمكّن بسبب موت المريض قبل الموعد المحدّد لإجراء العملية، أو بموت الطبيب المخطط لذلك.

ها نحن على اتفاق مع علماء الأرصاد بأنّ غداً سيكون الطّقس معتدلاً، وعلى اتفاق بأنّ غداً قد لا تشرق الشّمس علينا من جديد.

يا دكتور: بما أنّ للشّمس خالقاً عظيماً؛ فلابدّ أن تشرق من جديد.

معك حقّ، بما أنّها موجودة قد تشرق على غيرنا، ولا تشرق علينا، وبالضرورة لن تشرق عندما لا يُراد لها أن تشرق.

إذا انتهت الشّمس من الوجود؛ فلابدّ وأن ينتهي القمر الجميل من الوجود، والذي لا أظن أن هناك أجمل منه.

خالقه أجمل.

نحن في عصرنا نحكم على ما يشاهد، ولا نحكم على مالا يشاهد.

هذا غير صحيح. هل شاهدت علم الغيب وعلم المستقبل عندما استطعت أن تقارن بينهما وتؤمن بهما؟

بالطبع لا.

إذن، بماذا حكمت عليها؟

بالعقل.

إذن، لا تنس أنّ العقل الذي تحكم به بين الأشياء، أو عليها لا يشاهد، وعليك أن تعرف القاعدة العلمية التي تنصّ على أنّ المخلوق دائماً لا يرى خالقه، والخالق دائماً يرى ما خلق؛ فنحن البشر نرى ما نخلقه صناعة، كالتلفاز، والطائرة، والباخرة، والقطارات، والعدسات المكبرة والمصغّرة، وأشعة الليزر، والمقاعد، والمساكن، والجرّة الفخارية، وغيرها كثير ممّا صنعنا، فكلّها نراها، وهي لا ترانا، هكذا نحن بالنّسبة إلى خالقنا؛ فنحن مخلوقون لا يمكن لنا أن نراه، وهو يرانا؛ فنحن بالنّسبة إليه كالجرة بالنسبة إلينا؛ فمتى ما نشاء نغيّر حال ما خلقنا، أو نبدله وفقا لعلم المستقبل، فإذا أردنا أن نكسر الجرّة كسرناها، وإذا أردنا إصلاحها جبرناها، وإذا أردنا المحافظة عليها حافظنا، وهكذا، خالقنا إذا أراد لنا المرض مرضنا، وإذا أراد لنا الشفاء شفينا، وإذا أراد لنا غير ذلك كنّا، ولا تنس يا بني القاعدة العلمية التي تنصَّ على أنّ: (الخالق دائماً أفضل من المخلوق)؛ فنحن البشر كقيمة إنسانية أفضل من الجرّة، وأفضل ممّا خلقنا بأيدينا، وخالقنا دائماً أفضل منّا، لأنّه قادر على خلقنا وإنهائنا متى يشاء، وكيفما يشاء، ونحن غير قادرين على ذلك؛ فالخالق لا يمكن أن يخلق مثيلاً له؛ فالإنسان لا يمكن أن يخلق إنساناً يماثله، هذه ليست من اختصاصه، ولا تتمشى مع قدراته واستعداداته، إنّها أرقى منه، ولذلك؛ فهي من اختصاص الخالق العظيم سبحانه وتعالى؛

فالخالق الأوّل خلق الشيء من لا شيء، ثمّ خلق منه أشياء، وهكذا هو يخلق بلا نهاية، ونحن لا يمكن لنا خلق الشيء، ولكنّنا نخلق في دائرة الممكن صناعة من الشيء أشياء إلى النّهاية.

يا إلهي، ما أجمل العقل وهو يفكّر فيما يفكّر فيه؛ فها أنا أفكر فيما أفكّر فيه؛ فإذا بعقلي يفاجئني بدائرة والهيمنة عليها.

ماذا تقصد يا بني بدائرة والهيمنة عليها؟

أقصد دائرة النهاية تحت هيمنة ما لا نهاية.

نعم يا بني، هذه حقيقة؛ فنحن وما نصنع له بداية معروفة، ونهاية معلومة، أمّا ما صنعه الخالق المطلق، وما سيخلقه، فلا أحد يعرف بدايته، ولن يعلم نهايته إلّا هو جلّ جلاله.

ها نحن بحقّ مثل الكتكوت في وسط البيضة، ونعلم أنّ وراء كلّ مخلوق خالقاً.

هذا ما كنت أود قوله، بما أنّك موجود؛ فلابدّ وأن يكون من ورائك واجد، ولو لم يكن، ما كنتَ وما كنا.

إذن، يا دكتور بما أنّنا ندرك أنّ وراء كلّ مخلوق خالقاً؛ فبالضرورة أن يكون الخالق أفضل وأعظم من المخلوق، وهذا يستوجب اعتراف المخلوق بفضل الخالق عليه سرّاً وعلانية.

ولهذا، يا بني نحن نعتزّ بأنّنا نركع ونسجد لخالقنا عزَّ وجلَّ، ولا نركع ولا نسجد لسواه؛ فالإنسان أحياناً قد يشعر بأنّه مدين لمن يفعل

له خيراً حتى من البشر، فما بالك بالذي خلقه، ومن قبله خلق الشيء من لا شيء.

إنّه يستحقّ العبادة بحقّ يا دكتور، والحمد لله أنّ الجرة التي خلقناها لا تعقل أنّنا الذين خلقناها حتى لا تشرك بالخالق الأول، الذي لولاه ما كانت الطّينة التي كانت منها الجرّة والتلفاز وغيرها، وما كانت طينتنا وما كنّا.

أنت على صواب يا بني، والله لو لم يكن خالقنا أفضل منّا ما خلقنا، ولو لم يكن كذلك، ما ركعنا له، ولا سجدنا، ولذا؛ فهو يستحقّ العبادة.

وعليه، ألا تلاحظ يا دكتور أنّ الخالق العظيم مسيّطر بالكمال على كلّ مخلوقاته، ونحن غير قادرين على السّيطرة بالتمام على ما صنعنا؟

ماذا تقصد يا ولدي؟

الخالق الأوّل يا دكتور إذا أراد لأمر أن يكون، يقول له: (كن؛ فيكون في حينه)، الزلزلة والبراكين، والسّحب والبرق والرّعد، والمرض والشّفاء، والموت والحياة، كلّها بأمره.

أمّا نحن: مع أنّنا نصنع مفاتيح للتحكّم فيما نصنع، إلّا أنّنا في كثير من الأحيان نقف عاجزين عن تدبر أمرها، أو التحكّم فيها؛ فعلى سبيل المثال: لقد استخلصنا السّموم من مكامنها، وصنعنا

السّموم ضدّ السّموم، وفي كثير من الأحيان نعجز عن تفادي خطرها علينا.

كلّ ذلك يا بني بسبب أنّنا لم نؤت من العلم إلّا قليلاً، ممّا جعل مفاتيحنا التي نتحكّم بها فيما نصنع، تُصنع من العلم الناقص، الذي لا يمكن أن يمكُننا من إدراك علم الغيب، حتى نكتشف أسباب القصور في مفاتيحنا عن أداء المهمّة التي صنعت من أجلها[53].

وبالرغم من صغر سنّك، لكنّك تمتلك من المقدرة ما يمكّنك من التمييز بين الأدقّ وما هو أدقّ منه، نأمل لك مستقبل متميّز.

أنظري يا أختاه بين من قال لك على الهواء مباشرة: لا فرق بين عِلم المستقبل، وعِلم الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله، وبين طفلٍ ميّز بينهما بما امتلأ به قلبه من إيمان، وبما استنار به عقله من علم ومعرفة؛ فأولئك الذين لا يميّزون بين هذا وذاك، هم: المنضمون لتلك الأحزاب التي لا مساحة لها في أنفس الليبيين، وتلك الكتل السياسية المتمسّكة بمقاعدها في المؤتمر الوطني العام، بالرّغم من انتهاء صلاحيته، وبالرّغم من رفض الجماهير للتمديد الذي قرره المؤتمر بنفسه لنفسه؛ فأولئك لو ميّزوا، لعرفوا أنّ الفرق كبير بين عِلم الغيب وبين عِلم المستقبل، أي: لو ميّزوا لعرفوا أنّ المستقبل

---

[53] البستان الحلم، مصدر سابق، ص 120 . 129.

للشّعب، وليس لهم، ومن ثمّ، سيجدون أنفسهم في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع.

وما الفرق بين المتوقّع وغير المتوقّع؟

مع أنّهما المولودان لدائرة الممكن، لكن لكلّ منهما خصوصية بها يتميّز؛ فالمتوقّع، هو: الذي بحدوثه، أو ظهوره، أو وجوده لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ومعطيات حدوثه، أو ظهوره متوفِّرة بين أيدي أهل المعرفة.

أمّا غير المتوقّع هو: الذي لا تتوافر معطيات أو شروط حدوثه، أو ظهوره بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، وإذا ما حدث غير المتوقّع، حدثت المفاجأة، أو التعجّب والاستغراب؛ ذلك، لأنّه: يحدث دون قراءات، أو حسابات مسبقة، أو بأسباب القصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتاً.

الآن فهمت، ونحن في هذا اليوم الجمعة الموافق **28** فبراير **2014**م أسألك عمّا هو المتوقّع وغير المتوقّع بالنّسبة للمؤتمر الوطني العام في ليبيا؟

من المتوقّع سيكون في خبر كان، ولن تجدي على المسرح السياسي الليبي أحدا من هؤلاء الذين هم على المشهد برمّته.

أمّا غير المتوقّع، بالنسبة لهم، فهو: ما نحن نتوقّعه بين مواقع ثلاثة: (أ ، ب، ج):

أ . مواجهة تحت المساندة الخارجية، يظل البقاء فيها للأقوى، والخنوع فيها لغيره.

ب . انتخابات حرّة ونزيهة، نتائجها ممتلئة مغالبة قهرية.

ج . ظهور ثالث يتوسّط منطقتي: (أ ، ب) حيث لا مقصي، ولا مغيّب، ولا معزول سياسي، ولا مغالبة.

قالت تلك الفتاة التي تجري المقابلة:

لقد سبق لك وأن قلت يا حضرة الدكتور: (نحن الشّعب) كما هم قالوها، أي: جميعكم يتكلم باسم الشّعب؛ فلماذا الجميع يتكلّم باسم الشّعب، وهم ليسوا بالشّعب، ولا حتى مكلّفين من قبله؟

نحن نتكلّم باسم الشّعب: لأنّنا نريدها فوضى من أجل التغيير إلى الأحسن، أمّا الأخرون؛ فيتحدّثون باسم الشّعب: لأنّهم يريدون أن يولّدوا الفوضى من الفوضى.

يبدو أنّه لا فارق بين رؤاكم.

لا، الفرق كبير.

وما الفرق؟

يا ليت ذلك الصبي لايزال متصلا مع حضرتك هاتفيا، ليجيب على هذا السؤال، ولكن أقول:

الفوضى تُصنع؟

ممّا تصنع الفوضى؟

. من الظّلم.

. من الخوف.

. من الإقصاء.

. من التهميش.

. من العزل السياسي.

. من الاعتداء.

. من الكيد.

. من المكر.

ولهذا؛ فنحن الشّعب، سنقاوم الظلم بالظلم، ونقاوم الخوف بالخوف، ونقاوم الإقصاء بالإقصاء، والتهميش بالتهميش، والعزل السياسي بالعزل السياسي، والاعتداء بالاعتداء، والكيد بالكيد، والمكر بالمكر.

الآن عرفت أنّ الفوضى تتولّد من الفوضى.

لا، هذه صناعة الفوضى، وليس توليد الفوضى من الفوضى.

لم أفهم.

صناعة الفوضى أن تكون المواجهة بين فوضى وفوضى، أمّا توليد الفوضة من الفوضى، أن تأتي فوضى ثالثة، تواجه فوضاهم وفوضانا، ثم، من بعد الثالثة، تأتي فوضى رابعة وخامسة، وهكذا، تتولّد الفوضى من الفوضى.

اسمح لي أن أقول لكم: كلّكم فوضى، والفوضى مفسدة.

لا تقولين هذا؛ ففوضتنا خلّاقة Creative Chaos.

أمّا فوضاهم؛ فمفاسد.

وفوضاكم تخلق ماذا؟

فوضانا مقصودة لإحداث حالة اجتماعية واقتصادية مريحة.

وفوضاهم تخلق ماذا؟

فوضاهم تخلق فوضى من بعدها فوضى.

وإلى أين هم ذاهبون؟

إلى المكاسب، والمغانم، والمفاسد، والكراسي التي لا تبلغ إلّا بسيادة الفوضى المتولّدة من الفوضى.

أسألك: ما رأيك فيما قاله الأمريكي" ديفيد وارمرز" المستشار والمسؤول عن قسم الشرق الأوسط في فريق ديك تشيني، النائب السابق للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش؟

ماذا قال؟

قال: "من ضمن خطتنا في المنطقة لابد أن ننتبه للإعلام؛ فالإعلاميون العرب كلّهم أعداء، ويمكن أن يشكّلوا معسكر الخصم، لكن لابدّ أن نجد إسطبلا من الإعلاميين العرب يشبه سفينة نوح، الأحصنة في هذا الإسطبل وظيفتهم، أن يقولوا دائما: إنّ سوريا وإيران هما المشكلة، أمّا الحمير؛ فهم من يصدّقوننا بأنّنا نريد الديمقراطية،

أمّا حظيرة الخنازير الذين يقتاتون على فضلاتنا؛ فمهمتهم كلّما أعددنا مؤامرة أن يقولوا أين هي المؤامرة؟"[54].

لا تعليق لي؛ فقط أقول: هكذا هي الفوضى تُخلق، وهكذا، تتولّد الفوضى من الفوضى.

لماذا؟

لأنّه، لو لم تكن الفوضى في كثيرٍ من دولنا العربية بخير، ما سمعنا بهذا، ولأنّ الفوضى متخندقة في السياسة وبعض العقول السياسية، والمؤسّسات الإعلامية وإعلامييها، والأحزاب والمتعصّبين إليها، إلى جانب الباعة والمشترين من العملاء والمرتزقة؛ فهي كما تتولّد بين الأجيال، تتولّد في مؤسّسات الدّولة، وتحتمي ببعض رموز المدن، وأعيان القرى، ومشايخ القبائل، وحتى بعض أرباب الأسر، وتسوّق من قبل الغافلين والمأجورين ذكورٍ وإناث.

وكيف تميّزون بين فوضى وفوضى؟

أقول:

كلّ فوضى لا تخرج إلّا فوضوي؛ فالعلمانيون ينسجمون مع الآخر المندمج في علمانيتهم أكثر من انسجامهم مع بني جلدتهم غير العلمانيين. والإخوان المسلمون يقدّمون الأجنبي الإخواني على

---

[54] صحيفة حائل الإخبارية، 28 فبراير 2014م، ملبس بن صالح بن دمام، ماذا بعد ثورات الربيع العربي؟

مواطنيهم غير المنتسبين لتنظيمهم العالمي، ولا يعتبرون الحدود الوطنية ذات أهمية، الأهمية فقط للحدود الممتدّة مع امتداد الدين، وهكذا البعثيون، والماويون، والماركسيون أغلبهم أصحاب رؤى لا تتوقّف عند حدود الوطن؛ فمعظمهم يضخّمون مكانة الأجنبي المنتسب أيديولوجيا إليهم، ويقللون من شأن بني جلدتهم غير المنتمين.

وكأنّه لا فرق بينهم!

هكذا، هم كما سمعت، ولكن الفرق بين العلمانيين والإخوان المسلمون: العلمانيون يرون الوطن أوسع رقعة لهويّتهم، والإخوان المسلمون يرونه أصغر منها بكثير.

مسترق السّمع يصفّق فرحا: هكذا هي الحرّية تُمارس بأسلوب ديمقراطي، وهكذا، هي الفوضى تلد من الفوضى حلّا؛ فأنتم أيّها السّادة بتوليدكم الفوضى، أصبحتم على عتبة التفاهم والوئام والانسجام، وحتى لا تكونوا سببا في إطالة الوقت؛ فعليكم بكلّ ما من شأنه أن يمكّنكم من بلوغ الحلّ.

وما الذي من شأنه أن يمكّننا من بلوغ الحلّ، وفي أسرع وقت؟

الفوضى التي تقف في وجه الاحترام الذي يخلق الولاءات المزيّفة حتى توقّفه عند حدّه، كما أوقفه ذلك الجندي المجهول للفوضى، حينما أقدم بكلّ شجاعة على ضرب الاحترام جهارا نهارا دون

مخافة، وعلى التحديد يوم أن قلب مثلث حمْل المسؤولية الإدارية رأسا على عقب (الرأس تحت، والقاعدة فوق)؛ فأصبح الطالب في الجامعة عميدا لها، وأولئك الدكاترة والعمداء (رؤساء الجامعات) أصبحوا خارج الجامعة، أو أنّهم في ممرّاتها بلا مكاتب، ولا ينالون احتراما من الذين أصبحوا مدراء عليهم بلا صفات علمية، ولا مهنية، ولا حتى تأهيلية لإدارة المؤسّسات الجامعية.

وما هو العنوان الذي اتخذوه مشجبا ليعلّقوا عليه فوضاهم؟

الإدارة الذاتية.

وما العيب أن تدار المؤسّسات بالمشاركة ذاتيا؟

العيب إنّها أديرت بلا مشاركة؟

كيف؟

الطلبة هم المدراء، والأساتذة وأصحاب المهن والتخصّصات الرفيعة هم المداورون.

نعم، فهمت كيف قُلب المثلث.

هكذا، جُعلت هيبة الإدارة والأساتذة أسفل، وفي المقابل جُعلت فوضى الطلبة أعلى.

وأين المعيارية؟

في كيس الزّبالة.

ولماذا هذه الجريمة؟

لكي تتولّد الفوضى من الفوضى، حتى تعمّ مؤسّسات الدّولة، وتقوّض القيم الحميدة التي تبني الشخصيّة الوطنية، وتبرز القدوة الحسنة.

وما النتيجة المأمولة من وراء ذلك؟

عندما تعم الفوضى، تصبح الكلمة لمن يمتلك مقاليد القوّة الممكّنة من إملاء الشّروط، وسيادة غرائزه الحسيّة على تلك القيود الضميرية والأخلاقية.

وأين الحلّ المأمول؟

الحلّ: أن يبايع من أصبح منفردا بمقاليد قوّة الدّولة، ويطاع في كلّ أمرٍ، وفقا للقيم المقوّضة.

تقول القيم المقوّضة!

نعم، المقوّضة، ولا غيرها.

تدخّل مسترق السّمع، ليطمئن الخائفين، ويحدّ من استغرابهم؛ فقال:

أنتم أصبحتم بين أيدٍ أمينة، كما كنتم، وليس لكم إلّا الطّاعة.

طاعة من؟

طاعة من أوليتموهم أمركم، كما سبق لكم وأن أوليتموه لمن كسّر قيمكم وقوّضها، أم نسيتم هتافاتكم في قلب السّماء، وزغاريد النسوة أعلى من رؤوسهنّ؛ فلا تلوموا أحدا، اللوم عليكم، منذ ذلك اليوم

الذي قبلتم فيه المبايعة المطلقة، وقبلتم بتلك الإدارة الفوضويّة، حتى أغرقتكم كما تغرق السيول والفيضانات الأماكن الواطية؛ فأنتم قبلتم بطأطأة رؤوسكم، وانحناء ظهوركم؛ فركبكم بكلّ سهولة، كما تُركب الدّابة، حتى أصبحت الشكيمة بقبضته، يديركم كيفما يشاء، إلى أين يشاء.

لقد كنّا نحن المستشارين الخصوصيين (جماعة الشاي) نسقه شأيا؛ فيشرب فوضى، ثمّ علّمناه كيف يخلقها، وكيف يولّد منها فوضى.

فأنا على رأس المستشارين، كان منهجي معه أن لا أقدّم له مشورة إلّا بعد أن أسترق سمعا، علّمته كيف يولّد الفوضى من الفوضى، ولكنّني لم أعلّمه كيف يخلقها؛ فأنا عاجز عن خلقها.

وكيف كان مولّدا للفوضى؟ وكيف استطاع أن يخلقها؟

باجتهاده تعلّم توليد الفوضى من الفوضى، وباختلاقه لكلّ شيء استطاع أن يخلق الفوضى؛ فقد استطاع أن يولّد فوضى المؤسّسة العسكرية، وفوضى العدالة القضائية، من فوضى إدارة المؤسّسات الجامعية، ومنها ولّد فوضى الملكية الخاصّة (زحف العمال) على أرباب العمل، وعلى أصحاب المصانع، وحتى وسائل النقل الخاصّة، تحت عنوان: (فوضى السيارة لمن يقودها)، وغيرها كثير.

أمّا خَلقه للفوضى؛ فقد قوّض قيمة الاعتبار بنسفه جسور القيم الحميدة، كما قوّض قيمة الهيبة بنسفه جسور القدوة الحسنة، وقوّض قيمة التقدير حيث لا معيارية للنزاهة والاختيار، وقوّض قيمة الضبط الأخلاقي بالتمرّد على كلّ ما من شأنه أن يجعل للمنظومة التربوية شأنا.

وما المَخرجُ من الفوضى؟

الفوضى الخلّاقة، وهي: "عندما يصل المجتمع إلى أقصى درجات الفوضى المتمثلة في العنف الهائل، وإراقة الدّماء، وإشاعة أكبر قدر ممكن من الخوف لدى الجماهير، فإنّه يصبح من الممكن بناء الدّولة من جديد، بهوية جديدة، تخدم مصالح الجميع"[55].

قال مواطن: يا إلهي، هذا ما يجري الآن بالتمام، ولكنّي كنت أعتقد إنّ الفوضى ولّدت فوضى عفويّة، وإذا بالفوضى تمنهج، شتائم وألقاب ما أنزل الله بها من سلطان تملأ شاشات التلفزة، والعنف على أشدّه، والخطف بقوّة السّلاح على الهويّة بلا هويّة، والقتل جهاراً نهاراً حدّث ولا حرج. ولكن، كيف لنا بالخروج من الفوضى؟

بتنشيط الفوضى.

وكيف تنشّط الفوضى؟

---

[55] العربية نت، أحمد فراج، الفوضى الخلاقة، السبت 26 يناير 2013م

اعملوا على مكانتكم بأضعاف أيّة قوّة تحاول أن تضبط الأمن بما هو ممنهج؛ حتى تصطدم رؤاهم الخاصّة مع رؤاكم أيّها الجموع.

فقال مسترق السّمع: عليك بالتُقية.

أيّة تُقية؟

التُقية الفوضوية، التي تراك بأمّ عينها، وأنت يصعب عليك أن تراها مع أنّها ملاصقة لك جنبا بجنب.

ألا يعني هذا، حضرتكم أيّها المسترق؟

لا، الشبيه.

ومن يكون هذا الشبيه؟

من يحلل لنفسه، أو أهله، أو مذهبه، أو حزبه، ما ليس بحلال.

ولكن التُقية شرعية.

وعلى ماذا أنت تستند؟

على قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}[56].

هذه لا تكون تُقية إلّا عند الضرورة التي يستشعر فيها المسلم أنّ سلامته وحياته مهدّدة بأسباب دينه، وهي لا تكون إلّا بين كافر ومسلم، ولا علاقة لها بالمصلّين والمسلّمين على محمّد.

---

[56] آل عمران، 28.

أكاد أن أفارق عقلي.

أنا لا أصدّق إنّك مسترق السّمع؛ فلسان حالك وكأنّك من المسلمين.

وما يدريك أنّني لم أكن مسلما؟

لأنّني أعرف أنّ الشيطان لا يقول إلّا فوضى.

معك الحقّ، ولكنّني لا أقدر على ذلك أمام الله الذي أقسمت بعزّته، {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[57].

إذن، أين المشكلة؟

المشكلة عندكم، عند (شياطينكم أنتم يا بني الإنس)؛ فأنتم الأولى بذلك، نحن شياطين تابعين لشياطينكم الذين انتصرت شيطنتهم على شيطنتنا نحن بني الجنّ؛ فالشياطين أوّلاً أنتم، وفقا لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}[58].

صدق الله العظيم. نعم إنّ الفوضى لم تلد إلّا من شياطيننا؛ فهم بيننا يكذبون وينافقون، ويزوّرون، ويقتلون من يقتلون دون أن يتّقوا الله فينا.

---

[57] ص 82.

[58] الأنعام 112.

وما رأيك في حديث "الْحَرْبُ خدْعَةٌ"[59]؟

هذا حديث معركة بين كافر ومسلم، ولم يكن بين مسلم ومسلم، ولكن شياطينكم سياسة يولّدون من الفوضى فوضى، وهكذا هم يفعلون، ولن يستقيم أمركم إلّا بالاستعاذة بالله منهم قولاً وعملاً.

قل لي، من أتى بك إليّ؟

أنت، ولا غيرك، وإليك الإجابة قبل أن تسألني:

لأنّك لم تستعذ بالله ممّا في نفسك من خنزرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم.

ابتعاد من بعده صمت..... ها أنا استعذت بالله؛ فما رأيك؟

لا مجيب.

أين أنت؟

لا مجيب.

يبدو أنّني أخطأت في شيء مع من كان حديثه جميلا، وتفكيره أجمل.

ها أنا عدت إليك.

ومن استدعاك؟

أنت.

لا، لم أستدعيك.

---

[59] الجزء الأول من أمالي أبي إسحاق ، ص 41.

ألم تقل بينك وبين نفسك أنّك معجب بحديثي وحُسن تفكيري؟

نعم، قلته.

إذن، ها أنت تستدعيني سواء كنت تدري أم لا تدري، ومع ذلك؛ فإن كنت تدري؛ فتلك مصيبة، وإن كنت لا تدري؛ فالمصيبة أكبر.

أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}[60].

وأنا أقرأ هذه الآية الكريمة، صعد المؤذّن تلك المئذنة العملاقة، وهو متأهّب لرفع أذان صلاة العشاء في مدينة طرابلس، نظر كعادته هنا وهناك؛ فشاهد ذلك الكرسي (كرسي رئيس المؤتمر الوطني العام) مربوطا بحبلٍ في منتصف عمود الكهرباء الذي على مقربة من مقر انعقاد جلسات المؤتمر الوطني العام، وكان ذلك يوم الأحد، الموافق 2 مارس 2014م، بعد أن اقتحم حشد من المتظاهرين الرّافضين للتمديد قاعة المؤتمر؛ فرفع الأذان من على قمّة المئذنة، والمتظاهرون في شوارع المدينة ضدّ التمديد يكبّرون ويهتفون: (بالرّوح بالدّم نفديك يا بنغازي)، وبعد أن انتهى من رفع الأذان، هتف في فرحة من علو المئذنة، الله أكبر الله أكبر (بالرّوح بالدّم نفديك يا

---

[60] الأعراف 200، 201.

بنغازي)؛ فكانت الهتافات بينيّة (بينه وبين تلك الجماهير)، وكأنّها نازلة من قلب السماء.

الحمد لله أنّني استعذت بالله من الشيطان الرّجيم؛ فلو لم أستعذ بالله منه، ما سمعت صوت المؤذن في وقته، وما رأيت بأم عينيّ ذلك الكرسي مشنوقا بحكمٍ شعبي في باب بن غشير بالعاصمة الليبية طرابلس.

ولكن ما علاقة ما حدث بتوليد الفوضى الخلّاقة؟

العلاقة مباشرة؛ فلو لم تمتلئ شوارع وميادين المدن والقرى الليبية فوضى، ما امتلأت بالرافضين المتظاهرين ضدّ التمديد.

يا إلهي، يبدو إنّه لا فرق بين الفوضى، وبين الثعبان الذي يروّض على يد من يروّضه، وفي النهاية الثعبان، أوّل ما يعض اليد التي كانت تغذيه؛ فهكذا هي الفوضى أوّل ما تقضي، تقضي على من كان وراء توليدها، وخلقها، وتغذيتها، وهي مثل النّار عندما تكون تحت السيطرة تمكّنك من التدفئة، كما تمكّنك من الطهي، وعنما تنفلت منك تلحقك، وتحرق الأخضر واليابسة، ولا تترك وراءها إلّا هباء وفحما.

ولمتسائل أن يتساءل:

ألا يكون للفوضى معطيات؟

لا شيء إلّا من شيءٍ، ولا شيء إلّا بمعطيات، ولأنّها الفوضى؛ فهي شيء لها من المعطيات:

. فقدان الأمن.

. فساد العدالة.

. الظّلم.

. العدوان.

. فرّق تسدّ.

. أنا، ومن بعدي الطوفان.

. الإحساس بالغبن.

. فساد الأخلاق.

. العوز والفاقة.

ولكن، من الذي يصنع الفوضى؟

كثر، وعلى رأسهم:

. الخائف: سواء أكان على نفسه، أم على عِرضه وماله، أم على كرسيه، أم على أسرته، أم على دينه، أم على وطنه؟

. الظالم: الذي لا يريد للحقيقة أن تظهر، فينكشف أمره، وما وراؤه من علل، وهو المتعدّي لحدود الأمن والعدالة، ولا يقف عند حدّه وفقا للقيم الحميدة، والفضائل الخيّرة، والدستور المشرّع به، والقوانين المستمدّة منه، والعرف الضابط للسّلوك.

. المعتدي: على النّفس، والشّرف، والمال، والمُلك، والدّين والوطن.

وكيف تُصنع الفوضى؟

تُصنع بالنّوايا غير الصّافية، والأقوال غير الصّادقة، والأعمال غير المخلصة، والسلوك بلا ضوابط.

مسترق السّمع والابتهاج يملأ صدره، خرج عن صمته، قائلا:

ضعوا نصب أعينكم هدفا، من ورائه حلّ، ولكن بعد فوضى تُصنع.

وكيف لنا بصناعة الفوضى؟

. توحّشوا ما استطعتم.

. استخدموا العنف والقوّة بلا رأفة.

. استبدّوا، وعليكم بالقهر.

. أكثروا من الجماعات المسلّحة.

. القوا القبض على كلّ من تأتيكم فيه وشاية.

. حرّفوا تحقيقات المتهمين، ووسّعوا دائرة التُّهم.

. استفزّوا الكلّ حتى تصبح لكم هويّة دون غيركم.

. عليكم بتلك النظرة التي لا ترى الشّعب إلّا أرقاما.

. ادفعوا أفرادا بعينهم للتآمر، ولا تغفلوا عن وضعهم تحت المجهر، ثمّ، القوا القبض عليهم، حتى تستمدّوا شرعيتكم، وتتمكّنوا من تكميم الأفواه.

. تلوّنوا مع ألوان الطيف، ولا يتلوّن لونكم.

. استعرضوا بالسّلاح، واعملوا على قلق الغير.

. استبدلوا الليل بالنهار.

. ارفعوا شعار المصالحة الوطنية، وإيّاكم أن تعملوا عليها؛ فإن تحقّقت أصبحتم في خبر كان.

. تظاهروا بالسّماحة واللين، وأظهروا الاستغوال.

. غضوا النظر عمّا يفعله المجرمون، لتضطرب الأنفس، وتضيق الصدور من القلق، حتى تلتجئ إليكم منقذين.

. بثّوا الإشاعات، وألصقوها بمن لم يتّبع وجهتكم، ولم يستجب لنواهيكم وأوامركم.

. وسّعوا دوائر الخطف، ولا تستثنوا أحداً.

. أوصيكم بمزيد من الضّغط، حتى يصبح غيركم نزيلا عندكم في السّجون، أو نزيل ضغطٍ في المشافي.

. سفّهوا من تسفّهوا، حتى تكسروا الهيبة والقدوة.

ها نحن قد عملنا بما قلته، وأكثر.

وما هو الأكثر الذي عملتموه؟

خطفنا رئيس الوزراء، ومن بعده رئيس المؤتمر.

كلّ هذا لا يزيد عن كونكم قد وضعتم قدمين على الأرض.

يا إلهي، كلّ هذا لا يزيد عن موضع قدمين!

لا تقلّلوا من القدمين، ولكن الصّعوبة أن لا تجدوا لهما مكانا يوضعان عليه، وعليكم أن تعرفوا أنّ من وجد لقدميه موطئا، وجد مكانا للجلوس، ومن ثمّ، ليس له بدّ إلّا أن يمدّ ساقيه، ولو على أجساد الآخرين.

يبدو أنّ الأمر على الصّعوبة غير المتوقّعة.

نعم مدّوا أقدامكم ولو على الأجساد، وإلّا ستصبح ظهوركم على الأرض وأقدامكم إلى أعلى (فلقة)، ومن بعدها تشنّق رقابكم مثلما شُنِّق ذلك الكرسي في عمود الإنارة.

اجتماع طارئ (على عجل)، تقرر فيه مدّ الأقدام على الأجساد فوضى؛ فكان الاغتيال ومن ورائه اغتيال، والاختطاف من ورائه اختطاف، والإقصاء من ورائه إقصاء، والسّجن من ورائه أقدام.

ها أنتم قد وضعتم أصابعكم على الدّاء، ولا خيار لكم إلّا الفوضى.

يبدو أنّ لكلّ شيء نهاية، إلّا الفوضى.

ألم أقل لكم فكّروا وأنتم تفكّرون فيما تفكّرون فيه؟ فلو فكّرتم، لعرفتم أنّ لكلّ بداية نهاية، ولا باقي إلّا الباقي.

لا إله إلّا هو الباقي، ولكن الفوضى تولّدت واتّسع نطاقها، وامتدّت مثل النّار في الهشيم، والأمر لم يحسم بعد، بل أصبحنا بين تمديد ورفضٍ، وبين تهديد وتمرّدٍ، وثورة.

ومع ذلك؛ فأنتم منتصرون، ولكن عليكم بالتخنّدق، والتمسّك بالكراسي، والعمل على المزيد، وفقا لقاعدة: (شاء من شاء وأبى من أبى).

ها أنتم فكّرتم فيما تفكّرون فيه حتى استشعرتم الخطر، ولكن أنصحكم برفع سقف قاعدة: (شاء من شاء وأبى من أبى) حتى تسود الفوضى، ويصبح منطقكم: (عليَّ، وعلى أعدائي)، ومن بعدها، لا شكّ أنّ الأمر سَيُحسم.

ولصالح من سيحسم؟

اتركوا علم المستقبل لأصحاب المستقل، وعلم الغيب لعالم الغيب.

ونحن أين؟

أنتم إلى النّهاية التي سيتم بلوغها بقتل الفوضى.

يا إلهي، الدّفاع عن الفوضى وحده يطيل بقاءنا!

نعم؛ فعليكم بالدّفاع.

اجتماع استثنائي في ساعة متأخرة من الليل، تقرّر فيه: تغيير الخطّة من الهجوم إلى الدّفاع الفوضوي.

ولكن، كيف يمكن لنا أن نغيّر خطّتنا من الهجوم الذي ولّدناه فوضى من الفوضى، إلى الدّفاع؟

القبول بالأمر الواقع، والعمل على اغتنام الفرص، فخطّتكم الدّفاعية ينبغي أنْ لا تختلف عن خطة ذلك المدرّب لفريق كرة القدم، أي: (الاعتماد على الهجمات المرتدّة).

وكأنّك تود أن تقول لنا: أن نحمّل أعباء ما قَدِمنا عليه لغيرنا؟

بالتّمام، ألصقوا كلّ الجرائم بتلك المشاجب.

صدقت، يجب أن نعلّق كلّ شيءٍ على المشاجب، وبخاصّة (صفّ مع) الذي يعمل على صناعة الفوضى من أجل أن لا يتمكّن (صفّ ضدّ) من ممارسة السّلطة، و(صفّ ضدّ) الذي هو الآخر يعمل على صناعة الفوضى كي لا يتمكّن (صفّ مع) من ممارستها، وهكذا (صفّ السّاكنين) يصنع الفوضى من أجل أن لا ينفرد أحد الصّفين بالسّلطة.

أمّا الوطنيون؛ فقد اتخذوا خطوة إلى الخلف، كي لا تغرق أقدامهم مع تلك الأقدام التي غرقت في وحل الدّماء السائلة على تراب الوطن بين الأخوة فتنة.

عداءات تولّدت بين أبناء الوطن فوضى، ولا وجود للعدالة الفاصلة فيما هم فيه مختلفون، ممّا حفّز البعض ليصطفّ ضدّ البعض نكاية وضرورة، جعلت الأصوات ترتفع على الأصوات، والتحدّي بلا

حدود يمتدّ دسائس نفسٍ بين بني الوطن، أفراد وأسر وعائلات وقبائل وقرى ومدن ولا عدالة.

ولسائل أن يسأل:

وكيف سيكون المستقبل؟

المستقبل سيكون مليء بالتحالفات وفقا لدائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالصّفوف التي سبق لها وأن اصطفّت أيّام تلك المواجهات السّاخنة، لن تبقى مصطفّة على ما هي عليه، بل الضرورة والسخونة ستدفعها إلى فرز صفوفٍ جديدة، تجمع بعض من (صفّ السّاكنين)، وبعض من (صفّ ضدّ)، وبعض من (صفّ مع)، ليكوّنوا جبهة رابعة (ضدّ الضدّ)، وهي الجامعة لكثير من الوطنيين، وبعض ممن حُسبوا على النّظام السّابق، مع بعض آخر ممّن ثار عليه، ولكنّه اتخذ موقفا مواجها لبعض من الثوّار الذين لا يرون إلّا الثورة مستمرة؛ ولا بناء للدّولة (عدالة، وجيشا، وشرطة، وإدارة)؛ ممّا يدفع إلى المواجهة بين تكتلات جديد برؤية (الاندماج)، وبين تكتّلات سابقة برؤية (الرّفض).

ومن المتوقّع أن تكون أرض المواجهة الحاسمة عاصمة الوطن (طرابلس) التي تجمع المجتمع الحضري مع المجتمع الزراعي والرّيفي والبدوي في وقت واحد؛ إنّها حاضنة الجميع بدفئها، وهذه من طباع العواصم، ولكن في زمن الصّفوف المتضادّة، قد يصبح المجتمع الحضري في صفّ، وفي المقابل يندمج المجتمع الزّراعي

والمجتمع الرّيفي والبدوي في صفٍّ آخر مضادٍ لصفّ المجتمع الحضري، وهذه إن حدثت عصبية؛ فستسري في أرض الوطن، وتكون نتائجها مؤلمة.

وفي حالة عدم الوفاق الوطني؛ فمن المتوقّع أن تنتج الصّفوف مواجهات نوعية، بين جماعات العصبية السياسية، وبخاصّة (جماعات الإسلام السياسي)، وبين العصبية القبلية للمجتمع الزراعي والريفي والبدوي.

ولكن إن ثمّ وفاقا بين جماعات الإسلام السياسي مع بقية المكوّنات الاجتماعية والحضرية، وتطرّفت جماعة ما، وقرّرت المواجهة سلوكا؛ فلا شكّ أن المواجهة ستكون بين مجتمع الوفاق الوطني بمختلف ألوان طيفه السياسي والاجتماعي (إسلامي سياسي، وحضري، وزراعي وريفي وبدوي)، وبين من قرّر التطرّف سلوكا.

ولكن أين العدالة الحاسمة للأمر اختلافا أو خلافا؟

ألم أقل لك، فكّر فيما تفكّر فيه قبل أنْ تقلهُ؟

نعم.

لو فكّرت، لعرفت أنّ الفوضى والعدالة لا يلتقيان مهما امتدّا.

ولكن للمؤتمر الوطني العام وزارة عدل.

بما أنّك تقصدها دون غيرها؛ فأنت لا زلت تتكلّم عن الفوضى الولّادة.

**لم أفهم.**

**ألم تعلم أنّ وزارة عدل الفوضى، لا تلد حكما إلّا من صلبها؟**

**الآن فهمت، أنّ لكلّ فوضى وزارة عدل تشهد على إدانتها أوّلا بأوّل.**

**يا إلهي، الفوضى تدين وزارة العدل التي تستظل بظلها!**

**ها أنت قد عرفت أن الفوضى أرحم من وزارتها.**

**ولكن أين أولئك الرّجال المتمسّكون بالعدالة؟**

**جميعهم مع عدالتهم خلف المشهد ينتظرون.**

**ينتظرون ماذا؟**

**مغالبة الفوضى بالفوضى.**

**اللهمَّ عجّل بالفوضى حلّا حاسما.**

**اجتماع طارئ للمؤتمر الوطني العام لحسم الأمر، تقرّر فيه سحب الثقة الفوضى من رئيس الوزراء (علي زيدان) الذي على الفور فرّ خارج تراب الوطن.**

**ولماذا الفرار؟**

**لتوليد الفوضى من الفوضى.**

**وممّن الفرار؟**

**من العدالة فوضويّة.**

يا إلهي، زيدان الذي كان يصدر الأمر، وكأنّه يمتلكه، يوم أن طلب باسم العدالة (الفوضى) إلقاء القبض على اللواء خليفة حفتر، وهو يتّهمه بالتآمر، كما أنّه كان يرى عودة حكومته بعبد الله منصور ومن بعده الساعدي القذافي من النيجر، إنجاز وطني، لا يماثله إنجاز، سوى ذلك الأمر الذي أصدره للقوات المسلحة الليبية بضرب شاحنة النفط التي تعاقد إقليم برقة مع من تعاقد على تصديره، ومع أنّه قد أصدر أمره للقوات المسلّحة الليبية، لكنّها لم تستجب لأمره.

امتلأت الشاحنة نفطاً جهارا نهاراً، وغادرت المرفأ بسلام إلى المياه الدوليّة، وهناك تمّ إلقاء القبض عليها من قبل القوات البحرية الأمريكية التي أعادتها إلى ليبيا حيث رسيت في الميناء النّفطي بمدينة الزاوية.

فرّ زيدان من العدالة يوم الثلاثاء **11** مارس **2014**م التي كان يقول عنها (نزيهة على التمام)، ولكن بعد فراره (الفوضوى)، أصبح قوله: (لا وجود للعدالة في ليبيا إلّا فوضى). ومع قوله هذا يكاد صدره أن ينفجر من النّدم على ما أقدم عليه (فوضى)، كما أنّه يأمل أن يُقبل من قِبل أولئك الوطنيين الذين تركهم، عندما اتخذوا خطوة للخلف، ومعهم أولئك القضاة أهل النزاهة المحكوم عليهم (فوضى).

وفي القاهرة الموافق **17** مارس **2014**م بعد التحية والسلام مع وافر الودّ كان السؤال مباشرة مع السيد على زيدان:

ماذا جرى معك يا سيد علي؟

ليبيا في خطر.

ولماذا لم تقلها فوضى؟

الإسلاميون مفسدة ليبيا، ولا فرق بينهم، رؤاهم مثل هواهم، ولا فارق؛ فلا يغرّنكم قولا.

ولكن جميعنا إسلاميون.

فقال: نحن مع الإسلام كما يراه الله، أمّا أولئك؛ فلا يرون الإسلام إلّا كما يرونه سياسة.

ولماذا لم تقل هذا وأنت على رأس الحكومة فوضى؟

ها أنا أقول، ولن أصمت، وسأعود إلى البلاد.

ولكن هل لك رأس مال من الحيطة والحذر؟

سيكون لي رأس مال، أديره من الداخل.

وهل تعتقد أنّك ستكون قادرا على ذلك؟

وأنت بماذا تنصحني؟

أنصحك بتأمين المكان الذي تأمل أن تضع قدميك عليه، ثمّ، عليك بقبول الآخرين، وعليك ببعث رسائل تصحح من خلالها مواقفك من الكثيرين؛ فأنت وصفت السيد حفتر بما وصفته به، ووصفت السيد الجضران بما وصفته به، ووصفت السادة الفيدراليين بما وصفتهم به، والبوادي جميعهم خيبت أملهم فيك، وأهل المدن

كذلك، والإسلاميون منك غضبى إلى النخاع، ومع ذلك إن كان في رأسك تصدر؛ فالنّاس أصبحوا لا يقبلون متصدّر، إلّا من يتم فرزه وانتخابه عن إرادة.

معك حقّ سأبعث برسائل استغفار عمّا قلته في غير محلّه، وفي هذا الوقت لا طمع لي في شيء.

أسألك بحقّ: كيف كنت ترى ليبيا وأنت على قمّة رئاسة الوزراء فيها؟

أقسم لك أنّها في فوضى، وهي في أشدّ الحاجة لمنقذين مخلصين.

ولكنّك بقيت رئيسا للوزراء خمسة عشرة شهرا حتى سُجّلت عليك الإدانات، ولم تستقيل قبل أن يبلغ الحال بسحب الثّقة منك؟

خدعوني.

وأين الثلث المعطّل؟

زوّروا الحقيقة، وسأرفع قضية.

ولمن سترفعها؟

المحامون هم الذين سيرفعونها.

على أيّة حال، الأمر في اعتقادي هو على الصّعوبة أكثر ممّا هو متوقّع.

نعم على الصّعوبة، ولكن هل تُترك لهم البلاد ليعبثوا فيها؟

لو أحسنت التصرّف بصفتك رئيسا للوزراء، لكان لليبيا جيش يحميها، ولكنّ ليبيا منذ رئاسة الوزراء في زمن الدكتور محمود جبريل (أيّام المجلس التنفيذي)، وكذلك، رئاستها في زمن الدكتور عبد الرّحيم الكيب، إلى زمن حضرتكم لم تجد غير الرّبّ حاميها.

لا شكّ أنّ الرّبّ حاميها، ولكنَّ المؤتمر هو علّةُ بيعها.

الشّعب رفع إشارة (قفّ) في وجه المؤتمر الوطني العام (لا للتمديد)، وفي المقابل معظم أعضاء المؤتمر الوطني العام رفعوا الإشارة ذاتها في وجه الرّافضين للتمديد، حتى هدأت العاصفة، ومن ثمّ، أداروا ظهورهم للجماهير، ورفعوا في هذا اليوم **31** مارس **2014**م، إشارة (قفّ) في وجه رئيس المؤتمر (نوري أبو سهمين) من خلال توقيعات لثلاثين عضوا من أعضاء المؤتمر كونهم يعترضون على حضور السيّد نوري أبو سهمين في جلسة المؤتمر، ويطالبون بحجب الثقة عنه وإسقاطه.

وها نحن ننتظر النتائج المترتّبة على إشارات قفّ الثلاث التي سيكون وراء كلّ إشارة منها علّة، ووراء كلّ علّة معلولٍ:

. الإشارة قفّ الأولى: رُفعت من الشّعب في وجه المؤتمر الوطني (لا للتمديد).

. إشارة قفّ الثانية: رُفعت باسم المؤتمر الوطني العام لمواجهة الإشارة السّابقة بـ(استمرار التمديد).

. إشارة قفّ الثالثة: رفعها بعض من أعضاء المؤتمر في وجه من انتخبوه رئيسا للمؤتمر (نوري أبو سهمين) لحجب الثقة عنه وإسقاطه.

وما هي العلل الثلاث؟ وكيف كان من وراؤها معلولا؟

العلّة التي تكمن وراء إشارة (قفّ) الأولى: هي نتيجة استشعار الرّافضين للتمديد أنّ كثيرا من أعضاء المؤتمر أصبحوا وكأنّهم يمثلون أنفسهم، ولا يمثلون الشّعب الذي من ورائهم، وهذه علّة. كما أنّ المتظاهرين يرون إصرار أعضاء المؤتمر على الاستمرار، هو: بذاته علّة.

والمعلول الذي يكمن وراءها كما يقول البعض هو: إنّ حزب الإخوان المسلمين في مصرّ على فرض رؤاه، وفرض سياساته العقائدية على حساب مصالح الشّعب، ولأنّه يعرف أنّ الفرصة بالنسبة له لن تتكرر بالكيفية التي بها تمكّن من السّلطة؛ فهو بالضرورة سيكون متمسّكا بما تحقّق له من إنجاز كان يأمله وهو بعيد.

ولسائل أن يسأل:

وكيف لنا بنزع الفتيل قبل أن ينفجر؟

أقول:

الأخذ بالتجربة التونسية، مع عفوٍ عام وتوافق وطني، حيث لا إقصاء ولا عزل سياسي، وإن لم يؤخذ بذلك، فالمواجهة آتية لا محالة.

بين من ومن؟

البعض يعمل فوضى لتكون المواجهة بين جمعٍ من الإسلاميين، وحشودٍ من ألوان الطيف الشّعبي.

والعلّة التي تكمن وراء إشارة (قفّ) الثانية: هي نتيجة استشعار المتمسّكين بالاستمرارية أنّ إصرار الشّعب على رفض التمديد علّة في ذاته، وهنا، كان للفعل ردة فعل تناكفه، وتضع عليه مزيدا من علامات الاستفهام، وذلك بما توسوس به أنفس البعض، وما يروّج له شياطين الإنس بتفسيرهم لِما يجري من رفض، إنّ من ورائه أولئك المنعوتين بأزلام النّظام السّابق، وأنّ العلمانيين، والقبليين والفيدراليين وقوى التحالف متّفقون معهم على إسقاط المؤتمر الذي يمثّل الشرعية.

ولكن قُرّاء هذا التفسير يرون أصحاب هذه النظرة لم يفصلوا بين شيئين: بين الوطن وسيادة شعبه، وبين سيادة المتمسّكين بالتمديد، وهذه هي الأخرى علّة في مواجهة تلك العلّة.

ولمن يسأل عن حلٍّ؛ فكلّ الساسة وأصحاب الفكر الحرّ يقولون:

الشّعوب عندما ترفع أصواتها يجب أن يستمع إليها عن وعي وانتباه، وأن لا تسفّه مطالبها، وأن يتمّ الجلوس معها، والجلوس من أجلها، لفكّ عُقد التوتر، والتأزّم، وكلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الصدام والخصام، ومن ثمّ، إصلاح ذات البين على بساط أحمدي؛ فمن يقبل بمخاصمة الشّعب، لا بدّ أن يترك كرسيّه آجلا أم عاجلاً، ومن نسي الأخذ بعِبر التّاريخ البعيدة؛ فعليه بأخذ القريب منها، فبالأمس تظاهر الشّعب التونسي، ورُفِضت مطالبه، وتظاهر الشّعب المصري، ورُفضت مطالبه، وتظاهر الشّعب الليبي، ورُفضت مطالبه، ولكن ألم تكن النتائج قد أتت بعكس مقدّماتها، وجاءت الرِّياح بما لا تشتهي السّفنُ؟

أمّا العلّة التي تكمن وراء إشارة (قفّ) الثالثة: فهي إقدام المؤتمر على حجب الثّقة عن رئيس الوزراء (علي زيدان) الذي تمسّك بكرسيه إلى النّهاية التي جاءت بحجب الثقة عنه وإسقاطه، وذلك ظنّا منهم أن يكون إسقاطه قد يؤدّى مفعوله لامتصاص غضب الشّعب الرّافض للتمديد، ولأنّ غضب الشّعب لم يهدأ؛ فأقدم بعض من أعضاء المؤتمر بتقديم توقيعاتهم لحجب الثّقة عن رئيس المؤتمر (نوري أبو سهمين)، الذي بدوره قد تمسّك هو الآخر ببقائه في منصبه بالرّغم من شنق الجماهير لكرسيه على عمود الإنارة بالعاصمة طرابلس، ومن هنا، لم يبق بين الشّعب والمؤتمر الوطني العام،

والكتل المتكتّلة فيه، ضدّ بعضها بعض، وضدّ رئيس المؤتمر مؤخّراً، إلّا مواجهة العلّة بالعلّة.

ولكن ما هو المعلول من وراء هذا الأمر؟

المعلول هو الآخر في حلقات اتصاله علّة من ورائها علّة، أي: كلّ المواقف التي تُتخذ تحدٍّ للشّعب معلولة بعلّة نفسية، أو حزبية، أو بشخصنة، أو ردّة فعلٍ سلطويّة، بغاية التحكم والسيّطرة الرافضة للغير (أنا ومن بعدي الطوفان، أو نحن فقط شاء من شاء وأبى من أبى).

إذن، لا حلّ إلّا الطوفان (الفوضى).

نعم. بما أنّ وراء كلّ علّة معلولا يختبئ فيها؛ فإنّ الطوفان آتٍ كحلّ، شاء من شاء، وأبى من أبى.

ومن ثمّ أقول:

لكلّ علّة معلول يأتي من بعدها، إلّا علّة الشّعب؛ فمعلولها فيها؛ فمن فكّ شفرتها، وعرف الرّحيل سبيله رحل، ومن غضّ نظره عن أمرها، في قاعِ الحفرِ قد وقع، من قمّة روابيها، الفوضى تمكّنه من التاريخ يرفضه، والشّعب يحسبه مآسيها، ومن يصنع المجد راية ضاربة في الأرض جذورها مثل النخيل، خفّاقة في قلب السّماء، وأنشودة الوطن، فيها المحاسن خالدات، وفيها المكارم والمواقف ثابتات، تسبح بحمده مثل الجبال الراسيات؛ فلا تميد ليبيا ولا تبيد الشامخات.

# فوضى الحلّ

****

(عندما تعمّ الفوضى، ينبغي أن يأخذ العقلاء خطوة للخلف، حتى تلد لهم حلّا)

# فوضى الحلّ

***

فوضى الحلّ دموع عين، لا يفكّ شفرتها إلّا الموضوع الذي من أجله انهمرت؛ فإنّ كانت مولودة حُزنٍ، تسيل ساخنة على الخدّين مواجعا وألما، وإن كانت مولود فرحة؛ فالابتسامة دافئة على الخدين كالشّلال تنحدر؛ فلا حدود تستوقفها، ولا ضوابط تقيّدها، إيقاع موسيقاها قوّة (الفوضى)، تنحدر من علوٍ، إلى الرّكبتين تتصلُ، ومن بعدها القدمين إلى الأرضُ تنساب.

رذاذ الدّمعة فوضى مع النّسيم يتطاير فرحة من الشّروق إلى الغروب، ليرسم بألوان طيفه قوس قزحٍ، جماله يشدّ النّاظرين إليه، ويملأ القلوب بهجة، والعقول تتأمّل قبل أن يأتي المساء، ليرتدي لباسه في ليلهِ مع السّكون.

هذه، هي الدّمعة، وهكذا، هي الفوضى؛ فلا هروب من الفوضى بداية، ولا مفرّ للبداية من النهاية، مع الفارق بين الآلام؛ فمع إنّ آلام الولادة فرحة، وآلام النّهاية حزن، ولكن الفوضى البداية، والنّهاية غير ذلك؛ فهي على معكوس الدّلالة والمعني للحياة والموت، من حيث

أنّ ولادتها حزن، ونهايتها فرحة، منها يخرج الحلّ كما يخرج الحيّ من الميّت.

فوضى الحلّ، خروج بالقوّة الفعّالة من المشاغبة إلى الاحترام، ومن التمسّك بالمصلحة الخَاصّة إلى القضايا العامّة، ومن عدم المبالاة إلى العناية والاهتمام، ومن الانفلات إلى الضبط، ومن سيادة المظالم إلى سيادة العدالة والقانون، ومن الأخذ بالرّذائل إلى الأخذ بالفضائل، ومن تقويض القيم إلى تعظيمها.

ولكن أيّة قوّة فعالة؟

القوّة المتوقّعة وغير المتوقّعة، وهي المتحقّقة على جملة من الاحتمالات منها:

. القوّة الممكّنة من الحلّ عقلا ورؤية، كما جرى في تونس من وفاق وطني، أدّى إلى فكّ الفتيل، وكفّ التأزّمات بين أبناء الشّعب التونسي، ومكوّناته السياسية، فكان الاختيار دستورا عن إرادة دفعت إلى ممارسة السّلطة دون إقصاء، ولا تهميش، ولا تغييب.

. القوّة الممكّنة من الحلّ رؤية تجنّب الدّولة الفتنة الوطنية، كما جرى في مصر بعد أن خرج الشّعب إلى الميادين مطالبا بتدخل الجيش الوطني لحسم الخلاف؛ فجاء التدخّل عملية جراحية منقذة لآخر الأنفاس فوضى.

. القوّة الممكّنة من الحلّ فوضى تجذب المتصادمين والمتخالفين والمتقاتلين إلى مركز وسط، منه تنطلق حمامة السّلام لتحلّق في آفاق الوطن بعد مواجهات الفوضى العنيفة.

ويسأل الابن أباه بغاية المعرفة الممكّنة من التمييز؛ فيقول:

من هم موقدو نار الفوضى؟

الأقوياء عصبية وعدّة وعتادا.

ومن يوقد نار الفتنة؟

الضعفاء (أقلية وسياسة).

ومن الذين يتخندقون وراء المفاسد؟

الغاوون (لهواً وشهوةً).

ومن الذين يضحّون بالآخرين؟

أصحاب الأيديولوجيات.

ومن هم السجّانون؟

أصحاب العضلات المفتولة، والقلوب القاسية.

ومن الذين يقومون بكلّ ذلك في وقت واحد، ولا يبالون؟

الذين ينظرون لكلّ شيءٍ، ولا يبصرون شيئا.

ومن هم أولئك؟

المدّعون السياسة (الذين لا يرون إلّا أنفسهم).

نعم، إنّهم هم ولا غيرهم.

**ما يجري في بلادنا جملة وتفصيلا هم من ورائه، نقص قيمة، وقلّة اعتبار، وندرة احترام، وانعدام ثقة، ولا استقرار.**

**ها أنت قد عرفت من هم أصحاب المشاجب والفتن والمفاسد والفوضى.**

**وفي المقابل، من همّ أهل المواقف؟**

**الوطنيون (أصحاب الضمائر).**

**وأين هم؟**

**خطوة للخلف تقديرا للفوضى.**

**يا إلهي، الوطنيون يقدّرون الفوضى، وتقول عنهم يا أبي: أنّهم أصحاب ضمائر!**

**لو لم يكونوا أصحاب ضمائر لكانوا في قلبها.**

**بعد استماع للحوار الدائر بين الابن وأبيه، الابنة تسأل:**

**بعد أن عرفنا يا أبي أنّ للفوضى ساسة، هل لنا يا أبي أن نعرف أصحاب رأس مالها؟**

**نعم، أصحاب رأس مال الفوضى هم:**

**. فقراء القيم.**

**. الرّاقصون على مزامير الثّعالب.**

**. المغنّون للأحزان.**

**. قراصنة المنافذ.**

. المشايخ بلا مشيخة.

هل هذه دلائل إثبات الفوضى؟

لا، ليست هذه، بل دلائلها كثيرة، منها:

. خروج الأبناء عن طاعة الآباء الطّائعين لله تعالى.

. تكسير القيود الأخلاقية.

. تكميم الأفواه.

. توريث الحكم وفقا لقاعدة (شاء من شاء وأبى من أبى).

. المُدراة على العيوب والدّفاع عن مرتكبيها.

. تعمير السجون فوضى.

. تحويل مرابيع وصالونات الضيافة إلى مراقص للعائلات.

ومتى نعرف حقيقة أنّ الفوضى قد ألمّت بالوطن؟

. عندما يستباح تراب الوطن من قِبل الاستخبارات العالمية والإقليمية.

. عندما يصبح سفراء الدّول يلتقون بالمواطنين أفرادا وجماعات متى ما شاءوا.

. عندما يصبح وسطاء فكّ الفتيل بين بني الوطن أجانب.

. عندما تفلح الفرحة صدور أفراد الأسرة التي استطاعت أن تجمع مالا لتحرّر به أحدا من أفرادها من أيدي المختطفين.

. عندما تصبح رؤوس البلاد رؤوسها في الخارج.

. عندما تصبح حدود الدّولة بوابات بلا أبواب تحرسها.

. عندما يصبح الولاء للأحزاب على حساب الولاء للوطن.

. عندما تصبح ثروات الوطن تحت أيدٍ لا رقابة عليها.

. عندما يصبح المراقب بلا رقيب.

. عندما تنتخب الخراف ذئبا يمثلها في البرلمان.

. عندما تُقبل الثّعالب مشايخ لفكّ الخصام بين الدّواجن.

. عندما يطلق سراح القلق، والفزع، والرّعب، في المنازل والأماكن العامّة.

. عندما تفقد العدالة عنوانها وتفقد ذاكرتها الوطنية.

. عندما تفقد الأسر والعائلات بوصلة العِبر والتدبّر.

. عندما يغيّب الكبار خبرة وعلما وتجربة، ثمّ يصبح أهل الاقتداء والقدوة محلّ سخرية.

. عندما تصبح وسائل الإعلام أبواقا لمن يمكن له أن يصفّر فيها كما يشاء.

. عندما يصبح الجيش الوطني والشّرطة الوطنية في خبر كان.

عندما لا يميّز النّاس بين الوقوف تحية لراية الوطن، وبين الوقوف تحية للحكومة.

. عندما لا يميّز النّاس بين راية الوطن وبين رّايات الأقليات فيه.

. عندما يصبح مشايخ القبائل يقدّمون مصالح أبنائهم على حساب مصالح قبائلهم ومكاناتها.

. عندما لا تجد الثقة مكانا لتُغرس فيه.

. عندما يغزو اليأس والقنوط قلوب النّاس.

. عندما يجد المواطن نفسه مخيّرا بين الأخذ بالسيئ أو الأسوأ منه ولا يرفض.

. عندما يصبح من باع نفسه عبداً غير مخلص للعبوديّة.

. عندما يُقبّل النّاس أيادي الجُبناء ويحبّون على رؤوسهم.

. عندما يصبح كبار القوم عند أقوامهم وكأنّهم فاقدون للذاكرة.

. عندما يصبح النّفاق أرجوحة لعب للكبار والصّغار.

الفوضى على هذا الحال يا أبي يبدو أنّها مرض ولا شفاء منه، ولكن إلى متى ستكون الفوضى أرجوحة للكبار والصغار؟

الفوضى يا ابنتي إلى النّهاية.

الحمد لله أنّ لكلّ بداية نهاية، وها نحن يا أبي على قائمة الانتظار.

لا يا ابنتي، إن قبلنا بالانتظار، قبلنا بإطالة عمر الفوضى التي تجعل من الرّاكعين والسّاجدين لله، راكعين وساجدين لغيره، ولذا، وجب العمل فوضى حتى نقضي عليها حلّاً.

وما هو الحلّ؟

الحلّ: إعادة التوازن حتى تعتدل بوصلة تفكيرنا، ونستطيع تحديد الاتجاهات بدّقة، وإلّا سنجد أنفسنا تائهين في المحيطات، والطوفان يلعب بسفينتنا.

وكيف لنا بالاتزان؟

علينا بتفهّم الظروف، فالمقود بأيدي المتهورين المتسرّعين، الذين لا يميّزون بين الرؤيتين.

أيّ رؤيتين تعني؟

رؤية البصر، ورؤية البصيرة.

معك الحقّ أكثرهم على رؤية أبصارهم.

ولذلك، خطاهم ترافق إبصارهم، ولا ترافق بصائرهم، ونحن لا استغراب لنا في ذلك.

اسمح لي يا أبي؛ فأنا على الاستغراب فوضى.

عندما تعمّ الفوضى؛ فلا استغراب يا ابنتي أن تمتدّ الأقدام مع البصر، ولا تمتدّ مع البصيرة. وعليك أن تعرفين، أنّ الفوضى والبصيرة لا يلتقيان.

لم أفهم.

أقول: في زمن الفوضى، المنطق يفقد حجّته، فتظل هي سيدة الميدان ولا منافس، صنّاعها بصفتها يحكمون ويخطفون ويقتلون،

ومن أراد أن يتفاهم مع أصحابها؛ فعليه بمنطقها، وإلّا لن يجد من يسمعه أو يلتفت إليه.

وهل للفوضى منطق؟

نعم.

وما هو منطقها؟

منطقها: الحجّة بالحجّة.

وما هي حججها؟

كثيرة، ومنها:

التهديد بالتهديد، والنّهب بالنّهب، والاختطاف بالاختطاف، والقتل بالقتل.

وكأنّك تود أن تقول: لا مجال للتفاهم، ولا مجال للعفو، والمصالحة الوطنية.

التفاهم والعفو والمصالحة الوطنية تتطلّب بصيرة، والفوضى لها من البصر ما يكفيها عن البصيرة.

وكيف يمكن لنا الخروج من هذه التأزّمات؟

الفوضى لا تفهم لغة ولا منطّق إلّا الفوضى؛ فعلينا بحوارها بما تفهم وتحتكم.

لأوّل مرّة يا أبي، أقول لك من قلبي: ها أنا قد تبيّنت السرّ وعرفته، وكأنّي أرى الأمل بين أيدينا.

هذه هي الفوضى، ولا تَحلّ أزماتها إلّا فوضى؛ إنّها الهدّامة مثلها مثل الإسطبل الذي تدخل إليه الخراف والذّئاب في وقت واحدٍ، فيصبح الغبار فيه يعلو قلب السّماء، حتى يحجب رؤية الضحايا والجرحى، ويصبح اختلاط الصياح والعواء في حاجة للغربلة.

وكيف لنا بالفوضى حلّ، بما أنّ الفوضى كما قلت: هي دائما هدّامة؟

نعم؛ فكما أنّ الفوضى تهدم الأنظمة، وتهدّ العَمَار؛ فهي كغيرها هي الأخرى قابلة لأن تهدّ أركانها بحملها لعناصر فنائها فيها، ومن بعدها يكون النظام والإعمار. أي: إذا أراد صاحب الغنم أن ينقذ ما تبقّى من غنمه في الإسطبل؛ فعليه بدخول الغبار فوضى (هو كما هو)، حتى يطرد الذئاب، وينقذ ما تبقى من الأحياء. وهكذا هي سفينة النّجاة (سفينة نوح) عليه الصّلاة والسّلام، لولا الفوضى (الطوفان) ما كان الحلّ رسالة من الله على نبيه نوح.

ويقول ميكيافيللي في شأن الفوضى: "الشّجاعة تنتج السّلم، والسّلم ينتج الرّاحة، والرّاحة تستتبع الفوضى، والفوضى تؤدّي إلى الخراب، ومنها ينشأ النظام، والنظام يؤدّي إلى الشّجاعة، ومن هذه ينال المجد والحظّ الحسن"[61].

وأنا أقول يا أبي:

---

[61] قصّة الحضارة، الفيلسوف، الجزء 20، ص 57.

لم يكن بعد السّقوط إلّا النّهوض؛ فمن يقبل شرف المواجهة، فلا عيب أن يُسقط به أرض، ولكن العيب أن يظلّ أرضاً، ولا يهمّ حتى ينهض.

نعم، هكذا هي سُنن التدافع، فلم يكن بعد الهدم إلّا البناء، ولم يكن بعد الجهل إلّا التعلّم، ولم يكن بعد الكفر إلّا الإيمان، ولم يكن بعد الكسر إلّا الجبر، ولم يكن بعد الظلم إلّا العدل، ولم يكن بعد الباطل إلّا الحقّ، ولم يكن بعد التأزّم إلّا الانفراج، ولم يكن بعد العبودية إلّا الانعتاق.

ها هو الأمل بين أيدينا، ولكن الفوضى، متى ستلد لنا على الأرض حلّا؟

أقول:

. بعد أن تُرمى الأحقاد بعيداً عن الذاكرة.

بعد أن يتمّ الاعتداء على العدوان حتى بلوغ إشارة (قفّ).

. بعد قطع طُرق قطّاع الطّرق.

. عندما يسود الأمن وسط السّجون.

. عندما يقصى الإقصاء.

. عندما يغيّب التغييب.

. عندما يعزل العزل السياسي أمام العدالة.

. بعدما تنسف جسور العمالة والتبعية للغير.

ـ عندما يصبح الشّعب متهيئا ومتأهبا لاستصدار دستور مصدره العرف المحتوي للقيم والدّين منبع الفضائل.

. عندما تصبح إدارة الدّولة تدار برؤية (نحن سوياً).

وتسأل الابنة أباها:

متى سيكون الحلّ في دولتنا؟

بعد أن تعم الفوضى.

ألم تكن قد عمّت ببلادنا يا أبي؟

لو عمّت شدّة يا ابنتي لفُرجت.

لقد مللنا، متى ستعم لتنفرج علينا؟

بعد أن تقرئين قائمتها.

أين هي؟

ها هي أقرئيها:

تعمّ الفوضى حلّا بين النّاس بعد أن تتحقّق منجزاتها الآتية:

. اختطاف القانون ومنفّذيه.

. اختطاف العناوين وأبنائهم.

. انتشار النّهب والاعتزاز بالمنهوب.

. التصرّف في ميزانيات الدّولة حتى تُقهر المصارف.

. القتل دون تمييز بين القطِّ ومالكه.

. القبض على حقوق الإنسان وسجنها نكاية في السّجين.

. تحرير المفاسد وتكريم محرّريها.

. توسيع دائرة الفتنة حتى تقطع حبل الصرّة.

. الاستعراض بالقوّة حتى تُقهر الأنفس.

. تعميم الإقصاء ووضعه تاجا على رؤوس المقصين.

. توسيع دائرة العزل السياسي نكاية في الوطن.

. تقويض القيم حتى تغيّب الذاكرة.

. التحكّم في مصادر الثّروة ومفاصل الدّولة حتى يعلن الضعيف اعترافه بسيادة المتحكّم في مصيره.

. إحياء العصبيّة حتى يتمّ الاعتراف بالثأر حقّ هويّة ومواطنة.

. الأخذ بفتاوى المالكين للعصي الطويلة.

. تفكيك الجيش الوطني والشّرطة الوطنية ورميهما هناك بعيدا عن المشهد.

. تعظيم الأمزجة وتهميش العدالة.

. سحب الثّقة من الاحترام والتقدير والاعتبار، وترك أصحابها وكأنّهم فاقدو هويّة، ولا فرق بينهم وبين من دخل البلاد خلسة.

الأب يتابع قراءة ابنته قائمة الفوضى جملة جملة، حتى فاجأها الإغماء ارتعابا من القائمة، وبعد صحوة لم تفق منها بالتّمام، بكاء وقعقعة، والعَبرة في صدرها تكاد أن تخنق أنفاسها، لولا فضل الله تعالى.

احتضن الأب ابنته، لا تخافين: عليك بالصّبر؛ فالنّاس جميعهم مختنقون، ورؤوسهم قد امتلأت دورانا، وها هم مثلك بدأوا يفوقون.

أنا يا أبي لا يزال الدوران يملأ رأسي فوضى.

والنّاس يا ابنتي مثلك بالتمام، لا يزال الدوران في رؤوسهم فوضى.

ولماذا هو في رؤوسنا فوضى؟

لأنّ الرؤوس يملؤها المخاض.

مخاض ماذا؟

مخاض الولادة.

ولادة ماذا؟

ولادة الحلّ.

وكيف ستلد الفوضى حلّاً؟

تلدها بالقائمة.

قائمة الإغماء يا أبي!

لا، قائمة الصحوة.

أين هي؟ أريني إيّاها من فضلك.

ها هي، أقرئيها.

يلد الحلّ من الفوضى مساء هذا اليوم:

. تسفيه للسّفاهة.

. تفكيك للسّلطة المفكوكة.

. ترويض للجموح.

. تطرّف عن التطرّف.

. انحراف عن الانحراف.

. سلب المسلوب.

. فكّ المنابر المغصوبة.

. إلقاء القبض على القَبَضَة.

. سجن السجّان.

. الفرار إلى الموت.

ها أنا يا أبي قبلت الفرار إلى الموت.

وأنا معك جنبا إلى جنب.

ولماذا نحن الاثنين معا؟

لأجل أن تكتب لنا الحياة سويّا.

معك حقّ، لا داعي للانتظار؛ فالانتظار لا يكون إلّا علّة جُبنٍ، وهدّا لأركان الوطن، وخراب أمنه، وتجزئته، وسرقة خيراته، وأميّة شعبه وتخلّفه.

هيّا، أبلغي أخاك وأمّك والجيران بركوب السفينة، وأن يحضروا معهم من كلّ زوجين اثنين؛ من أجل الوطن بيت الجميع ولا استثناء.

ها هيّ أمّي محضرة معها، العفو العام، والعفو الخاصّ.

وها هو أخي محضر معه الجيش الوطني، والشّرطة الوطنية.

وها هم الأهل محضرون معهم المصالحة والتوافق الوطنيين.

وها هيّ الحكومة محضرة معها العدالة والإدارة الملاحقة.

وها هيّ السيادة مشكّلة باقة من كلّ زوجين بين أيدي النّاس، ولا محروم.

وها هو الشّعب واضع نصب عينيه النّهوض والنُقلة.

بسم الله مجراها ومرساها.

إلى أين؟

إلى المواجهة.

مواجهة منّ؟

مواجهة الفوضى.

ولماذا اخترت المواجهة بعد أن ركب من كلّ زوجين اثنين؟

لينجو الرّكاب وتستمر الحياة بلا مفاسد.

والذين لم يركبوا معنا!

مصيرهم الغرق.

يا إلهي، الأمواج يا أبي كالجبال في مواجهة السّفينة.

كيف تقولين هذا، ومفاتيح سفينتنا مستنسخة من مفاتيح تلك السفينة الآية.

وما هي المفاتيح الآية؟

المفاتيح: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[62].

اللهم صلي وسلم على النّبي نوح كما أصلي وأسلم على النّبي محمّد رسول الله والنّبي إبراهيم.

معك حقّ، اللهمّ صلّي وسلّم على جميع أنبياء الله ورسله، ولا نفرّق بينهم مصداقا لقوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[63].

ما أعظم الآيات، السفينة تشقّ جبال الأمواج العاتية وكأنّها الممهّدة للعبور، واليابسة من حولها تغرق أوّلا بأوّل حتى اختفت؛ فولّدت في نفسي سؤالا على الفور سألته لأبي: اليابسة وقد غرقت، ونحن إلى أين؟

نحن معنا المفاتيح.

أعرف مفاتيح السّفينة، ولكن أين مفاتيح استخراج اليابسة من الغرق؟

---

[62] هود 41.

[63] البقرة 285.

بسم الله الرّحمن الرّحيم {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[64].

ما أعظم ذكر الله في مفاتيحها، وما أعظمه عند ركوبها، وما أعظمه عند اختراقها للجبال العاتية أمواجا، وما أعظمه عندما بلعت الأرض ماءها وعندما أقلعت السماء، وما أعظمه عندما استوت ورست على الجودي، وما أعظمه سلامة وأمنا، وتسبيحا، واستغفارا، وذكرا، وتوحيدا، وعفوا، وصفحا، وما أعظم الله بالمطلق {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}[65].

ها نحن رسينا برعاية الله وحفظه، ونحن متطهّرون من كلّ دنس وذنب؛ فلا قهر بيننا، ولا ظلم، ولا عدوان، ولا تفرّد بالحكم، ولا مغالبة، الحكم لله وحده؛ فانزلوا منها بسلام آمنين، انزلوا منها كما ركبتم فيها من كلّ زوجين اثنين.

نزلت الأزواج محمّلة بما ركبت به السّفينة محبّة ومودّة، والفرحة لم تعدّ مكبوتة مخزّنة كما كانت في تلك الأيّام، التي كُبتت الفرحة فيها وخزّنت كما تخزّن الأموال في المصارف، ولم تجد أوجها لاستحقاقات صرفها.

---

[64] هود 44.

[65] الأنبياء 87.

الفرحة انشراح صدر، وعرض ابتسامة، وصفاء نفس، وطيب خاطر، ودفء قلب، وصحوة ضمير، وجمال كلمة، وحسن معاملة، وصدق قول، وجودة عمل، ورفعة سلوك، وصفاء ذوق، وجمال مظهر.

ها أنتم الذين كنتم بينهم قلّة في العدد، أصبحتم أنتم ولا سواكم، فأين الظلمة؟ وأين العابثون بالحياة؟ وأين أولئك الفجرة؟ وأين المفسدون؟ وأين أهل الفوضى؟ وأين أصحاب المشاجب؟ وأين المنافقون؟ وأين السجّانون؟ وأين ...وأين...؟ وأين.....فهذا مصير الحياة الدنيا بالتمام، ليس لها إلّا الفناء والزّوال، فاتّقوا الله في أنفسكم، وأهليكم وأوطانكم، ودينكم، وإن لم تفعلوا؛ فسفينة نوح آية لنوح، ولن تتكرّر، ذلك لأنّ الأنبياء ختموا بمحمّد ورسالته؛ فليس لكم إلّا الطّاعة والهداية، وإلّا ستعودون لما كنتم عليه فوضى.

ولأنَّ الكمال لله الواحد القهّار، أوصيكم بالعفو، والصّفح، والتسامح، والتصالح، والتوافق، والعمل الممكّن من الاستخلاف في الأرض محبّة لله وحده.

وأخيرا إنْ كان للزوجين سؤال فليسألا:

الزوجان يتساءلان:

هل خرجت الفوضى منّا، ولن تعود ثانية إلينا؟

نعم لقد خرجت منكم، ولكنّ الفوضى كما سبق لها وأن صُنعت بأيدٍ، فهي قابلة لأن تُصنع من جديد.

أستغفر الله لم نصنعها، ولن.

هذا بالنّسبة لكم أيّها المؤمنون الكرام، لكنّ النّاس من بعدكم؛ فكلّ نفس بما كسبت، وعملت من خير وشرّ مرتهنة، لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، وإنّما يعاقب كلّ فردٍ بما عمل، وليس كلّ زوج كما هو حالكم يوم ركبتم سفينة النّجاة، ولذا، {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}[66].

والنّاس من بعدنا إن غرقت في وحلّ المظالم؛ فكيف لها أنْ تخرج من الفوضى؟

أقول:

عليها أن تعفو، وتصفح، وتصالح، وتسامح، وتعمل خيراً، هذا إن أرادت نيل رضا الله ورسوله، وكذلك إنْ أرادت أنْ تنهض بما يحدث لها نُقلة تمكّنها من صناعة المستقبل، وتحقّق لها أملا.

وكيف لها أنْ تعفو وتصفح؟

أقول:

---

[66] الطور 21.

العفو فضيلة خيّرة، وقيمة مقدّرة من الله تعالى مصداقا لقوله: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}[67]، أي: يسألك قومك يا محمّد: ماذا ينفقون؟ فقل لهم: العفو، ذلك لأنّ العفو هو رأس مال يغني من هو فقير إليه، وفي المقابل من لم يأخذ به؛ فقد يجد نفسه يوما ما في حاجة لمن يعفو، أو يصفح عنه. {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[68]؛ فالْعَفْوُ الذي لا يكون إلاَّ عن إرادة، هو تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ. وفي المقابل الصَّفْحُ، هو: إِزَالَةُ أَثَرِهِ مِنَ النَّفْسِ، ومع أنّ العفو مأمور به، والصفح كذلك، لكن كليهما لا يقدر عليهما إلاَّ مؤمن طائع لأمر الله، ومنتهي بنهيه، ممّا يدفعه إلى الإقدام عليهما، حيث مغالبة الإيمان في النّفس على النّفس المملوءة بالألم.

فالعفو فضيلة، به يتمّ إسقاط الحقّ برضا صاحبه، دون أن يكون هذا الإسقاط على حساب أيّ من حقوقه، وواجباته، ومسؤولياته؛ فوليُّ الدّم له الحقّ في القتل، فإذا عفا وليُّ الدّم عن شيء يتعلّق بالقاتل؛ فليتّبع القاتل ذلك العفو بمعروف.

هكذا هي الحياة الدنيا، بين ماضٍ تستمدّ العبر منه، وحاضر مؤلم، لن تنفكّ أوجاعه إلاَّ بالعفو والصّفح، ولكن دائما الأقوياء

---

[67] البقرة 219.

[68] البقرة 109.

وحدهم هم الذين يعفون ويصفحون، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأسوة الحسنة؛ فهو لمّا فتح مكّة، خاف القريشيون من انتقامه منهم، ولكنّ رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، عفا عنهم، لأنّ سجيته العفو عند المقدرة؛ فقال: "من دخل البيت الحرام؛ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن دخل داره؛ فهو آمن"[69].

ومع أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم على خلافٍ، واختلاف، مع أولئك المشركين، والكفرة، الذين كادوا له المكائد، وقاتلوه، لكنّه وهو في موقف القوّة، والمقدرة، عفا عنهم.

ولذا، وجب الأخذ بما أمر الله به، وما أقدم عليه الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام، من عفوٍ وصفحٍ، ومن هنا، تؤخذ العبر والمواعظ، من أجل حياة إنسانية آمنة، وعلاقات عُراها لا تنفصم[70].

ويا ليت يا أبي النّاس كلّما اختلفوا، أو تخالفوا، أخذوا بالعفو، وأمروا بالمعروف، وأعرضوا عن الجاهلين، طاعة لأمر الله واتباعا لسنّة رسوله: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[71].

أرأيتِ يا ابنتي ما أجمل العفو، وما أعظم العفوّ جلّ جلاله؟

---

[69] الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ص 8.

[70] عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، ص 24 . 33.

[71] الأعراف 199.

**ولكن هل العفو متعدّد أم أنّه واحد؟**

**العفو واحد، ولكن له أوجه، منها العفو العام، والعفو الخاصّ؛ فالعفو العام يتمّ عن الحقّ العام، والعفو الخاص يتعلّق بحقّ الأفراد.**

**وهل من توضيح؟**

**العفو العام يتعلّق بالأخطاء والجرائم والجنايات التي تُرتكب باسم الأنظمة؛ فعندما تسقط الأنظمة ويُنزع السّلطان، وجب العفو العام عن الحقّ العام الذي ارتكب من قبل أناس أقدموا عليه وظيفة، أمّا مصدر الأمر (رأس النظام)؛ فالمحاكمة العادلة ضرورة إن قُبض عليه حيّا، وهنا، فحاله يختلف عن حال المأمورين من قِبله؛ فأولئك يدخلون تحت مظلة العفو العام، الذي يطوي صفحة الأخطاء والجرائم التي ارتكبت ظلماً باسم الدّولة، أو اسم الثورة؛ {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}[72].**

**أمّا العفو الخاص عن الحقّ الخاص؛ فلا يسري عليه ما يسري على العفو العام؛ فمن قتل نفسا بأمره لا بأمر الحاكم، أو هتك عرض، أو ارتكب جناية أيّا كانت؛ فأمر العفو الخاص بها بيد من يتعلّق الأمر به (عفوا أو قضية)، والمحاكم العادلة خير من يفصل فيها، {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[73].**

---

[72] **البقرة 109.**

[73] **المائدة 44.**

**وماذا بعد العفو والصّفح؟**

**المصالحة الوطنية، ثمّ المصالحة الوطنية، ثمّ الوفاق الوطني.**

**ولماذا هذا التأكيد على المصالحة الوطنية؟**

**التأكيد على المصالحة الوطنية، لأنّها الأهم بعد العفو، ذلك لأنّ الدّخول في المصالحة خروج من التأزّمات، والأقربون بالمصالحة هم أولى بالمعروف؛ أي: تبدأ المصالحة بين الأخوة أوّلا، ثمّ الجيران ثانيا، وثالثا بني الوطن؛ فهؤلاء جميعهم إخوة، والله تعالى أمر بإصلاح ذات البين بينهم، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}[74]، ولهذا، أوصيكم بالمصالحة كلما اختلفتم، وكلما تخالفتم؛ فلا سبيل لجمعكم إلّا هي طاعة لله.**

**ولأنّ بني الوطن أخوة؛ فالمصالحة بين الأخوة تسبق أيّة مصالحة؛ سواء أكانت مصالحة وطن أم أنّها مصالحة قرية منه، فالوطن أو حتى دار فيه، إن لم يكن أهلها مصلحين تكون دار فتنة وشقاء وهلاك، {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[75]، إي: عندما يكون بنو القرية ظلمة مفسدين (صغرت القرية داخل الوطن أم كبرت لجمعه)؛ فهم على غير مرضاة الله، ومن هنا؛ فهم وقريتهم، أو وطنهم للهلاك لا محالة.**

---

[74] **الحجرات 10.**

[75] **هود 117.**

ولأنّهم الأخوة، فالأخوة عندما تَسابَقَ بشأنهم العفو والمصالحة، تحصّل العفو على المرتبة الأولى، ثمّ حلّت المصالحة من بعده في الترتيب الثاني، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلّم الأسوة الحسنة؛ فيوم فتح مكّة، كان الخوف يملأ قلوب القريشيون، ولم يتحرّروا منه إلّا بعد أن عفا عنهم رسول الله، وهو يمتلك المقدرة، حينما قال: "من دخل البيت الحرام؛ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان؛ فهو آمن، ومن دخل داره؛ فهو آمن"[76]. هذه، هي: الصورة المثلى للعفو العام، وليس بصورة للمصالحة.

أمّا المصالحة التي جاءت في المرتبة الثانية؛ فهي التي تتمّ بين الأخوة من بني الوطن، كما تتمّ بينهم وبين الغير، مثلما هو صلح الحديبية الذي جرى بين المسلمين بقيادة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، وبين كفّار قريش في أواخر العام السّادس من الهجرة، رغم معاناة رسول الله وصحابته منهم تسعة عشر عامًا كاملة سبقت هذا الصلح، لكن مع ذلك؛ فقد أجرى صلحاً به تمّ تقبّل الآخرين واستيعابهم، ممّا زاد الإسلام ثقة وقوّة، وسماحة ومودّة[77].

---

[76] الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ص 8.

[77] عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، ص 99 . 100.

فالمصالحة دائما تلاحق خلافا، أي: لو لم يكن الخلاف سابقا عليها ما كانت ملاحقة له؛ فالهوة التي تتّسع باتساع المتخالف عليه، أو المختلف بشأنه، تضيق وتطوى بالمصالحة التي تغيّر الأحوال من التأزّم إلى الانفراج، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[78].

ومن هنا؛ فهو مبدأ قرآني، وسنّة نبويّة وضرورة إنسانية، تمكّن من جبر الأنفس كما أنّها تضمّد جراحها؛ فأبناء الأمّة (أخوة وطن) من نفس واحدة، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}[79]؛ فلا ينبغي أن يكونوا منقسمين بين غالب ومغلوب، ولا مقهور، بل يجب أن يكونوا في الوطن متساوين، حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسؤوليات تُحمل؛ فلا إقصاء، ولا عزل سياسي بغير عدالة تبرئ المتهمين من التّهم الباطلة.

ولأنّها المصالحة الوطنية والوفاق الوطني؛ فهناك من المبادئ والقيم الحميدة ما يحفّز ويدفع الأطراف إلى التلاقي والتسامح، وبناء دولة التوافق، وعلى رأس هذه المبادئ القيمية:

---

[78] الرعد 11.

[79] النساء 1.

## الاعتراف بالآخر:

حقّ يستوجب تنازلات موضوعية. ذلك لأنَّ القاعدة الأخلاقية تقول: (اعترف بي، اعترف بك، وإن أنكرت وجودي طرفاً رئيساً في الوطن، سأنكر وجودك طرفاً يماثلني فيه).

في هذه القاعدة تكمن المشكلة، وفيها الحلّ يكمن، أي: تكمن المشكلة في إنكار أحد الأطراف الرّئيسة للطرف الرّئيس الآخر، وفي المقابل، يكمن الحلّ بالاعتراف المتبادل بين الأطراف ذات العلاقة بالمشكلة، وإلاَّ هل هناك من يصدّق أن تتمّ المصالحة الوطنية والوفاق الوطني والنّاس لم يعترف بعضهم بالآخر؟

## تقبّل الآخر:

ينبغي أن يكون تقبّل الآخر (هو كما هو)، وليس (كما يجب أن يكون عليه)؛ فما يجب أن يكون عليه، هو المأمول الذي يتطلّب جهدا مشتركاً من قِبل المختلفين والمتخالفين؛ وإلاَّ هل هناك من يعتقد أن تتمّ المصالحة الوطنية والوفاق الوطني، والنّاس غير متقبّلين بعضهم بعضاً؟

فالمصالحة والوفاق الوطنيين لا يمكن أن يتمّان بيسرٍ ما لم يسبقهما تقبّل الآخر، وفقا لقاعدة: (إنْ تقبلتني أتقبلك، وإن رفضتني أرفضك) ومن ثمّ لا شيء لك عندي إلاَّ خلق التأزّمات، والميادين والسّاحات ستكون شاهداً لي، وشاهداً عليك، أو أنّها ستكون شاهدا

بيننا، (تقبلني أنا كما أنا، أتقبلك أنت كما أنت) ولكن إن لم تتقبلني (أنا كما أنا عليه)، من حيث الفكرة، أو المعتقد، أو الاتجاه، أو الرّؤية؛ فكيف لي أن أتقبلك (أنت كما أنت عليه)؟

## استيعاب الآخر:

الاستيعاب لا يكون إلاَّ عن أخذ عِبر، وتدبّر واتّعاظ، مع حُسن تمييز بين ما يجب، وما لا يجب؛ فلسان حال الأنفس المتخالفة يقول: (استوعبني استوعبك، وإن أقصيتني فلا تلمني إن تطرّفت عنك، وتخندقت بعيداً هناك، لأخذ الحيطة والحذر، ومن ثمّ اغتنام فرص الانقضاض).

فالاستيعاب يعني ممّا يعنيه، استوعبني كما أنا بما لديّ من مكاسب ومغانم وآلام، وخسائر، ومعتقد، وانتماء، وفي المقابل أنا استوعبك كما أنت بما تعانيه من مخاوف، وهموم، وآلام، وأوجاع، وخسائر.

## اعتبار الآخر:

اعتبار الآخر قيمة تقديرية للمكانة، وهو وضع حِسابات لمن هم شركاء في الوطن، حيث لا تقليل شأن، ولا تهميش، ولا تغييب، ولا غض نظر، ولكلّ أهميّة وطنية وإنسانية وأخلاقية، وفقا للقاعدة الأخلاقية التي تنصَ: (إن اعتبرتني أعتبرك، وإن لم تعتبرني؛ فلا تنتظر منّي اعتبارا)، ولذلك؛ فإن اعتبرت الآخرين، قدّرتهم وأحسستهم

بأهميتهم، وإن أحسستهم بذلك، امتلكت قلوبهم، وإن امتلكت قلوبهم، تحفّزوا معك إلى الإقدام على كلّ ما من شأنه مأمول وطنيا، ومن ثمّ، تبلغ المصالحة الوطنية والتوافق الوطني مداهما عن إرادة ورغبة.

## تفهّم الظروف:

التفهّم مراعاة لما عليه الآخرون، وما يمرّون به من ظروف استثنائية، وذلك بتفهّم ما يؤلمهم، وما يخيفهم، في دائرة الانتصار والهزيمة)؛ فكما أنَّ المنهزم يخاف ممّا يسلكه المنتصر من سلوك، وما يهدف إليه؛ فكذلك المنتصر يخاف ممّا يسلكه المنهزم من سلوك، وما يسعى إليه من أهداف، وإلاَّ هل هناك من يظنّ أن تنجح المصالحة الوطنية بدون تفهُّم ظروف الأطراف ذات العلاقة بمواضيع الاختلاف والخلاف؟

وعليه؛ فقاعدة الإصلاح والتوافق الوطني تؤسّس على: (تفهّم ظروفي أتفهّم ظروفك، وإن لم تتفهّم ظروفي لا تنتظر منّي أن أتفهّم ما ألمّ بك من ظروف).

## تقدير الآخر:

نيل التقدير، غاية يأملها الجميع (أحرار وعبيد)، وهنا، فالقاعدة المنطقية تقول: (قدّرني تنال التقدير منّي، وإن لم تقدّرني؛ فلا تنتظر منّي تقديراً)، ولذلك؛ فالمخطئ وفقا لمعرفته ينبغي أن يقدّر وفق

معرفته لا أن يقدّر بغيرها، وكذلك المصيب وفقاً لمعرفته ينبغي أن يقدّر بها، ولا يقدّر بغيرها، لكي تبدأ المصالحة والوفاق بين المختلفين والمتخالفين (من حيث هم) بغاية دفعهم إلى الأخذ بما يجب أن يكونوا عليه، وفقا لقاعدة (نحن سويّا)، وليس على قاعدة (تقليل الشأن) التي تدفع البعض إلى الالتفات بعيدا عن النّاس وإعطائهم الظهر؛ فالذي تعطيه (ظهرك) لا شكّ أنّك ستدفعه لأن يعطيك ظهره، وتصبح الفرقة على أشدّها والمكائد.

**احترام الآخر:**

قيمة الاحترام دائما في مقابلة متضادّة مع مفهوم التحقير وتقليل الشأن؛ والقاعدة الأخلاقية والمنطقية تقول: (احترمني أحترمك، وإن قللت شأني؛ فلا تظن إنّك ستنال الاحترام منّي)، ولذلك؛ فإن انعدم الاحترام بسياسة فرض الأمر كرهاً، أو كما يقولون: (لوي اليد) وقهر الآخرين بالقوّة؛ فلن تجد بذور المصالحة الوطنية ولا الوفاق الوطني أرضية صالحة للنمو.

ومع أنّ الاحترام قيمة مفضّلة بين النّاس، لكن الخطأ بينهم لا ينقطع، ولهذا؛ فهم في حاجة دائمة لمرافقة الاحترام الذي بسيادته يسود الأمن، وتعمّ الأنفس الطمأنينة التي لا تتعكّر أذواقها إلاّ بفقدانها، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا

خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا}80. أي: بسيادة الاحترام، لا يمكن أن يَقتل مؤمن مؤمنا إلاَّ خطأ، ومع أنّه خطأ، لكن الاحترام يوجب الاعتذار لذوي المقتول خطأ بما يرضيهم من تحرير رقبة وديّة تسلّم، ولكن إن تصدّقوا (احتراما يبادل احتراما)؛ فالله غفور رحيم.

## غرس الثّقة:

غرس الثّقة أمر ليس بالهين؛ فغرسها يحتاج إلى وقت، كما يحتاج إلى إظهار ما يطمئن الأنفس قولاً، وفعلاً، وعملاً وسلوكاً، ليزيح عنها الخوف، والظّنون، والشّكوك، ويحفّزها على الإقدام تجاه كلّ ما من شأنه أن يؤكّد الكرامة، ويرسّخ قيمة المواطنة، وحرّية الإنسان.

وعليه؛ فالقاعدة المنطقيّة تقول: (إن قرّرت أن لا تغرس الثّقة فيّ، فلا تلومني إن سحبت الثّقة منك). ومن ثمّ؛ فإن سُحِبت الثّقة من البعض، أو انعدمت؛ فلا قيام لدولة التوافق، وإلّا هل يمكن أن يلتقي النّاس على هدفٍ مشترك والثّقة بينهم منزوعة، أو منعدمة؟[81].

---

[80] النساء 92.

[81] عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، ص 113 . 124.

بالتأكيد لن يلتقوا إن أصبحت الثّقة بينهم منزوعة، ولكن هل تعتقد يا أبي أن تطمئن الأنفس، ولا وجود لجيش وطني، وشرطة وطنية؟

بالطبع لا، وإن أصبح الأمر كذلك، فلا شكّ أنّ فوضى الحلّ آتية.

وما هو الحلّ؟

أقول:

أوّلا: تأسيس جيش وطني، ولاؤه للشّعب، يحمي الدّولة من العدوان الخارجي، ويحمي الشّعب من الفتن الداخلية، من خلال إعداد العدّة الفعّالة، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[82].

ثانيا: تأسيس شرطة وطنية: تسهر على تحقيق الأمن الدّاخلي، وفقا للقانون المستمدّ من الدستور الوطني، المستمدّ هو الآخر من مصدر التشريع، ليصبح المواطنون في أمن وسلام، {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ}[83].

---

[82] الأنفال 60.

[83] الحجرات 46.

ثالثا: الأخذ بالعدالة: التي تحكم بين النّاس فيما هم فيه مختلفون، والقصاص وفقا لشرع الله، والكلّ يحاسب على الأعمال، ولا يحاسب على الأحكام المسبقة، وردود الأفعال الظالمة، {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ}[84]، ثمّ قال تعالى: {أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[85].

رابعا: وفاق وطني، يجمع شمل الشّعب دون مغالبة قهرية، فلا إقصاء، ولا تغييب، ولا إكراه من أحد أيّا كان؛ فالإكراه فعل مستغرب، ومن خلفه إشارات التعجّب، {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[86].

ولذا؛ فإنَّ فوضى الحلّ، بوفاقٍ وطني، تُنقذ من التأزّمات، وتمكّن من استصدار الدّساتير، وسنّ القوانين الوطنية، المؤسّسة للدّولة على قاعدة: (نحن سويّاً)، وكذلك قبول الاختلاف المتنوّع مع ألوان الطيف الوطني، رأيا ورؤية، يحدث النُقلة المأمولة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ونفسيا وثقافيا وذوقيا، ومن ثمّ، يصبح التطلّع إلى الأجود والأنفع أكثر رغبة وأهمية. وبذلك ينتهي زمن المظالم، ويصبح الوقت

---

[84] غافر 40.

[85] الأنعام 54.

[86] يونس 99.

مناسباً للرّجال الذين إذا شبّت النّار في بيوت الجيران يسارعوا لإطفائها عملا بالوصيّة، ومخافة على منازلهم.

هيّا انهضوا إلى العمل، أيّها الأزواج، لقد انتهى زمن التنظير، وانتهى زمن الفوضى المولّدة للمظالم والمفاسد، كما انتهى زمن الوشايات في الأقارب والأباعد، وانتهى زمن التجسّس على غرف الضيافة وحجرات النوم، وجاء زمن النّهوض والبناء والإعمار، وتعظيم القيم، وأخذ العِبر من التاريخ، وأخذ المواعظ من أهل الحكمة.

لقد انتهى زمن فوضى استراق السّمع؛ وانتهت أفعال الشيطنة الوطنية، كما انتهى اللعب بين الصفوف (فتنة)؛ وجاء الحقّ وزهق الباطل، وتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فصعد المؤذن قمّة المئذنة ليعلن وقت توديع النُوم، ويؤذن بوقت الصّلاة عيدا للصّغار والكبار.

أيها الرّجال في دولة التوافق الوطني (ذكورا وإناثا) احرثوا وابذروا، واستظلوا راحة بين أشجار الزيتون، وعراجين النخيل ثمارها فوضى بين أيديكم تُنزِّلُ عسّلا مصفى، والمدارس بالعلوم تمتلئ مثل السّماء بالنّجوم، ترشد من تاه أعواما وأعواما، ليكون قمّة على الكواكب؛ فلا غبار ولا غيوم ولا هموم؛ فأنتمُ بين الجميع تسكنو بيت العلوم.

انظري يا أمّي، كيف يملأ الصّدق والحبّ والوفاء كلمات أبي وقلبه، فهل تشعرين بمزيدٍ من الصّفاء والنّقاء نحوه زوجا كما أشعر به أبا؟

نعم، إن لم يكن أكثر.

ولِمَ لا نكن من قبل على ما أصبحنا عليه الآن؟

في زمن تلك الفوضى تأزّماً، الأرض يا ابنتي لا تلد إلّا متأزّمين، أمّا في زمن (الفوضى حلّاً)؛ فالأرض أنجبت صامدين، ركبوا السّفينة (فوضى) من كلّ جانبٍ، ومن حولهم الأرض طوفان تَغرَقُ كما رأيتِ، ولمْ يبق سواهم صامدين. خرقوا جبال الموج، وجدار الصّوت، آية، وكأنّهم صخرُ السّماء يسبّح بحمده، شاكرا لربّه، إنّ العباد قد استعاذوا به من كلّ من خنس بهم، غاويا وموسّوسا بغير حقّ؛ فاستعاذوا عقولهم قِبلة، لا ترى فيها سوى الإخلاص مخلّصا، تجاه بيته المحرّم، فلا مظالم، ولا مفاسد، ولا مشاجب، ولا فتن.

أرأيتِ يا ابنتي ما أجمل التوافق؟

التوافق بين ماذا وماذا؟

التوافق بين النّفس والعقل والقلب والرّوح والبدن.

لم أفهم.

ألم ترين تطابق كلمات أبيك مع قوله وفعله وعمله وسلوكه وتقواه لربّه؟

**نعم، رأيته التوافق على التمام، ويا ليته بيننا لا ينقطع.**

**ها نحن في ليبيا التي كانت أرضها عبر التّاريخ ترزح تحت أقدام الغزاة، والدّماء والفداء والجهاد، توّجت بالنّصر دّولة مستقلّة، حُكمها بيت الملوكة، ثمّ من بعد انقلاب، ساد في الأرض سنين، ثمّ باد، فانتفض بركانها ثورة، ليتها تبني البلاد بالمحبّة والسّلام والمودّة والوفاق.**

**ألم تكن هي ليبيا التي سبق لنا الحديث عنها، وما ألمّ بها من آلام، وما تأمل بلوغه من حلّ ينهي تأزّماتها العابرة؟**

**نعم، هي ليبيا. أرض الفصول الأربعة، ذات الجبال الرّاسيات الجامعات لشملها.**

**وكم عدد تلك الجبال الرّاسيات الجامعات؟**

**الجبال الجامعات ثلاثة: (الجبل الأخضر، وجبل نفوسة، وجبل فزّان).**

**وما طبيعة شعبها، وكنوز أرضها؟**

**طبيعة شعبها تمتدّ من البدو إلى الحضر، كرم، وقيم، وفضائل، وقدوة حسنة، وحسن خُلق، ورفعة ذوق، مع فائق التقدير والاعتبار للكبير والصّغير والمرأة والمعاق.**

أمّا كنوزها؛ فالنخيل رطبه عسل يقطّر، والزيتون زيته يكاد أن يضئ، والجنّات من التّين والأَعْنَاب وَالرُّمَّانَ ثمارها متى ما أينعت فهي لذة.

جبلها الأخضر مملوء خلايا نحل ممتلئة عسل، فيه شفاء، ممتصّ من أشجار تلك الغابات والنباتات المزهرة على امتداد البصر، وجبل نفوسة، وجبل فزان، والحمادة الحمراء بينهما السيول فيها تقلب الصحراء جنّة، وفيها من كلّ ما تنبت الأرض زوجين اثنين، ورياحين أزهار أعشابها تملأ الصدور عطرا من عطرها الفوّاح.

يا إلهي، وكأنّك يا أبي تتحدّث عن الجنّة!

لا أقول الجنّة، ولكن أقول ليبيا، فيها ما تشتهي الأنفس من كلّ ما لذّ وطاب، خذي وأشربي لبن الجبال والوديان.

أكواب ثلاثة؛ فأيّها الأوّل؟

لا فرق بينها، اشربي.

هذا أوّل، وهذا ثاني، وهذا ثالث، أشهد أنّها ألبان اللذة، التي لم يتغيّر طعمها ولا تنقطع، ولكنّ مذاقها متنوّع بين لذة ولذّة.

معكِ الحقّ، لكلّ عشبة من أعشاب الجبال الثلاثة وأوديتها وسهولها مذاق ولذّة، ولا اختلاف سوى تنوّع الأعشاب ومنابتها.

أمّا باطن أرضها؛ فذهب أسود من الدّرجة الأولى في العالم، وأنابيب الغاز من أراضيها عابرة للبحر المتوسط الذي تتوسّطه ليبيا

بساحلٍ يمتدّ 1900كم؛ فموقعها سياحة ونزهة، لا ينقصه إلّا الاستثمار.

ولماذا هذا النقص، وأرضها كنوز؟

التقاء السيئتين فيها.

وما هما السيئتان فيها؟

سوء السياسة، وسوء الإدارة؛ فالسّياسة التي تفصّل على قاعدة (رأيي فقط)، والإدارة التي تدار على قاعدة (أنا فقط) هل تعتقدين ستكون سياسة ناجحة وإدارة ناجحة؟

الآن عرفت لماذا ثار الشّعب على ذلك النّظام، ولكن الآن فما المبرر؟

المبرر أنّ السياسة والإدارة لا زالتا تسيّران وفقا لقاعدة (الثورة مستمرّة)، ولأنّها كذلك؛ فلا يمكن أن تجد السياسة والإدارة مكانا لتحلّ فيه نهوضا وتخطيطا وبناء وإعمارا.

ولكن إلى متى؟

إنّ بعد العسّر يسّرا.

هذا قول الله.

وهل هناك أصدقُ من قول الله تعالى؟

ولكن الله قال: اعملوا.

معك حقّ: إنّ بعد العسر يسرا، إي: لا عمل مطمئن إلّا بعد خروج من تأزّمٍ، {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[87]؛ فالعسر الذي سبق اليسر، لا شكّ أنّه سيؤدّي إلى يسرٍ من بعده، ولهذا جاء التأكيد قطعا للشّك بقوله تعالى: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[88]. فبعد نزول هذه الآية الكريمة بشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"[89].

الحمد لله يا أبي، لقد قطع اليقين شكّي، {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}[90]؛ ولذا؛ فلن يغلب عسّر يسرين.

هكذا يا ابنتي هيّ الحياة (بين يسّر وعسّرين)؛ فكلّما اشتدّت فُرجت.

اللهمّ أسألك الشدّة فرج على ليبيا.

وكأنّكِ يا ابنتي قد عرفتي أنّ الفوضى حلّ؟

نعم، بعد أن استعذتُ بالله من شياطين الإنس والجن، وركبت سفينة النجاة وسط الطوفان، عرفت كما قيل: (اشتدي أزمة تنفرجي)؛

---

[87] الشرح 5.

[88] الشرح 6.

[89] تفسير الطبري، جامع البيان، ص 495.

[90] النجم 3 . 5.

فإذا اشتدت الأزمة، ونزل الكرب بالإنسان جاء لطف الله سبحانه؛ فانكشفت الأزمة، وكما قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرجُ

ضاقت فلما استحكمت ...حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرجُ[91]

ولأنَّه لا يسر إلّا بعد عسر، ولا فرج إلّا بعد شدّة، فلا شكّ أنّ الفوضى ستلد حلّا، ولكن بعد صبرٍ؛ فاصبروا أيّها الليبيون؛ فأنتم على مقربة من قمّة انفجارها حلّ.

قال أحدهم:

لقد صبرنا حتى كاد الصبر أنْ يقتلنا، وأقسم لكم بربّ العزّة لو خرج الصبر لي لقاتلته قبل أن يقتلني.

اصبر وما صبرك إلّا بالله؛ واحمده، ثمّ اسأله، واعمل صالحا، وعليه توكّل؛ فهو السّميع المجيب.

فلنحمده ونسأله سويّا.

اللهمَّ إنّا نحمدك على إحاطتك لنا من تلك الأشواك، التي زُرِعت بيننا فوضى؛ وذلك الطّوفان الذي كانت أمواجه جبالا، تكاد أن تلامس السّماء، وتغرق سفينتنا مع تلك التي غرقت، وأولئك السرّاق للسّمع ومن استمع لهم فوضى.

---

[91] عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة ، ج 2، ص 920.

**اللهمَّ إنَّ الشرَّ يتقينا باتقائك، وإنَّ الظلم يجتنبنا بانتهاج عدلك، وإنّ الحسد يقاطعنا بمحبّتك، وإنّ الجهل يخشانا باتباع عِلمك. اللهمّ فاشهد أنّا بالكفر كفرنا، ما حيينا عابرين؛ فغريبٌ أن يخاف المرء وفي الدّنيا المقابر، وغريبٌ لا يخاف يوم لا يجد المعابر؛ فلا مفرّ، إنّ بعد العسّر يسّرا، وإنّ بعد الفوضى نصرا؛ وإن بعد الشدّة فرجا؛ فلا مفاسد ولا مشاجب، ولا سجون مظلمات ظالمة في الوطن، انتصرنا.**

*****

**أ د. عقيل حسين عقيل**
**كلية الآداب جامعة طرابلس**
**2014/4/12م**

## صدر للمؤلّف

***

صدر للمؤلف **57** بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له **82** مؤلّفاً منها خمس موسوعات.

أشرف على **37** رسالة ماجستير ودكتوراه.

ناقش ما يزيد عن **48** رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

**1** . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

**2** . طرق البحث الاجتماعي.

**3** . الفكر والسياسة.

**4** . الإسلاميات.

**5** . الأدب

****

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

# عناوين

# المؤلفات ومواضيعها

***

**1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.**

**2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.**

**3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.**

**4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.**

**5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.**

**6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.**

**7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.**

**8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.**

**9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.**

**10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.**

**11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.**

**12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.**

**13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.**

**14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.**

**15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.**

**16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.**

**17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.**

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.
22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.
23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.
40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطاً، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

**54** . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، **2011**م.

**55** . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، **2011**م.

**56** . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: **2011**م.

**57** . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، **2011**م.

**58** . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، **2011**م.

**59** . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، **2011**م.

**60** . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، **2011**م.

**61** . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، **2011**م.

**62** . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، **2011**م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.
68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.
72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

**73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.**

**74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م**

**75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.**

**76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.**

**77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.**

**78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.**

**79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.**

**80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.**

**81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.**

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

أ.د. عقيل حسين عقيل

# فوضى الحلّ

القاهرة ٢٠١٤